وداد الجوراني



الرحلة الى الفردوس و الجحيم في أساطير العراق القديم

العراق في التاريخ



www.iraqinhistory.com



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

حقوق الطبع محفوظة

تعنون جميع المراسلات
العنوان
العراق - بغداد - اعظمية
ص ب ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

www.iraqinhistory.com

الرحلة
الى الفردوس والجحيم
في أساطير العراق القديم

وداد جاسم الجوراني

الطبعة الاولى
بغداد - ١٩٩٨

www.iraqinhistory.com

٢ و ٣٩٨
ج ٩٤٢ الجوراني ، وداد جاسم
الرحلة الى الفردوس والجحيم في
آساطير العراق القديم / وداد جاسم
الجوراني : ـ بغداد : دار الشؤون
الثقافية العامة ، ١٩٩٨
ص ؛ ٢٤ سم
١ ـ الادب الشعبي ٢ ـ الاساطير ـ
العراق أ . العنوان
م . و
١٦٤ / ١٩٩٨

المكتبة الوطنية (الفهرسة اثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٦٤ لسنة ١٩٩٨

www.iraqinhistory.com

المقدمـــــة

وصفت الرحلة بأنها نشاط فردي أو جماعي ، يقوم على استخدام وسيلة ما للانتقال من مكان الى مكان آخر بهدف الاكتشاف : اكتشاف الذات ، أو اكتشاف الآخر ، أو اكتشاف احدهما من خلال الثاني .

ويتسع مصطلح « الآخر » ليشمل تحقيق اهداف علمية تتخذ من الرحلة وسيلة تدعم الفكر بالنظر ، وتغني الادراك بمباشرة المحسوس ، وبذلك تكون الرحلة مجالًا لجمع المعلومات وتوثيقها أو اسنادها ، بمعنى انها ـ الرحلة ـ تغدو مصدراً من المصادر المهمة في علوم كالجغرافيا وعلم الأجناس ، وبعض علوم الدين ، والعلوم الرياضية والفلكية وغيرها

وقد تتبنى ملكة الخيال قوة الاستبصار لتبتدع رحلات من نوع آخر لا علاقة له بالعلوم والجغرافيا ، فتوجّه الرحلة الى ابعاد ما ورائية تتوخى اكتشاف عوالم ميتافيزيقية كثيراً ما شغلت فكر الانسان منذ بدء الخليقة ، واستأثرت باهتمامه ، حتى أصبحت جزءاً لا يتجزء من تصوراته للكون والطبيعة والانسان والفكر المجردة كالموت والحياة والخلود والبعث والثواب والعقاب ، في زمن كان المجتمع البشري يقطع المراحل الاولى من تطوره الصاعد ، حين لم يكن يملك أدوات البحث ، ووسائل التفكير التي تعينه على النفاذ الى أعماق الوجود واستخلاص الحقائق الموضوعية .

كانت الاسطورة هي أول محاولة في تاريخ الفكر الانساني لوضع مفاهيم فلسفية تهدف الى انقاذ الانسان من متاهات الجهل بأسرار الطبيعة وظواهرها ، ولقد انتج السومريون أدباً يتسم بالضخامة وسرعة التطور ، ويتميز بالكثير من الخصائص الشعرية ، ويتألف من الملاحم والاساطير والتراتيل

www.iraqinhistory.com

والمراثي والامثال والحكم ، تعكس جميعها الحياة الروحية والثقافية ، ولها مكانة مرموقة بين ما ابتدعه الانسان المتمدن من نتاج ذهني كان له أبعد الاثر في المبتكرات الادبية للحضارات اللاحقة في الشرق وفي الغرب .

ان هذه التآليف ـ بوصفها أقدم نتاج أدبي مدون تم اكتشافه حتى الآن ـ بشهادة عالم الآثار صموئيل نوح كريمر وشهادة علماء آخرين ـ زودتنا بمصدر مادي جديد في نوعيته وغني في محتوياته ، فكانت منطلقنا في البحث والتقصي ، مثلما كانت هدف البحث في الاستنتاج واستخلاص الحقائق الموضوعية ، وفق اعتبارات ومعايير منهجية كانت لنا العون والسند في جهدنا البحثي المتواضع .

ان جانباً محدداً من هذه التآليف ، هي التي كانت مبتغانا بما يناسب موضوع بحثنا الذي وسمناه « الجذور الاولى لاساطير الرحلات في العراق القديم » أو « الرحلة الى الفردوس والجحيم ، في أساطير العراق القديم » .

إلا ان تخصيص الرحلات وربطها بجهة السفر ، اقتضى ، فيما اقتضاه ، استيفاء النظر والاطلاع على مجمل التآليف الادبية من اساطير وملاحم وحكايات تمهيداً لحصر نماذج بذاتها نستوفي من خلالها الابعاد الجغرافية والنفسية والروحية للرحلات ، ودوافعها الذاتية والموضوعية ، واسلوب الرحلة ، وأهدافها الظاهرة والكامنة .

كان المقرر ـ في البداية ـ أن يقتصر البحث على « الرحلة الى العالم السفلي » ولو أردنا التحديد لقلنا « رحلة إنانا الى العالم السفلي » . أما عن السبب الذي دفعنا الى توسيع دائرة البحث ، فهو « المصادفة » ولنقل « المصادفة العلمية ، لا غير » ونجد لزاماً علينا أن نشير الى تفاصيل هذه « المصادفة » ، تاكيداً للأمانة العلمية مشفوعة بالوفاء من الطالب لاستاذه الذي لا يبخل على طلابه في وضعهم أمام محاور الاختيار خدمة للبحث العلمي ، ليخرج وهو أكثر شمولية ، وأعمق أثراً ، وبالتالي ، ذو قيمة تسمه بسمات الخصوصية والريادة .

كان ذات صباح ، التقيت فيه استاذي الجليل الدكتور فاضل عبدالواحد ، في مكتبه بكلية الآداب / قسم الآثار ، لاستدل بخبرته على محاور البحث ، واستزيد من ملاحظاته وتوجيهاته ، ومن ثم الاستعانة ببعض المصادر

www.iraqinhistory.com

الممكنة .

سالني الاستاذ فاضل عبدالواحد علي استاذ الآثار والأدب السومري بجامعة بغداد ، عن عنوان البحث . أجبته ان العنوان هو « الرحلة الى العالم السفلي ـ النص السومري نموذجاً » . بعد هدأة قصيرة ، قال لي : ما رأيك أن يكون موضوع البحث أوسع من ذلك وأشمل ؟. ما رأيك أن يكون « أساطير الهبوط والصعود » ؟.

لقيت الفكرة مني ترحيباً لم أعلنه في وقتها ، بل اكتفيت بالانصات الى ما بعد ذلك من ملاحظات قيمة كانت بمثابة إضاءات نسير في هديها ونحن نبدأ من نقطة الصفر لوضع مخطط جديد لخارطة جديدة تستوعب ما تمليه تشعبات التغيير على اسس واعتبارات لم يحسب حسابها سابقاً لتحديد هوية البحث واضعين نصب أعيننا ضرورة أن يتوافر على عناصر الجدة والابتكار باسناد المصادر التي قمنا على تقصيها ، واعتماد المناهج العلمية التي تخدم البحث وتوجهه الوجهة العلمية الصحيحة .

وتهيأ لنا أن نخرج بنتيجة طيبة ومشجعة منحتنا إياها فرصة التجريب من خلال بلورة فكرة موضوع البحث وتنظيم مفرداته ، وصياغته ـ البحث ـ باسلوب ـ قد لانغالي إن قلنا ـ جديد ، محفز للفكر ، ومنسجم مع الاختيار .

لقد شغل الكثير من الباحثين بموضوع الاسطورة من حيث اصولها ومعانيها وفائدتها ودلالاتها وعلاقاتها بمصنفات التراث الاخرى ، الشفاهية منها والمدونة ، كالحكاية والحكاية الخرافية ، والملحمة ... الخ .

وقد صنفت الاسطورة بحسب موضوعها أو طبيعتها أو هدفها ، الى عناوين ليست قليلة ، وكان التصنيف أوسع مما تستوعبه الاساطير ذاتها ، حتى ان الاسطورة الواحدة يمكن أن تقع تحت مجموعة عناوين . عليه ، كان التصنيف مشوشاً ، بل كان في بعض الاحيان أشبه ما يكون اعتباطياً لا يقوم على أسس محددة ، ولكنه قائم على أساس النظر الى الغلاف الخارجي ـ إن صح التعبير ـ للاسطورة .

والذي لفت انتباهنا هو ان هذه التصنيفات ـ على كثرتها ، وتنوع الاسماء التي اعطيت لها ـ إلا انها أغفلت محوراً مهماً من محاور التفكير الاسطوري في العراق القديم ، ونعني به « أساطير الرحلات » .

www.iraqinhistory.com

لقد تناولت التآليف الادبية السومرية والاكدية موضوع الرحلات بشكل لافت للانتباه . وبالعودة الى الاساطير السومرية التي قام على تصنيفها « كريمر » في كتابه الذي يحمل اسم « الاساطير السومرية » ، نجده قد اتبع التصنيف التالي :

١ ـ أساطير النشوء ، ويضمنها أساطير خلق الكون وتنظيم الكون وأساطير خلق الانسان والاشياء .

٢ ـ أساطير كور ، ويضمنها هلاك كور ، وذبح التنين ، وهبوط إنانا الى العالم الأسفل .

٣ ـ ثم الصنف الثالث ، وهو « أساطير منوعة » ويضمنها « الطوفان » « زواج مارتو » « إنانا تفضل الفلاح » .

وبعد اعادة النظر في هذا التصنيف ، وتصانيف اخرى ، بعضها مماثل تقريباً ، وبعضها مختلف ، حصرنا العناوين التالية :

١ ـ انكي واريدو : رحلة إله الماء الى نفر .
٢ ـ إنانا وانكي : نقل فنون الحضارة من أريدو الى أوروك .
[illegible] انليل وننليل : الرحلة الى العالم السفلي وولادة القمر .
[illegible] ـ رحلة نركال الى العالم السفلي .
٥ ـ رحلة انكي الى اور : توزيع الوظائف والمهام .
٦ ـ رحلة إنانا الى العالم الاسفل .
٧ ـ اسطورة الطوفان .

ويضيف « [illegible] » الى هذه التصانيف أساطير بابلية نختار منها :

١ ـ ملحمة جلجامش ، أو ما يسميها « أساطير جلجامش » .
٢ ـ اسطورة أدابا .
٣ ـ اسطورة إيتانا .

ومن جانبنا ، نستطيع أن نصنف هذه الرحلات الى قسمين :

١ ـ الرحلات الداخلية ، وهي أشبه ما تكون برحلات (ملكية) أو (تفقدية) ، تلك التي تتحرك فيها الآلهة بين مدينة واخرى من مدن العراق القديم ، وكل رحلة من هذه الرحلات ترتبط بهدف ، لا يسمح الموضوع للدخول في تفاصيله .

www.iraqinhistory.com

٢ ـ الرحلات التي اصطلحنا على تسميتها (الرحلات الكونية) أو (الرحلات الى عالم ما بعد الحياة) أو (الرحلات الخيالية) أو (أساطير البحث عن الخلود) ، وهي الرحلات التي توجّه ابطالها الى مناطق هي خارج حدود العالم القديم المعروف آنذاك . واخترنا لذلك أربعة نماذج هي :

١ ـ رحلة إنانا / عشتار الى العالم السفلي .
٢ ـ رحلة أدابا الى السماء .
٣ ـ رحلة إيتانا الى السماء .
٤ ـ رحلة جلجامش الى الفردوس الأرضي .

وقد أخذنا بنظر الاعتبار كون ملحمة جلجامش تنقسم الى وحدات هي بمثابة عناصر اسطورية ، وهذه الوحدات هي :

١ ـ الانكيديادا
٢ ـ الصراع مع خمبابا وقتل الثور السماوي
٣ ـ موت انكيدو
٤ ـ الرحلة الى الفردوس الارضي
٥ ـ موت جلجامش

وتجدر الاشارة الى ان اختيارنا لهذه النماذج الاربعة مبني على وجود خيط يوصل بين هذه الرحلات من حيث البناء الشكلي والمضموني ، ومن حيث العناصر الاسطورية الموجودة في هذه النصوص ، ووظائف الشخصيات وحركتهم في فضاءات وعوالم تشترك في طبيعتها الميتافيزيقية برغم الاختلاف النسبي في مناخها الاسطوري ، حتى لتبدو أحياناً وكانها اسطورة واحدة بأبنية مختلفة من حيث ترتيب العناصر المتضمنة فيها ، ومن حيث استبدال الشخصيات وأسمائهم .

والسمة البارزة والاساسية للبطل في هذه النماذج هو سعيه الحثيث من أجل هدف واحد ينتظم وحدات الحكاية الاسطورية إن ضمناً أو صراحة ، وهذا الهدف المشترك هو الذي تتآزر فيه جميع العوامل لدفع البطل ، أو لاحباط مساعيه في الوصول الى هدفه ، وهو البحث عن الخلود .

ولمعالجة هذه النماذج المنتقاة من « أساطير الرحلات » وجدنا أن نستفيد من مناهج البحث المختلفة ، ولقد توفرنا على مصادر حديثه عالجت الاسطورة وفق منظور جديد ، ونرى أن ناتي على ذكر فلاديمير بروب الذي كان مبتدعاً للمنهج

www.iraqinhistory.com

الشكلاني في كتابه « مورفولوجيا الحكاية الخرافية » ، وَ « فرديناند دي سوسيور » مبتكر علم اللغة العام في كتابه الذي يحمل ذات الاسم « علم اللغة العام » ، والذي قام باطلاعنا على ان اللغة تتكون من عناصر لا يمكن فكها أو حلها ، وهذه العناصر هي الصوت من ناحية ، والمعنى من ناحية اخرى .

وقد تناول رومان جاكوبسن « الصوت والمعنى » لدراسة الاسطورة وتشبيهها بالموسيقى ، لكن الفرق بينهما ـ في رأيه ـ هو ان عنصر الصوت هو السائد في الموسيقى في حين يكون عنصر المعنى هو السائد في الاسطورة .. وهذا يلتقي مع ما أكده كلود ليڤي شتراوس من (ان الموسيقى من ناحية والميثولوجيا من ناحية اخرى قد ظهر كلاهما من اللغة ، لكنهما قاما بالنمو والنضج في اتجاهات مختلفة ، فالموسيقى تؤكد الجانب الصوتي الموجود بالفعل مندغماً في اللغة ، بينما تؤكد الميثولوجيا جانب الادراك ، أي جانب المعنى الموجود أيضاً مندغماً في اللغة .

يجدر أن نشير الى ان منهج شتراوس ومجهوده اللافت للنظر ، لا يكمن في اقتراح علم بنائي للاساطير أو للفعالية الميثولوجية ، وانما في المكانة التي يعطيها لخطابه الخاص عن الاساطير . وتتجسد هذه المكانة ـ كما يقول جاك دريدا صاحب نظرية الاختلاف ـ في التخلي الصريح عن كل احالة على مركز ، أو موضوع ، أو مرجع ذي حظوة ، أو أصل ، أو بداية مطلقة . أي الانزياح عن المركز . ويمكن تقييم منهجه من ناحيتين :

الاولى : هي ان ليڤي شتراوس يعترف بأن أية اسطورة لا تستحق أن تكون (اسطورة مرجعية) وعليه فمن المشروع أن نختار أية اسطورة تكون ممثلًا للمجموعة باعتبارها نقطة الانطلاق . ومن وجهة النظر هذه ، فان أهمية الاسطورة المرجعية لا ترتبط بطابعها النموذجي ، بل ترتبط بالاحرى ، بموقعها غير المنتظم في المجموعة .

الثانية : هي ، لا وجود لوحدة أو لمصدر مطلق للاسطورة ، فالبؤرة أو المصدر هما دائماً ظلان أو امكانان يتعذر الامساك بهما ، ومن هنا تطرح دراسة الاساطير مشكلة مناهجية ، وذلك لكونها لا تستطيع التقيد بالمبدأ الديكارتي المتعلق بتقسيم الصعوبة الى القدر الضروري من الاجزاء لحلها ولا توجد وحدة سرية يمكن الامساك بها عند نهاية عمل التحليل ، فالموضوعات تتضاعف الى ما لا نهاية ، وعندنا نظن اننا فصلنا بعضها عن البعض الاخر واننا عزلناها عن بعضها بعضاً ، نلاحظ انها

تتلاحم نتيجة استجابتها لاغراءات بعض القرابات غير المتوقعة .

ويؤكد شتراوس على البنية المزدوجة للاسطورة ؛ فهي من جهة تستند الى أحداث ماضية حدثت في لحظة من الزمن ، مما يكسبها بنية (تاريخية) ، والجانب الاخر هو ان هذه البنية التاريخية تؤلف ايضاً بنية دائمة تتعلق بالماضي والحاضر والمستقبل ، فهي من الوجهة الاولى تصنف على انها (أحداث) أو (سلسلة تزمنية) ، وهي من الوجهة الثانية تصنف على انها (علاقات) أو (سلسلة تزامنية) ولا يعقل التزمن إلا كمقارنة بين أوضاع المنظومة وهو تابع للتزامن ، فالتزمن ليس دالًا إلا بعلاقته بالتزامن ، وليس العكس.

ويتم ترتيب هذه السلاسل افقياً وعمودياً انطلاقاً من مستويين كبيرين هما بدورهما منقسمان على أنفسهما

١ ـ القصة (الدليل) وتشمل على منطق الافعال ، وعلى تركيب الشخصيات .

٢ ـ الخطاب ، الذي يشمل الأزمنة ومظاهر السرد وصيغه .

ولا يتوقف فهم السرد على تتبع مجرى الحكاية أو القصة (في الاسطورة) أو استرسالها ، بل يتوقف أيضاً على التسلسلات الافقية « الخيط » السردي على محور عمودي ضمنياً . فقراءة سرد ما (أو سماعه) ليست فقط هي الانتقال من كلمة الى اخرى ، بل هي كذلك المرور من مستوى الى آخر . بمعنى اننا من المستحيل أن نفهم اسطورة ما على انها سلسلة متصلة ، أي سطراً بعد آخر ، ومن اليمين الى الشمال ، ويجب علينا ـ لكي نتفهمها ككل متجانس ـ أن نكتشف ان المعنى الأساس للاسطورة لا ينتقل من خلال سلسلة من الأحداث ، ولكن من خلال حزمة من الوقائع أو الأحداث قد تظهر في لحظات مختلفة من القصة ، وهذا يعني اعادة ترتيبها ، ومن ثم قراءتها ـ كما تقرأ مقطوعة موسيقية (الاوركسترا) ـ من اليمين الى اليسار ، وفي الوقت نفسه من أعلى الى أسفل : من القمة الى القاع ، وان نفهم ان كل صفحة هي كل ، أو وحدة اسطورية غير قابلة للتجزئة . هكذا يمكننا أن نستخلص المعنى .

وقد نجح شتراوس في تطبيق منهجه هذا على أساطير في الامريكتين الشمالية والجنوبية ، وكانت نماذجه عبارة عن نصوص مختلفة لاسطورة واحدة في أكثر من بقعة جغرافية ، توصل بعدها الى ربط هذه الاساطير ببعضها مستدلًا ـ من خلال ما اكتشف من علاقات ـ على انها تنويعات ، أو قراءات مختلفة لاسطورة معينة .

www.iraqinhistory.com

وقد رأينا ان بامكاننا أن نلوي عنق المنهج ذاته لنعالج به أساطير تنتمي الى فترة تاريخية واحدة هي ما أسميناها « أساطير الرحلات » وقمنا على تقسيم الاسطورة الواحدة الى عدد من المستويات أو « الطوابق » أو « الوحدات » ، ثم قمنا على ترتيبها بعد دراسة مظاهر السرد ومنطق الأفعال وتركيب الشخصيات ، فحصلنا على « حزم وقائع » تمت جدولتها ، فكانت النتائج ـ أكثر مما توقعنا ـ باهرة طيبة ، سنتبينها من خلال فصول البحث .

وقد عقدنا البحث على أربعة فصول ، وخاتمة ، وأربعة ملاحق :

خصص الفصل الأول لدراسة : الاسطورة ، الملحمة ، الخرافة ، تضمن تعريفاً للاسطورة ، وعلاقتها ؛ بالعلم ، بالتحليل النفسي ، بالسحر ، وبالدين . ثم ذكرنا أنواع الأساطير ، وفائدة الاسطورة . وذكرنا علاقة الاسطورة بالخرافة والفروقات بينهما من وجهة نظر باحثين متخصصين .

بعدها انقلنا الى تعريف الملحمة وتبيان شروطها ، كما ذكرها ارسطو في « فن الشعر » ، وأنواع الملاحم ، وخواصها ، والاختلاف بين المادة الملحمية السومرية والمادة الملحمية الاغريقية والهندية والتيوتونية .

ودرسنا في الفصل نفسه : الابعاد الكونية الثلاث للرحلات في اساطير العراق القديم ، ملخصين تصورات السومريين ومعتقداتهم حول خلق الكائنات . لننتقل الى عرض سريع لكل من اسطورة : أدابا ـ أيتانا ـ جلجامش .

أما الفصل الثاني ، فقد درسنا فيه موضوع « الفردوس » ، تعريفاته وعلاقته بمعنى « الجنة » . وتناولنا « دلمون » من حيث كونها مدينة تاريخية ترقى الى الخيال أكثر من كونها واقعاً جغرافياً ، وعرضنا لاسطورة دلمون ، وطعام الحياة الذي ارتبط وجوده بالجنة ، والاشارة الى رموز اخرى من رموز الجنة والتي هي (الحية ـ المرأة ـ القمر) . والقسم الثاني من الفصل ، تضمن موضوع « الخلود » وسعي الانسان العراقي القديم الى نيله متمثلًا في شخصية جلجامش محاوراً بطل « الطوفان » « اوتونبشتم » . ثم اتبعناه بموضوع « الخلود الممكن » كبديل سعى اليه الانسان في فجر تاريخه ، حين تعذر عليه الخلود بمعناه الحقيقي .

وفي الفصل الثالث درسنا اسطورة هبوط إنانا الى العالم السفلي بتقسيمها الى « مستويات » أو « طوابق معمارية » اكتشفنا من خلالها مملكة الجحيم التي تحكمها « أريشكيجال » ورموز العالم السفلي وشياطينه ، وعلاقات الآلهة بهذا

www.iraqinhistory.com

العالم ، ومحظوراته ، وقوانينه

وقبل ذلك درسنا في نفس الفصل « إنانا » / عشتار كونها إلٰهة الحب والعلاقات الجنسية شخصيتها ، وظائفها ، وجوهها ، علاقاتها بالآلهة .

أما الفصل الرابع ، والأخير ، فقد خصصناه لدراسة موضوع « الرحلة ، والرحلة الخيالية » من حيث كون « الرحلة السومرية » أو « البابلية » هي الجذر التاريخي للرحلات التي وجدت بعد ذلك في حضارات اخرى في التاريخ . انتقلنا بعدها الى دراسة شخصية بطل الرحلات في أربعة نماذج ، والتأكيد من خلال جداول مرفقة ، على وجود علاقات مدعمة بالقرائن ، بين أبطال الرحلات في النماذج التي ذكرناها

وتضمن الفصل أيضاً دراسة « بنيات اسلوبية » تشترك فيها هذه النماذج وقد قصرناها على عنوانين : أولهما ، التكرار ووظائفه ، وثانيهما الاستفهام الانكاري .

ثم اتبعنا الفصل الرابع بمجموعة جداول تتضمن خلاصة استنتاجاتنا من خلال مقارنات مدروسة .

وأخيراً تأتي الخاتمة خلاصة نهائية لما درسناه في فصول البحث .

www.iraqinhistory.com



www.iraqinhistory.com

الفصل الأول

الأسطورة
الملحمة
الخرافة

﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾
قرآن كريم

www.iraqinhistory.com

١

الأســـطـورة

يستخدم مصطلح الاسطورة Myth للدلالة على مجموعة عناصر من الرموز الدينية التي تتميز عن مفردات السلوك الرمزي ، كالعبادات والطقوس وأماكنها . وأحداث الاسطورة وموضوعاتها خارقة ، ليست مألوفة . شخوصها الآلهة والابطال من البشر الذين يقومون بأعمال غير اعتيادية تختلف عن أعمال البشر الاعتياديين[١].

والاساطير في لسان العرب تعني الاباطيل .. والاساطير احاديث لا نظام لها ، واحدتها إسطار وإسطارة بالكسر واسطير واسطيرة واسطور واسطورة بالضم .. وسطرها ألفها ، وسطر علينا : اتانا بالاساطير ..

يقال : هو يسطر ما لا أصل له ، أي يؤلف[٢].

ويقال أيضاً : سطر فلان على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمقها . وتلك الاقاويل ، الاساطير[٣]. وقالوا أيضاً عن الاسطورة « احدوثة واحاديث »[٤].

وقد جاء في القرآن الكريم ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا إلا اساطير الاولين ﴾[٥] .. بمعنى ما سطروه من أعاجيب احاديثهم[٦].

وان للنطق علاقة وثيقة بمعنى الاسطورة في الاصل اليوناني . فكلمة Mythos اليونانية ، هي نفسها Myth . ومعناها الشيء المنطوق ، وعلى هذا فان الاسطورة في

www.iraqinhistory.com

بدايتها كانت تعني الكلام المنطوق قبل أن تختص بحكايات الآلهة وأفعالهم[٧].

أما الميثولوجيا ، فهو علم دراسة الاساطير والخرافات[٨] والكلمة تتكون من شقين ، الأول ماخوذ من الكلمة Mytho اليونانية ، وتعني حكاية تقليدية عن الآلهة والابطال ، والشق الثاني Logy يعني : علم . والكلمة « ميثولوجيا » تعني : علم دراسة الحكايات التقليدية عن الآلهة والابطال[٩] ، بمعنى آخر : العلم الذي يتعامل مع الاساطير المتداولة بين الناس[١٠] ، كذلك تعني الميثولوجيا الاساطير التي يختص بها شعب من الشعوب[١١].

والميثولوجيا ليست ديناً ولا تاريخاً ولا فلسفة ولا شعراً ، انها تشكل كل هذا تحت تلك الصيغة المتميزة من التعبير الطبيعي في مرحلة معينة من مراحل تطور الفكر واللغة .[١٢]

يعرف السواح الاسطورة بانها حكاية مقدسة ، يلعب أدوارها الآلهة وأنصاف الآلهة . أحداثها ليست مصنوعة أو متخيلة ، بل وقائع حصلت في الأزمنة الاولى المقدسة ، فهي معتقد راسخ ، الكفر به فقدان الفرد لكل القيم التي تشده الى جماعته وثقافته . وتنتقل من جيل الى آخر بالرواية الشفوية ، مما يجعلها ذاكرة الجماعة .[١٣]

ويعرّف وارين ويليك الاسطورة انها (حكاية لا عقلانية ، أخذت تعني أية قصة مجهولة المؤلف تتناول الاصول والمصائر ، والتفسير الذي يقدمه المجتمع لابنائه عن سبب وجود العالم ، وعن سبب تصرفاتنا ، والصور المجازية التعليمية لطبيعة الانسان ومصيره)[١٤]، أو هي مركب من القصص ـ البعض منها حقائق ، والآخر خيال ، والتي يعتبرها الناس ، ولاسباب مختلفة ، مظاهر للمعنى الداخلي لعالم الحياة البشرية .[١٥]

ويرى ديڤيد بدني ، انها ظاهرة حضارية كونية ، تنشأ في جمع من الدوافع وتطال كل القدرات العقلية .[١٦]

والاسطورة ـ برأي كريمر ـ قصة مقدسة تتضمن موضوع الخلق وبداية الوجود ، وتصف الاحداث المثيرة التي صاحبت عملية الخلق ، والدور الذي قامت به مختلف الآلهة والمخلوقات الاسطورة في هذه الاحداث[١٧]، وتمتاز ببراعة في التصوير ، وأصالة في الاسلوب ، ودقة في الصياغة ، بل ان الجانب الفني والأدبي ، يكاد يطغى على الجانب الفكري فيها .[١٨]

www.iraqinhistory.com

والتصوير الشعري الذي في الاسطورة ، ليس مجرد سرد لقصة رمزية ، إن هو إلا ثوب اختاره البدائي بعناية للفكر المجرد ، فالصور لا يمكن فصلها عن الفكر[١٩]، وتتجلى الناحية اللاعقلية في الاسطورة ، بوجه خاص ، عندما نتذكر ان الاقدمين لم يكتفوا بسرد أساطيرهم كأقاصيص تحمل الاخبار ، بل مثلوها روائياً ، قائلين ان فيها قوة خاصة تنشط بالالقاء الجهوري .[٢٠]

ويعرّف فرانكفورت الاسطورة بأنها « ضرب من الشعر يسمو على الشعر باعلانه عن حقيقة ما ، ضرب من التعليل العقلي يسمو على التعليل بأنه ينبغي احداث الحقيقة التي يعلن عنها ، ضرب من الفعل ، أو (المسلكة المراسيمية) لا يجد تحقيقه بالفعل ذاته ، ولكن عليه أن يعلن ويوسع شكلًا شعرياً من أشكال الحقيقة »[٢١].

ويكتفي رولان بارت بالقول بأن « الاسطورة كلمة .. نسق من التواصل . انها رسالة ، ويبدو من هنا ان الاسطورة لا يمكن أن تكون موضوعاً ، أو مفهوماً ، أو فكرة ، انها نمط دلالي »[٢٢].

ويعتقد البعض ان الاسطورة ليست مجرد حكاية خرافية ، بل هي منهج فكري استخدمه الانسان القديم ليعبّر فيه عن نظراته في الكون ، بدء الخليقة ، نظام الكون ، الصراع الأزلي بين الخير والشر ، ويطرح فيه تساؤلاته عما يراه من تناقضات تشوب هذا النظام الذي ابتدعه الإله الاعلى[٢٣]، بينما يحاول دي سوسيور[٢٤] أن يضيق دائرة المعنى لتكون الاسطورة نموذجاً جمالياً لاسطورة الخليقة .

لكن كلود ليفي شتراوس ـ الذي أخضع دراسة الاسطورة لقوانين علم الانثروبولوجيا[٢٥] يؤكدان الاسطورة تستند دائماً الى أحداث ماضية : « قبل خلق العالم » أو « خلال العصور الوسطى » أو « قبل وقت طويل » إلا ان القيمة الذاتية المنسوبة الى الاسطورة تنجم عن ان هذه الأحداث ، المفروض انها حدثت لحظة من الزمن ، تؤلف أيضاً بنية دائمة . وهذه البنية تتعلق ، في آن واحد ، بالماضي والحاضر والمستقبل .[٢٦]

الاسطورة والعلم :

يطمح التفكير الاسطوري الى فهم شامل وكلي لهذا العالم ، بأن ينهج طريقة للتفكير تتضمن اليقين بأنك لو لم تستطع فهم كل شيء ، فانك لن تستطيع تفسير أي

www.iraqinhistory.com

شيء .[٢٧]

وهذا يناقض تماماً ما يفعله التفكير العلمي الذي يتقدم خطوة خطوة ، وكما يقول ديكارت ، فان التفكير العلمي يهدف الى تقسيم المشكلة الى أجزاء عديدة بقدر ما تقتضيه الضرورة من أجل أن يقوم بحلها ، وهكذا ـ يقول شتراوس ـ فان هذا الطموح الكلي في « العقل المتوحش » أمر يختلف تماماً عن اجراءات التفكير العلمي .[٢٨]

تعد الاساطير بالنسبة للانسان الأول ، خير وسيلة للتأمل من أجل فهم الطبيعة وكشف أسرارها ، فهو لم يكن قادراً على تحليل الظواهر ، والخروج بنتائج تمنطق الأسباب والعلل ، لذلك نراه يصفها في رموز تعكس طريقة حياته ، حاملة بين ثناياها خوفه وتوقه ودهشته ورغبته أمام حالات البقاء والموت والخلود .[٢٩]

وهكذا ، فانه من وجهة نظر منطقية ، هناك نوع من القرابة ، أو الصلة ، بين الرمز الاسطوري ، وبين طبيعة المشكلة التي تحاول الاسطورة حلها . والمشكلة ليست حقيقية من وجهة النظر العلمية ، ولكن كان بالامكان أن نفهم هذه الخاصية للاسطورة عندما وجدت السبرنطيقا والحاسبات الالكترونية ، وزودتنا بفهم العمليات الثنائية التي استخدمت فعلًا بطريقة شديدة الصعوبة ، ومع أشياء أو كائنات ملموسة من خلال التفكير الاسطوري ، وهكذا فانه ليس هناك حالة من الطلاق بين الاسطورة والعلم .[٣٠]

ان العلم ، على الرغم من قوة قوانينه ، ورصانة منطقه ، يجعل من الحقائق مجردات لا تشبع الجانب اللاعقلاني في الانسان ، على العكس من الاساطير التي تؤكد نواحي نفسية عميقة الجذور ، وذات أثر فعال على حياته ، الى الحد الذي غدت فيه الاساطير رموزاً لكل تجاربه الاولى في الحياة .[٣١]

ولغة الرمز هي اللغة التي تنطق عن الخبرات والمشاعر والافكار الباطنية ، كما تنظر لغتنا المحكية عن خبرات الواقع ، مع فارق هام ، يكمن في شمولية لغة الرمز وعالميتها ، وتجاوزها لفوارق الزمن والثقافة والجنس .[٣٢]

الاسطورة والتحليل النفسي

من الناحية النفسية تقوم الاسطورة باداء وظيفة استبطانية ذهنية وانفعالية ترتبط بالواقع الشمولي للافراد والجماعات[٣٣]. فتدرس اذن حسب قدرتها على اداء

www.iraqinhistory.com

وظيفة اجتماعية . ويؤكد برونسلاف مالينوفسكي ان حاجة المجتمعات البدائية للاسطورة كانت تبريرية والغاية منها الحفاظ على مؤسساتها الاجتماعية وتقاليدها الوثنية والعرقية والجمالية والدينية .[٣٤]

أما فرويد فيفسر الاسطورة على انها (تراكمات تسببها تفاعلات اللاوعي ، والجنس مصدرها الاساسي)[٣٥]، ويصور فرويد اللاوعي على صورة مستودع تخزن فيه الخيالات الجنسية دون أن يعلم الوعي شيئاً ، والاساطير ما يتحرر من هذا الخزين[٣٦]. ولما كانت الاحلام تعتمد في مادتها على ماضي اللاوعي ، فان فرويد قد ربط بين لغة الاساطير ولغة الاحلام باعتبار ان الاولى ما هي إلا تعبيرات عن تجارب ذات دلالة ، مستفيداً من بعض الاساطير لتوضيح رأيه[٣٧]. فأساس اسطورة اوديب مثلًا مادة حلمية قديمة ازلًا ، متصلة بهذا الاضطراب الاليم الذي ينتاب علاقة الطفل بوالديه من جراء نزعاته الجنسية الاولى[٣٨]، بينما اهتم فرويد باللاشعور الفردي بوصفه مصدراً للاساطير ، نرى يونغ يهتم باللاشعور الجمعي ، بوصفه مستودعاً للذكريات الموروثة من ماضي الاسلاف الاقدمين ، هذا الماضي الذي يشتمل ، فضلًا عن تاريخ الانسان ، على تاريخ اسلافه من البشر والحيوانات ، ويحتوي على كافة المتخلفات النفسية لنمو الانسان التطوري ، المتراكمة نتيجة لخبرات متكررة لاجيال متعددة ، هذه المتخلفات لا علاقة لها بشخص معين لأنها تكون مشاعة بين البشر جميعاً . وسبب شيوع اللاشعور الجمعي عند البشر كافة يرجع الى ان البناء العقلي متشابه عند الجميع بسبب التطور المشترك[٣٩].

الاسطورة تنبع من اللاشعور الجمعي ، وصورها تكمن في اعمق اعماقه ويسميها يونغ النماذج العليا Archety types ورثها الانسان من عهود الانسانية العليا ، وتعد هذه النماذج مصدراً لكثير من الصور والخيالات المتعلقة بالجن والارواح وموضوعات السحر ... الخ ، وكثيراً ما كانت مادة اساسية اغنت الفنون والآداب[٤٠].

يؤكد فرانكفورت على « وعي تام بالوظيفة الخلاقة التي تقوم الاسطورة بها كطاقة حضارية حية »[٤١]، بوصفها جوهراً اصيلًا يربط الناس بعضهم الى بعض ، بارجاعهم الى الماضي السحيق ، ماضي الجنس البشري الذي يكشف عن كل ما هو بدائي وشائع بينهم ، فهي اذن تحديد وتنقية للنزعات اللاعقلانية عندهم .[٤٢]

لقد أدت الاسطورة دوراً كبيراً في دفع الانسان الى البحث عن المناهج والمبادىء الصحيحة للعقل والنظر والتأمل ، عن طريق الحاحها الشديد على الفكر البشري . وقد حاول الانسان احياناً ازاحتها جانباً الى ان تمكن العقل البشري من

www.iraqinhistory.com

امتلاك زمام الفكر ، صارت الاسطورة في العصر الحديث موضع اهتمام كبير بوصفها شحنات مركزة من العواطف والمشاعر والانفعالات والاحاسيس البشرية التي تعبر عن طاقات اللاشعور الانساني المكبوت . والاسطورة ليست شيئاً من باب الكلام الفارغ الذي يأتي اثناء ساعات السأم والبلبلة ، بل هي فعل نفسي قوي ذو مدلول روحي وخلقي . وقد حفزت الاسطورة نشاط العقل الانساني والذي بعد أن قوي أقبل على الاساطير بروحية مبدعة ووعي جديد ، وصار هو المهيمن عليها بعد أن كانت قديماً تهيمن على تفكيره بوصفها مصدراً لرغباته وتطلعاته واهواله ومخاوفه[٤٣]. ومهما كان شأنها ، فهي تمثل الثمرة الاساسية لبدايات التفكير الانساني ، وتعتبر النتاج الادبي الأول ، مما وضعها في المقام الراقي والمنزلة الرفيعة عند الادباء والمفكرين والفلاسفة[٤٤].

الاسطورة والسحر

لقد تخطى الانسان محاولته الاولى لتفسير الظواهر الكونية عن طريق الاسطورة الى محاولته السيطرة على الطبيعة[٤٥]، في حين نرى شتراوس يؤكد بأنه عن طريق العلم نستطيع السيطرة على الطبيعة بينما لا تعطينا الاسطورة القوة المادية الكامنة للوصول الى مثل هذه الغاية ، إلا انها تعطي الانسان ، وهذا أمر شديد الأهمية ، الوهم بأنه قادر على فهم العالم[٤٦]. ولما كانت نظرة الانسان الى الطبيعة تعاطفية كان السحر الاداة الأكثر فاعلية للسيطرة عليها واخضاعها لمصلحته فيرى فريزر ان الجنس البشري قد مر بثلاثة مراحل تطورية هي « ١ ـ مرحلة السحر ، ٢ ـ مرحلة الدين ، ٣ ـ مرحلة العلم ، والاسطورة ترتبط بمرحلة السحر »[٤٧]، وبالنسبة للاساطير المتعلقة بالسحر ، يرى بعض الباحثين ان دورها ينصب على ملء الفجوات في النشاطات الانسانية التي لم يقدر البدائي على ضبطها وتوجيهها نحو ما يريد لضمان نتائجها ، فالسحر من هذا الجانب يزود الانسان بالثقة ويجعله قادراً على تحمل الاعباء عند فشل وسائله الاعتيادية ، فهو عند مالينوفسكي ، القوة التي تسمح للبدائي أن يواجه مصاعب الحياة باتزان عاطفي وذهني وعصبي في ظل أصعب الظروف ، ولو خلت حياة البدائي من السحر لتعرض الى الانهيار النفسي ولهدّده القلق والشعور بالكراهية . بل ان مالينوفسكي يذهب الى إبعد من ذلك حينما يؤكد ان السحر ، بما يؤديه في عالم البدائيين ، يشبه ما يؤديه العلم في مجتمعاتنا المتقدمة ، لما يرميه من هدف واضح ومحدد يتصل

بالدوافع والحاجات والاهداف البشرية ، عند تطبيقه على مبادىء محددة .(٤٨)

الاسطورة والدين

اما عن العلاقة بين الدين والاسطورة فقد اثارت اهتمام عدد كبير من الباحثين والمفكرين والفلاسفة ، أبرزهم : فوندت ، دوركايم وهيوبرت وكراولي الذين لاحظوا مدى الترابط الموجود بين الاثنين وبين العرف المقدس والبناء الاجتماعي ، استهدف هؤلاء من وراء ذلك بناء نظرية علمية اجتماعية حضارية تبين دور الاساطير في المجتمع وطبيعتها ، على اساس ان الاسطورة في المجتمع [illegible] التي ليست مجرد حكاية تحكى ، بل هي في نظرهم الحقيقة المعاشة يومياً [illegible] احداثاً يعتقد البدائي انها وقعت في ماضي زمانه كما يعتقد باستمرار تأثيرها على ابناء جنسه .(٤٩)

وهناك من يربط بين الطقوس والاسطورة ، حيث يؤكد كاسيرر انه ليس ثمة فارق جذري بين الفكر الاسطوري والديني ، فكلاهما نتاج لظواهر واحدة اساسية في الحياة الانسانية ، فالتاريخ لا يعطينا وقتاً ظهرت فيه الاسطورة بمعزل عن الدين ، أو ظهر فيه الدين بمعزل عن الاسطورة . فلا وجود هناك لنقطة تنتهي عندها الاسطورة ليبدأ الدين أو العكس . الدين اذن مرتبط بالعناصر الاسطورية متواشج بها على نحو لا ينفصم(٥٠).

ومن أجل فهم الاساطير اذاً لا بد أن نبدأ بالطقوس كما يؤكد كاسيرر إذ يقول « فالاساطير الخاصة التي صيغت عن الآلهة والابطال لن تستطيع أن تكشف لنا سر الدين ، لانها مجرد شكل تفسيري لهذه الطقوس التي هي قائمة بالفعل وهي بمثابة الجانب النظري للحياة الدينية العملية ، وأية محاولة لابراز اسبقية أحد هذين الجانبين تكون مجحفة للجانب الآخر ، فالمظهر النظري لا ينفصل عن العملي ، وكلاهما متضايقان ، يدعم أحدهما الآخر ويفسره(٥١).

ويرى تومسن ان الاسطورة ابتدعت من الطقوس ، وانها لم تنفصل عنها إلا بعد أن نشأت طبقة من الحكام كانت ثقافتها منفصلة عن عمل الانتاج(٥٢). ويرى ريفين بأن هناك عملية تبادل للمواقع بين الاسطورة والطقوس ، فالاولى تقف على المستوى الفكري فيما تقف الاخيرة على المستوى العملي(٥٣).

ويلاحظ الباحثون في تاريخ الحضارات ان ممارسة الطقوس الدينية وسرد

www.iraqinhistory.com

الملاحم وأقاصيص البطولة ، لعبت دوراً بارزاً في تثبيت اسس الكيان الحضاري للمجتمعات القديمة[٥٤] . وكانت الاساطير تنتقل من عصر الى عصر ، ومن شعب الى شعب ، لتساهم في عملية استمرار التطور الحضاري[٥٥].

أنـــواع الأســاطير

الاسطورة الشعائرية[٥٦] (الطقسية)[٥٧]

يفترض السواح[٥٨] ان الذي أسس هذا الاتجاه ، رائد الانثروبولوجيا الحديثة السير جيمس فريزر[٥٩]، الذي يقول في الغصن الذهبي بأن الاسطورة قد استمدت من الطقوس ، فبعد مرور زمن طويل على ممارسة طقس معين .. تأتي الاسطورة لاعطاء تبرير لطقس مبجل قديم لا يريد أصحابه نبذه أو التخلي عنه[٦٠]. ولعلها ـ أي الأساطير الشعائرية ـ كانت أقدم أنواع الاساطير في الوجود[٦١]، وانها ارتبطت أساساً بعمليات العبادة ، مهما يكن شكلها وطريقتها ، وعنيت برصد الجزء الكلامي من الطقوس قبل أن تصبح حكاية لهذه الطقوس ، ويمتاز ذلك الجزء المنطوق بقوة سحرية خفية حتى ليتمكن منشده من أن يسترجع الموقف الذي يصفه[٦٢] أو يرويه .

ومن الامثلة على هذا النوع من الاساطير ، اسطورة الخلق البابلية (اينوما ايليش) عند العراقيين[٦٣]، وديونيسيس في اليونان[٦٤]، واسطورة اوزيريس عند المصريين[٦٥].

الاسطورة التعليلية[٦٦]

وتسمى أيضاً اسطورة النشوء[٦٧]، أو الذرائعية[٦٨]، وتعد بمثابة البداية للعلم قبل الفلسفة[٦٩]، وأسس هذا الاتجاه ، عالم الانثروبولوجيا الشهير مالينوفسكي .. والذي يعد من أشهر ناقدي جيمس فريزر وأصحاب المدرسة النفسية كفرويد مثلاً . يقول مالينوفسكي ان الاسطورة لم تظهر استجابة لواقع المعرفة والبحث ، ولا علاقة لها بالطقس أو البواعث النفسية الكامنة ، بل هي تنتمي للعالم الواقعي[٧٠]، وتأتي نتيجة للتأمل في الظواهر الغريبة التي تحتاج الى تعليل ، ومحاولة لاصطناع الاسلوب المنطقي في تفسير تلك الظواهر[٧١] كالرعد وأنفجار البركان وانشقاق الأرض عن الزرع[٧٢].

www.iraqinhistory.com

ويسمى هذا النوع من الاساطير بصورة أعم « الاساطير السببية »[٧٣] .. وقد اعتبرها بعض الباحثين من أقدم الأساطير ، ووظيفتها تقديم تفسير خيالي عن منشأ عادة ما ، أو اسم ما ، أو حتى شيء ما .. كما في اسطورة اينليل والمعول السومرية ، وهي قصة الغرض منها تفسير كيفية ظهور هذه الآلة الزراعية نتيجة فعالية إله .[٧٤]

الاسطورة التاريخية[٧٥]

وهي مزيج من التاريخ والخرافة ، وتتضمن عناصر تاريخية ومجموعة خوارق تاخذ اطار حكاية تتعلق بمكان واقعي أو باشخاص حقيقيين[٧٦]، وتعود في اصولها الى أزمان سحيقة سابقة للتاريخ المدون[٧٧] والامثلة على ذلك متعددة ، فعند البابليين « ملحمة جلجامش » ، وفي تراث الاغريق « حرب طروادة »[٧٨]، ومنها أيضاً اساطير الطوفان أو الدمار الشامل بالنار السماوية ، أو الاعاصير[٧٩]، فالاسطورة في هذه الامثلة ، مبنية على أصل تاريخي ، ممتزج مع عنصر الخرافة[٨٠].

أساطير الهيبة[٨١]

ووظيفة هذه الاساطير هي تغليف ولادة البطل الشعبي ومآثره بهالة من الغموض والسحر ، ومن ذلك حكاية ولادة سرجون وروملوس[٨٢] وريموس[٨٣] وغيرهم من أبطال الخيال الشعبي[٨٤].

الاساطير الكونية

وموضوعها الاساس هو خلق الكون ، والتصورات الخاصة بنهاية العالم والمبنية على أساس الصراع بين الخير والشر وانتصار أحدهما[٨٥]، ومن الامثلة على أساطير التكوين ، قصة الخلق البابلية (اينوما ايليش)[٨٦].

أساطير الصعود والهبوط (أساطير الرحلات) :

ترى الباحثة ان تضيف نوعاً من انواع الاساطير نسميها « أساطير الصعود والهبوط » وهي التي تروي لنا رحلات الصعود الى السماء كرحلة أدابا وايتانا

www.iraqinhistory.com

ورحلات الهبوط الى العالم السفلي . ومثالها على ذلك رحلة إنانا / عشتار الى العالم السفلي . وتمثل هذه الاساطير طموح الانسان وتطلعه لاكتشاف عوالم غير منظورة وتشكيلها بمقتضى التصور والخيال .

اساطير الصيد والزراعة

تهتم بالحكايات التي تدور حول الحيوانات وطرق صيدها والبطولات التي حيكت حولها ، كذلك تدور حول مواسم الخير والعطاء أو الجدب والقحط وارتباط هذه الظواهر بالآلهة وسلوك البشر تجاهها[٨٧].

فائـــدة الاســـــطورة

تمثل الاسطورة عنصراً مهماً لا يمكن عزله عن ثقافة الانسان ، لأنها تعبر عن الروح الذاتية له في الحضارات كافة ، كما ان عالمها يزخر بالقيم الانسانية العالية والعبر الفريدة التي يمكن الاستفادة منها في مجالات كثيرة كالاخلاق والسياسة وآراء الناس حول الموت والحياة وما الى ذلك[٨٨] وهي لا تكشف لنا عن اسلوب تفكير الجنس البشري في فترة من الفترات فحسب ، بل هي تساعدنا على اقتفاء اثره لمعرفة طريقة حياته منذ أن كان يعيش بعيداً عن الطبيعة الى أن ارتبط بها بذلك الرباط الوثيق .[٨٩]

الاسطورة مظهر يمثل الانسان في محاولاته الاولى وهو يحاول تنظيم حياته في وجوده الغامض ، فضلًا عن كونها اساساً للثقافات في كافة مستوياتها سواء كانت الاسطورة في الواقع اختزالًا طقسياً أم تمثيلًا عقائدياً أو اصلًا دينياً ، لأثرها الكبير على كل كياننا الواعي منه وغير الواعي .[٩٠]

وعلى الرغم من احتواء الاسطورة على عنصر الخرافة وتعاملها مع الوقائع الخارقة والمستحيلة ، فهي أكثر فعالية في كشفها عن الوضع الانساني لاقترابها من اغوار النفس البشرية أكثر من الاحداث الواقعية ، إذ انها لا تفسر حالة انسانية معينة ، بل لها القدرة على ان تسلط الضوء على كل الحالات الانسانية .[٩١]

الاسطورة اخيراً هي حصيلة العقل البشري عبر تاريخه الطويل ، تنظم احلامه وتأملاته وتطلعاته الى جانب تفسيراته ، وهي في كل هذا دليل على قوة الانسان وامكانياته على مناقشة الظواهر المحيطة به ليخرج بنتائج كانت مقنعة حينها ،

www.iraqinhistory.com

راسمة له طبيعة معتقداته وشكل نظامه الاجتماعي . بناء على هذا فالاساطير هي ليست حكايات تنتهي بمجرد أن تروى وانما هي من الوسائل المهمة لادراك الحقائق وفهمها

بين الخرافة والاسطورة

الخرافة ـ لغوياً ـ تطلق على جملة الأفعال أو الأعداد التي يظن انها تجلب السعادة أو النحس ، وهي أيضاً الارتباط بمنهج من غير نقد أو تحليل[٩٢]. وخرافة اسم رجل من عذرة استهوته الجن ، فكان يحدث بما رأى فكذبوه وقالوا : حديث خرافة .[٩٣]

وكثيراً ما يلتبس معنى « الخرافة » بمعنى « الاسطورة » أو يستخدم أحدهما عوضاً عن الثاني في مناسبات عديدة . وقد تناول كثير من الباحثين « الخرافة » بالتعريف . وسنذكر بعضاً منها

١ ـ يعرف هردر J. G. Herder الحكايات الخرافية بأنها بقايا عقائد دينية قد انقرضت ، وما تبقى منها هو الرموز[٩٤]، كما انها بقايا تأملات الشعب الحميمة ، وبقايا قواه وخبراته حينما كان الانسان يحلم ، لأنه لم يكن يعرف ، وحينما كان يعتقد ، لأنه لم يكن يرى . وحينما كان يؤثر فيما حوله بروح ساذجة غير منقسمة على نفسها .[٩٥]

٢ ـ ويعرف جان بياجيه الخرافة بأنها (أول محاولة قام بها الفكر الانساني لتفهم العالم الذي يحيط به وقهره والتغلب عليه ، ولكن عجز الانسان الأول وعدم كفاية وسائله المادية ونقص خبرته ، كل ذلك قد فتق خياله الساذج ، واطلق له العنان ، وجزاه بالخوارق بديلًا .[٩٦]

٣ ـ ويعرف أحمد كمال زكي الخرافة بأنها (مجموعة من الاخبار تتصل بتجارب الانسانية منذ القدم . وقد حرص الناس على الاحتفاظ بها ، ونقلها بالرواية غير المدونة عبر الأجيال . ومن هنا صارت أهم أنواع التراث الشعبي[٩٧]. وعلى الرغم من انها غائمة غالباً ، وظهور أبطالها بلا أبعاد ولا ملامح مميزة ، فانها تشكل عالماً يوازي عالم الناس ، ويبدو هذا العالم أليفاً ، وحبيباً ، وترتبط أحداثه بالبطل الذي يواجه القوى الغيبية الخارقة .[٩٨]

٤ ـ ويعرف الاخوان جريم الحكايات الخرافية بأنها (بقايا ديانات قديمة تعبّر من

www.iraqinhistory.com

خلال الصور عن أشياء علوية أو غيبية . فالعنصر الاسطوري فيها أشبه بحبات معدن ثمين منثور في باطن أرض تكسوها الورود والاعشاب ، ولا تستطيع إلا العين الثاقبة أن تبصرها ، وقد ضاع المعنى الأصلي لهذه الاساطير ، ولكننا ما زلنا نستطيع أن نحس به . وما زال يمثل مضمون هذه الحكايات الخرافية ، وفي الوقت نفسه ، فان هذه الحكايات ترضي تطلعنا الطبيعي الى كل شيء معجز خارق)[٩٩]

ويفترض بعض دارسي الخرافة انها ـ الخرافة ـ قد تؤدي جملة وظائف نذكر منها

١ ـ انها تجعل حياة الرجل البدائي حياة ممكنة موصولة ، وانها تتيح لها البقاء والاستمرار . والخرافات التي لا تتفق وهذه الغاية ، ينفرط عقدها ، ويصير أمرها الى الزوال .[١٠٠]

٢ ـ نعرف ، من خلال الحكايات الخرافية ، المعتقدات التي كان يعتنقها الانسان البدائي في عصور ما قبل التاريخ ، وما قبل التدوين .[١٠١]

٣ ـ ان الخرافة ليست استسلاماً للتفكير الاسطوري العابث ، كما في الرؤى والاحلام ، وكما يجري في القريض ، كلا ، فالخرافة ليست خارج الواقع . انها نوع من الاقامة في الواقع ، انها تضع مجموعة من القوانين للفكر والعمل .[١٠٢]

٤ ـ انها تشيع التوازن بين الانسان وبيئته ، وتنظم زمانه ، ومكانه ، وتمدّ له في الوجود مداً ، على تفاوت في الناس .[١٠٣]

من الصعب ان يوضع حد فاصل دقيق بين الاسطورة والخرافة ، ولكن لو شئنا الدقة لقلنا ان التفكير الاسطوري هو تفكير العصور التي لم يكن العلم قد ظهر فيها ، فالاسطورة تقوم بوظيفة مماثلة لتلك التي اصبح يقوم بها العلم بعد ذلك « وكانت هي الوسيلة الطبيعية لتفسير الظواهر في العصر السابق على ظهور العلم ، أما التفكير الخرافي فهو التفكير الذي يقوم على انكار العلم ورفض مناهجه أو يلجأ في عصر العلم الى اساليب سابقة على هذا العصر »[١٠٤]

والفرق الثاني « ان الاسطورة في عمومها تعكس نظاماً دينياً في حين ان الحكاية الخرافية ترجع بعض اجزائها فحسب الى العقيدة ويرجع البعض الآخر الى

www.iraqinhistory.com

خيال القاص »[١٠٥]، وقد يقال كذلك ان الحكاية الخرافية لا تعتمد الحدث اساساً لها ، وانما تعتمد البطل ، وهي تختار من الاحداث ما يلقي الضوء على شخصيته ويؤثر في حركته هذا مع امتلائها بالامور التي تقع في عالمنا[١٠٦].

والفارق الثالث ان الاسطورة غالباً ما تكون تفسيراً متكاملًا للعالم أو لمجموعة من ظواهره ، على حين ان الخرافة (جزئية) تتعلق بظاهرة أو حادثة واحدة ، ففي العصور البدائية والقديمة كانت الاسطورة تمثل نظاماً كاملًا في النظر الى العالم والانسان ، وكان هذا النظام يتسم ، في كثير من الاحيان ، بالاتساق والتماسك الداخلي ، أما الخرافات فتتعلق بالتفاصيل ، وهي قد تكون متعارضة أو متناقضة فيما بينها[١٠٧]، ومن الممكن القول ان « الحكاية الخرافية هي الاقدم وانها انتقلت فيما بعد الى شخوص إلٰهية أو نصف إلٰهية ، وبذلك اصبحت اسطورة إلٰهية »[١٠٨].

أما الفارق الرابع فهو ان الاسطورة والحكاية الخرافية لم تكونا في الأصل منفصلتين احداهما عن الاخرى انفصالًا تاماً .. فكلاهما عاش في عالم مشابه هو العالم السحري (عالم ديني مقدس) ، لقد قضى البطل الأول ذات يوم على الكائن المهول القديم ، وبهذا أخرج العلم من جانب البطل الإلٰهي[١٠٩]، وبذلك افترقت الاسطورة عن الخرافة .

ومع ذلك فهناك تداخل بين الاسطورة والخرافة لذلك لم يفرق ارسطو بين الخرافة والاسطورة ، بل ربما فهم من كثير مما ردده في كتابه (فن الشعر) انهما شيء واحد ، ولا سيما عندما يستبدل بهما الحكاية ، فالحكاية أو الاسطورة وكلتاهما تتالف من افعال هي مضمون الشعر أو موضوعه ، ووحدة الخرافة لا تنشأ عن كون موضوعها شخصاً واحداً كهرقل الاسطوري ، والشاعر يجب أن يكون صانع حكايات وخرافات أكثر منه صانع اشعار[١١٠].

الملحمـــــة

بانتقالنا من الاسطورة الى الملحمة ، نجد ان السومريين كانوا بلا أدنى شك أول من أوجد وطوّر الأدب الملحمي المؤلف من روايات قصصية بطولية[١١١].

وقد تناول ارسطو موضوع الملحمة بالبحث ، ورأى فيها انها قريبة الصلة بالمأساة من حيث شرف الموضوع ورواية الفعل[١١٢] ويشترط فيها ان (تدور حول

www.iraqinhistory.com

فعل واحد تام كله ، له بداية ووسط ونهاية .. وينبغي ألا تكون مشابهة للقصص التاريخية التي لا يراعى فيها فعل واحد ، بل زمان واحد ، أعني ، جميع الاحداث التي وقعت طوال ذلك الزمان لرجل واحد ، أو لعدة رجال)[١١٣].

أما الشروط الاخرى للملحمة ، فهي نفس الشروط التي وضعها ارسطو للمأساة فينبغي للملحمة (أن تكون بسيطة ، أو مركبة ، أو أخلاقية ، أو انفعالية ، وينبغي كذلك أن تكون الأجزاء واحدة .. وأن يوجد فيها تحولات وتعرفات وفواجع ، وأيضاً سمو في الافكار والمقولة (اللغة)[١١٤].

ولا تقف شروط ارسطو للملحمة عند هذا الحد ، بل انه يضيف مزايا اخرى من بينها

١ ـ الوزن البطولي باعتباره الأرزن والاوسع ويتلاءم مع الكلام الغريب والمجازات كل التلاؤم .

٢ ـ أن يكون طول الملحمة مساوياً تقريباً لمجموع المآسي التي تقدم في حفلة واحدة ، ويمكن للملحمة ـ بفضل كونها قصة ـ[*] تناول عدة اجزاء للفعل في وقت واحد باعتبار ان تنويع الاحداث يحقق اضفاء الجلال على الأثر الفني ويحقق لذة التغيير عند السامع .

٣ ـ الاستعانة بالامور العجيبة « غير المعقولة » مما يشيع في « الملحمة » « سحر الطلاوة » .

٤ ـ عدم الاسراف في تنميق اللغة ، لأن الاسراف في التنميق يخفي الاخلاق والأفكار .[١١٥]

٥ ـ إثارة انفعال الأسى الفاجع وعاطفة الانسانية ، وهذا يقع في كل مرة يكون فيها البطل ماهراً ولكنه شرير ، ويخدع ، وفي كل مرة يكون فيها البطل شجاعاً ـ ولكنه ظالم ـ ويقهر .[١١٦]

وتتقدم الملحمة على المأساة في كونها (تتوجه الى جمهور ممتاز لا يحتاج الى تمثيل الحركات)[١١٧]. على ان ارسطو يرى (ان المأساة إذ تبلغ غايتها على النحو الافضل ، يمكن عدها أعلى مرتبة من الملحمة)[١١٨].

أما فون ديرلاين فيميل الى تسمية اخرى للملحمة ، حيث يدعوها « حكاية البطولة »[١١٩] ويؤطرها بمجموعة مزايا ، نلقي الضوء على بعض منها :

www.iraqinhistory.com

١ ـ (ان حكاية البطولة في كل العصور ، ذات بعد تراجيدي .. ولا تبدو الطبيعة البطولية في الظهور إلا من خلال هذه النهاية التراجيدية)[١٢٠].. ونرى ان البعد التراجيدي الذي يتحدث عنه ديرلاين هو ذاته ، البعد المأساوي الذي تحدث عنه ارسطو في موازنته بين المأساة والملحمة.[١٢١]

٢ ـ حكاية البطولة (الملحمة) لا تتحرر من العلاقات التاريخية ، فهي تضم شخوصاً تاريخية تقترب حياتهم من صورة البطل ، أي من البطولة النموذجية[١٢٢]. ويعلل ديرلاين هذا بأن الشخوص التاريخية لا تخدم حكاية البطولة إلا بوصفها حلقة وصل ، وهي ليست سوى التجسيد الزمني للبطولة في عصرها ، والشخوص التاريخية بوصفها نواة للبطولة فهي تعيش حقاً خارج الزمن.[١٢٣]

٣ ـ انها تميل الى تسلسل الموضوع في خط مستقيم ، ذلك لأن الذي يمثل الملحمة هو بطلها ، وكل ما جريه من أحداث ، وكل أفعاله ومغامراته ، ليس لها أهمية في ذاتها ، وانما تنحصر أهميتها في انها تقود البطل الى هدفه ، وهكذا نحن نعيش « الملحمة » من وجهة نظر بطلها فحسب ، أما الحوادث الفرعية (الدخائل) فلا تستخدم إلا إذا كانت لها علاقة مباشرة بالبطل.[١٢٤]

٤ ـ ويلاحظ ان ديرلاين يؤكد على أن يكون بطل الملحمة شخصية نموذجية تنتمي حقاً الى سلوك روحي .. فالبطل في الملحمة يعد صورة مثالية لما هو انساني ، ونموذجاً يسعى الانسان اليه في همه.[١٢٥]

ولم يتدخل ديرلاين في البناء الشكلي للملحمة ، وقصر اهتمامه على عنصر البطولة في الملحمة ، وعلاقات البطل ودوافعه الانسانية والروحية وابتعاده عن النموذج التاريخي للبطولة ليكون نموذجاً وهماً يقتدى به ويسعى اليه ، ولكن يبقى ارسطو أكثر استيعاباً لشروط الملحمة ، وأوفر على بحثها وعلاقتها بالمأساة وانسجامها وموازنتها بين الشكلي والدلالي.

والملحمة في اللغة ، هي الوقعة العظيمة في الفتنة[١٢٦] ، ورجل لحيم : قتيل ، وقد لحم ومعناه قطع لحمه ، ولهم ملحمة وملاحم ، والحم نفسه الموت : جعلها لحمة له ، وألحمه الارض إذا جدله ، وألحمه القتال إذا لم يجد منه مخلصاً ، قال العجاج :

إنـــا لعطـــــــافــــون فـــــوق الملحم

إذا العــــوالي أخـــــرجت أقصى الفم[١٢٧]

والملاحم جمع ملحمة ، على وزن مدرسة ومحكمة . والملحمة : الوقعة العظيمة من وقائع الحروب التي يتلاحم فيها الجيشان المقتتلان ، يقول بشار بن برد :

وفي كـــل يـــوم لنـــا عيـــد وملحمـــة
حتى سبـــانـــا بـــأسيـــاف وأغمـــاد[١٢٨]

والملحمة هي الشعر الذي قيل في الوقائع الحربية والمناقب القومية في شكل قصة مثل الياذة هوميروس ، وهناك في الشعر العربي ملاحم كملحمة عنترة بن شداد ، وهي من المعلقات السبع[١٢٩] التي نسبت للعصر الجاهلي .

وكانت الملحمة تستعمل في معنى الفتنة التي تفضي الى الحرب ، ومن ذلك ما يروى عن رسول الله ﷺ : « عمران بيت المقدس : خراب يثرب ، وخراب يثرب : خروج الملحمة ، وخروج الملحمة : فتح القسطنطينية »[١٣٠].

ومن الصعب ايجاد تعريف جامع مانع لمصطلح الملحمة ، وذلك لتعدد وتباين آراء الفلاسفة وعلماء اللغة وعلماء الاجتماع وغيرهم حول هذا المصطلح . عرّفها هوراس والبول Horace Walpol (١٧١٧ ـ ١٧٩٧) بانها (مزيج من التاريخ البعيد عن الحقيقة وعن الرواية الغرامية العارية من الخيال)[١٣١].

وقد عرّف الشاعر البريطاني درايدن Dryden الملاحم بانها « أعظم ما يمكن لروح الانسان أن تبدعه »[١٣٢]. ويعرّفها بعضهم بانها قصيدة قصصية طويلة تسجل الاعمال البطولية الخارقة التي صدرت عن بعض الابطال الحقيقيين أو الاسطوريين والتي تمتزج ميها أفعال البشر وتصرفات بعض الكائنات الاعجازية الخفية كالآلهة والمردة والشياطين والوحوش المخيفة المهولة ، بل وأيضاً بعض القوى الكونية والظواهر الطبيعية التي تقوم بدور مساعد ، ولكنه فعال في انجاز هذه الاعمال البطولية[١٣٣]. بمعنى ان الملحمة تعني « القصيدة القصصية الطويلة التي تحكي أعمال البطولة التي تصدر في العادة عن بطل رئيسي واحد ، والتي كثيراً ما يكون لها مغزى قومي واضح »[١٣٤].

يمكن القول إذاً ، ان الملحمة تنتمي الى عصر بطولي زاخر بالاحداث ، ولكنه بقي مستحوذاً على ذاكرة الاجيال من بعده ، ويعلل فرويد ذلك : (ان ثمة مرحلة من التاريخ القديم تبدو فور انتهائها مهمة ، جليلة ، عظيمة ، مليئة بأحداث أخاذة ، وبطولية في كل تفاصيلها على الأرجح ، بيد ان هذه الحقبة تعود الى أزمان نائية ،

www.iraqinhistory.com

موغلة في القدم[١٣٥]، وهذا - في رأي فرويد - (ما يفسر أصل الملاحم الشعبية)[١٣٦].

مما يدفع الى الاعتقاد بأن بعضاً من الأناشيد البطولية الأولى في بلاد سومر كتبت لأول مرة على ألواح الطين بعد نهاية العصر البطولي بخمسمائة الى ستمائة سنة ، بعد أن حصلت فيها تغييرات كبيرة تمت على يد الكهنة والكتاب.[١٣٧]

وليس الأمر مقصوراً على السومريين وحدهم ، بل نجد أيضاً ان الاغريق والهندوس والتيوتونيون القدامى ، في تاريخهم المبكر ، (مروا) خلال عصر بطولي (تكشفت) روحه ومزاجه في تقاليدهم الملحمية ، وبدافع تعطشهم للشهرة والصيت ذلك الدافع الذي هو من خصائص الطبقة الحاكمة المميزة خلال أي عصر بطولي ، كان الملوك والامراء يأمرون المنشدين والمغنين الملحقين بالقصر بارتجال قصائد أو اغنيات قصصية تمجد مغامراتهم وانجازاتهم.[١٣٨]

اذاً فالملحمة في الأصل هي مجموعة من الاناشيد البطولية الاولى كانت تروى شفاهاً ، فلم تصلنا بصيغتها الاصلية (لأنها نظمت في وقت كانت الكتابة فيه إما غير معروفة ، أو اذا كانت معروفة ، لم تثر اهتمام المنشدين الذين كانوا من الذين لا يكتبون).[١٣٩]

ويطلق على هذه الملاحم اسم الملاحم الأولية ، أو مراحل الدرجة الاولى لأنها ملاحم شفوية وبدائية.[١٤٠]

وقد عرف تاريخ الاداب في العالم نمط الأدب الشفاهي الذي تناقلته المجموعات الاقليمية جيلًا عن جيل ، وتعهدته بالحذف والتشذيب والاضافة .. في وقت كانت فيه الذاكرة الجمعية هي المسؤولة تلقائياً عن حفظ الوقائع والأحداث ، وإيداعها للذاكرة التي تليها فقامت مقام التوثيق الذي عرفته المجتمعات الحضرية ، حتى دخول العصر الكتابي في التسجيل والحفظ[١٤١]. وما تتمسك به الرواية المكتوبة ، أي الأدب ، ليس في الغالب سوى اجزاء مما نقلته الينا الرواية الشفوية[١٤٢]. ويذهب ديرلاين الى أبعد من ذلك فيؤكد ان هناك أحوالًا عدة تكون فيها الروايات الشفوية مكتملة الى حد بعيد ، وأكثر احتفاظاً بالأصل من الروايات المكتوبة .. على ان هناك آخرين مثل « والتر اندرسون »[١٤٣] أشاروا منذ زمن الى انه يتحتم على الدارس أن يهتم بالنص المكتوب ، بمقدار اهتمامه بالرواية الشفوية .

وقد اعتبرت ملحمة جلجامش - حتى الآن - أول تجربة ملحمية في تاريخ

www.iraqinhistory.com

الادب[١٤٤]، وان ملاحم العصور البطولية الاغريقية والهندية والتيوتونية المدونة ، تعود في تاريخها الى أزمان متأخرة جداً عن الازمان السومرية ، وتتكون من نسخ أدبية منقحة ومعقدة جداً ، ولا يدخل ضمنها إلا عدد مختار فقط من الأناشيد القديمة .[١٤٥]

أما الملاحم المكتوبة (المدونة) فهي التي يطلق عليها اسم ملاحم الدرجة الثانية أو الملاحم الادبية مثل الاينيانة للشاعر اللاتيني فرجيليوس ، وملحمة لوكان وقصيدة ميلتون الشهيرة (الفردوس المفقود)[١٤٦].

وتتميز الملاحم بخاصية المزج بين القوى البشرية والقوى الاعجازية أو الفائقة للطبيعة[١٤٧]، كما تتميز بتوفرها على عناصر اسطورية . ويلد العنصر الاسطوري عادة من تقاطع الواقع من اللاواقع ، مع الخيال ، وهو مظهر يمكن ملاحظته بسهولة[١٤٨] في جلجامش مثلًا الذي يجمع بين العنصرين البشري والإلهي[١٤٩] فثلثاه من مادة الآلهة الخالدة ، وثلثه الباقي من مادة البشر الفانية[١٥٠]..

ومن خواص الملحمة انها تتجاوز الواقع المشخص العياني المحدود ، وتسمو عليه وتعبر في مجموعها عن احاسيس ونظرات أكثر تجريداً وشمولًا[١٥١]، وتؤكد على الجانب الاخلاقي ، وكمثال على ذلك ملحمة جلجامش ، التي (عالجت قضايا انسانية عامة ، مثل مشكلة الحياة والموت ، وما بعد الموت ، والخلود ، ومثلت تمثيلًا بارعاً مؤثراً ذلك الصراع الأزلي بين الموت والفناء المقدرين وبين ارادة الانسان المغلوبة المقهورة في محاولتها التشبث بالوجود والبقاء والسعي وراء وسيلة للخلود).[١٥٢]

ومن ناحية الاسلوب ، تمتلىء القصائد الملحمية بالنعوت الجامدة ، والمكررات المطولة ، والصيغ المعادة ، والاوصاف التي تنحو نحو التطويل الذي لا ضرورة له ، والتفصيلات غير الاعتيادية .. ان جميع الملاحم كانت تخصص مكاناً كبيراً للخطب ، ويشبه الشعر السومري البطولي في هذه النواحي جميعها نماذج الأدب الملحمي الاغريقية والهندية والتيوتونية .[١٥٣]

على ان هناك عدداً من الاختلافات بين المادة الملحمية السومرية والمادة الاغريقية والهندية والتيوتونية ، نذكر منها على سبيل المثال ملاحظتين : الاولى ، هي انه لا تلعب النساء من غير الآلهات أي دور في الادب الملحمي السومري ، بينما

www.iraqinhistory.com

لهن دور بارز في الأدب الهندي ـ اوربي .

والثانية ، هي في موضوع الاسلوب الفني ، إذ لا يستخدم الشاعر السومري بأي شكل من الاشكال الأوزان أو البيت المنسق الذي هو من خصائص الملاحم الهندية ـ الاوربية المميزة الهامة ، بل يحصل على تأثيراته الايقاعية بصورة رئيسة من التنويع في نماذج التكرار.(١٥٤)

وتتفق الباحثة مع الرأي القائل بأنه لما كان شعر السومريين القصصي من جميع الوجوه أقدم من الشعر في كل من اليونان والهند وشمال اوربا ، فانه ليس مستحيلًا أن يكون الاسلوب الملحمي قد نشأ أولًا في بلاد سومر ، ثم انتشر من هناك الى البلاد المجاورة.(١٥٥)

www.iraqinhistory.com

٢

الأبعاد الكونية الثلاثة للرحلات في أساطير العراق القديم

عندما في العلى، لم تكن هناك سماء
وفي الأسفل لم تكن هناك أرض [١]

يطلق السومريون على الكون اسم « آن ـ كي »[٢] (an-ki)[٣] والترجمة الحرفية لهذا الاسم هي (السماء ـ الارض) ، ولهذا فان الكون يقسم الى شقين : اولهما ما يتصل بالسماء ، وثانيهما ما يتصل بالأرض . والسماء عند السومريين هي الفضاء وما فوقه ، ويطلقون عليها اسم (الاعلى العظيم)[٤] أو (العلى)[٥]. أما الأرض ، فتعني عندهم ما على وجه الأرض وكذلك الفضاء في أسفلها ويطلقون عليها اسم « الاسفل العظيم »[٦] أو « العالم الاسفل » حيث تعيش الهة العالم الاسفل ، وحيث يوجد الأموات .[٧]

أما المصدر لهذا الموضوع المهم الذي يزودنا بمعلومات قيمة جداً عن تصورات السومريين ومعتقداتهم حول خلق الكائنات ، فهو المقطع الواضح في مقدمة القصيدة التي تبدأ بهذه الأبيات :[٨]

بعد أن ابتعدت السماء عن الأرض

www.iraqinhistory.com

بعد أن انفصلت السماء عن الأرض
بعد أن عين اسم الانسان
بعد أن أصبحت الأرض بحوزة انليل
بعد أن حملت (اريشكيجال) الى (كور)(*) هدية له

ويمكن القول في ضوء المعلومات الواردة في هذه المقدمة لقصة « جلجامش وانكيدو » وفي ضوء أساطير سومرية اخرى مثل اسطورة « الماشية والحنطة » واسطورة « خلق المعول » ان هناك خمس نقاط أساسية عند السومريين بخصوص خلق الكون :(٩)

١ ـ في البدء كان (البحر الاول) ، ولكن لم يرد ذكر أي شيء عن أصل وجوده . ومن المحتمل ان السومريين قد تصوروا هذا البحر على انه قد وجد منذ الأزل .
٢ ـ ان (البحر الأول) قد ولد الجبل الكوني الذي يضم السماء والأرض متحدتين .
٣ ـ كان السومريون يعتقدون بأن الآلهة على هيئة البشر ، وان (آن) أي السماء ، كان ذكراً ، وكانت (كي) أي الارض انثى ، ومن اتحادهما ولد (إله الهواء) (انليل) .
٤ ـ ان (انليل) إله الهواء فصل السماء عن الأرض . وحينما أصبحت السماء في حوزة (آن) والد (انليل) ، أصبحت الأرض (كي) في حوزة انليل .
٥ ـ وبنتيجة اتحاد (انليل) بأمه (كي) تعينت مراحل تنظيم الكون وخلق الانسان وتأسيس الحضارة(١٠). ولكن لم تاتِ الاساطير السومرية بايضاح فيما يخص خلق أصل البحر .(١١)

ويمكن تقريب صورة الكون ، بتقديم موجز لأفكار السومريين حول مفهوم الكون ، إذ تصوروا الكون منقسماً الى نصفين ، السماء من فوق ، وما يقابل السماء من تحت ، أي العالم السفلي . وهو نصف كرة كبيرة مجوفة تسبح في مجموعة مياه خيالية ، وكان تصميمها القطري مكوناً عند الوسط من امتداد أرض البشر المتمحور حول بلاد الرافدين ذاتها ، وهو مستقر على طبقة واسعة من الماء العذب الذي كان يتفجر منها بالآبار والينابيع .(١٢)

هذا التقسيم السومري للكون يمكّن الباحثة من رسم الخطوط والاتجاهات الواضحة للطرق التي سلكها الرحالة السومريون والاكديون للوصول الى الفردوس أو

www.iraqinhistory.com

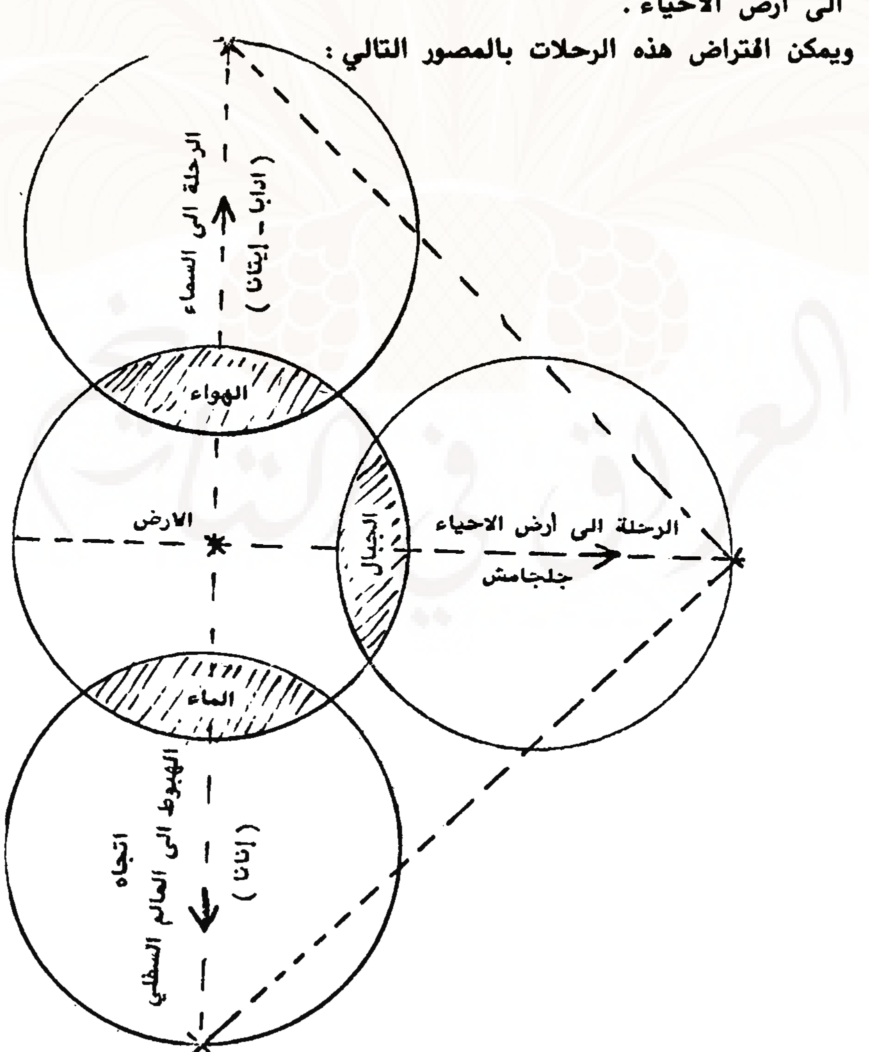
الجحيم ، على الصورة التالية

١ ـ الرحلة من الأرض الى العالم السفلي ، وهي رحلة عمودية نازلة من الأعلى الى الاسفل ، وتتمثل في « رحلة انانا الى العالم السفلي » .[١٣]

٢ ـ الرحلة من الأرض الى السماء ، وهي رحلة عمودية صاعدة من الاسفل الى الأعلى ، وتتمثل في رحلتي الصعود التي قام بها أدابا وأتانا

٣ ـ الرحلة من الأرض الى الأرض ، وهي رحلة افقية ، وتتمثل في رحلة جلجامش الى أرض الأحياء .

ويمكن افتراض هذه الرحلات بالمصور التالي :



تستنج الباحثة جملة ملاحظات هي :

١ ـ ان الرحلات التي قام بها كل من : إنانا ـ جلجامش ـ أدابا ـ أيتانا ، هي رحلات كونية .

٢ ـ ان الرحلات الاربعة جميعها تنطلق من الأرض على الرغم من تباين اتجاهاتها وشخوصها

٣ ـ ان أبطال هذه الرحلات كان عليهم أن يجتازوا فضاءات تتحدد : بالهواء في حالة الصعود الى السماء ، والماء في حالة النزول الى العالم السفلي ، والجبال في حالة التوجه الى غابة الاحياء (دلمون)[١٤].

ويأتي تاكيد الباحثة على وصف هذه الرحلات الأربعة بأنها رحلات كونية ، وذلك لتمييزها عن نوع آخر من الرحلات في الأساطير العراقية القديمة مثل : رحلة (ننا) الى (نفر) ـ رحلة إله الماء (انكي) الى نفر ـ رحلة (إنانا ـ عشتار) الى (أريدو)[١٥]... الخ .

وقبل أن نتعمق في التحليل والاستنتاج ، ولكي نسهل على القارىء ، نرى أن نقدم صورة موجزة لكل من رحلة الصعود الى السماء : (أدابا وأيتانا) ورحلة البحث عن الخلود التي قام بها (جلجامش) ... أما رحلة (إنانا) الى العالم السفلي ، فسنفرد لها الفصل الثالث إن شاء الله .

أساطير الصعود الى السماء

أولًا : اسطورة أدابا

قام الإله (ايا)[١٦] بخلق أدابا لخدمة معبده ، وصيد السمك للآلهة وجعله عاقلًا واسبغ عليه الحكمة الكاملة غير انه له يهبه الحياة الابدية[١٧] تبدأ الاسطورة بوصف لادابا بأنه « الابن الحكيم لاريدو » و « الاحكم » و « الزعيم بين الناس » الذي يمد كل يوم اريدو مدينة ايا بالطعام والشراب ، إذ تقول الاسطورة :[١٨]

(شاء) أن تكون كلمته مثل كلمة (انو)
أتحفه بعقل واسع لكي يكشف مصائر البلاد
اعطي هذا الانسان الحكمة ، ولكنه لم يمنحه الحياة الابدية
في ذلك الزمان ، في تلك السنتين ، كان الحكيم قد ولد في اريدو

www.iraqinhistory.com

وقد خلقه آيا نموذجاً بين الناس
حكيماً   لا يستطيع أحد أن ينبذ كلمته
عالماً   انه الاذكى بين الانوناكي(*)
قديساً ، يداه طاهرتان ، انه كاهن ممسوح ، ودقيق في الرتب
مع الطباخين ، كان يقوم بالطبخ
كل يوم ، كان لاريدو يدبر الطعام والشراب .

وفي يوم من الايام ، وحينما ابحر ادابا في الخليج العربي ليصطاد السمك الذي يزود به محراب آيا هبت رياح الجنوب عاصفة فغمرته وسفينته وكان أن نطقا ادابا الحانق بلعنته على رياح الجنوب فكسر بذلك جناحيها ، ولما عجزت رياح الجنوب عن أن تهب على الارض سبعة ايام متعاقبة تساءل إله السماوات عن المشكلة فحدثه وزيره الابرات بما حدث ، وانبعث آنو بغضبه ، فنهض عن عرشه وصاح : « فلنحضره (أي ادابا) هنا »[١٩] لاستجوابه على ما فعله ، وقبل صعوده زوده خالقه (آيا) بعدد من النصائح ، واشار عليه أن يطيل شعره ، ويلبس ثياب الحداد للتاثير على الإلهين تموز[٢٠] وجيزيدا[٢١] (جيشزيدا) أو (ننكيزده) اللذين يسكنان العالم السفلي في اثناء الفترة السنوية للموت[٢٢]، فاذا سألاه لماذا يلبس الحداد ، فان على ادابا أن يجيبهما تلميحاً بانه يندب «إلهين اختفيا من الارض » فاذا سالاه « من هما الإلهان اللذان اختفيا من الارض فليقل انهما تموز وجيشزيدا » ولسوف يتوسطان لادابا وقد سرهما هذا الجواب المتملق ، عند انو المحنق .[٢٣]

وقد قدم آيا نصيحة اخرى لادابا وهي أن لا ياكل الطعام الذي سيقدم له خوفاً من ان الإله انو سيعمد الى تقديم طعام الموت له مع ماء الموت[٢٤] لكن هذه النصيحة قدر لها سواء عن قصد أو غير قصد أن تنقلب ماساة على ادابا والجنس البشري « عندما تقف بين ايدي آنو فسوف يقدمون اليك طعام الموت ، فلا تاكله وسوف يقدمون اليك ماء الموت فلا تشربه »[٢٥].

وحدث كل شيء كما قال آيا ، وقاد تموز وننيكيزدا ادابا امام الإله آنو مادحين ادابا ومدى اخلاصه للآلهة[٢٦]، وذلك لانهما صدقا السبب المزعوم لحداده فاخذا يتوسطان عند آنو[٢٧]. وهدأ غضب آنو وتقبل تفسيره لما حدث للرياح الجنوبية ، وعطف على ادابا واستقر رأي الإله العظيم على مكافآته ، واستشار مجمع الآلهة عما يقدمه لادابا ، ثم قرر أن يمنحه الخلود ، فأمر باحضار خبز وماء الحياة وقدمه

www.iraqinhistory.com

لادابا[٢٨]، غير ان ادابا في حرصه الصادق على مشورة آيا يرفض الاثنين (الخبز والماء) ويفقد الفرصة الذهبية بأن يضمن الخلود لنفسه ، وللجنس البشري[٢٩] وخضوعاً لنصائح والده ايا واوامره ، رفض ادابا تناول الخبز والماء لكنه ارتدى الرداء ودهن جسمه بالزيت المقدس اللذين قدما له[٣٠] فدعاه آنو للاقتراب منه ضاحكاً وقال له : لماذا فعلت ذلك يا ادابا؟ لماذا لم تاكل ولم تشرب ؟ أليست صحتك على ما يرام ؟ ثم التفت الى حاشيته ، وقال خذوه واعيدوه الى الارض ، خسر ادابا الحياة الابدية لانه لم يأكل ولم يشرب مما قدم له فاعيد الى الأرض الفانية يعمل ويتعذب هو وذريته من بعده .[٣١]

ويقال ان آيا الذي يرى المستقبل ، كان عارفاً بما سيحصل ، وانه نصح ادابا بعدم تناول الطعام والشراب المقدم له من آنو متعمداً لكي يحرم ادابا من فرصة الخلود[٣٢].

ثانياً اسطورة ايتانا

اسطورة بابلية تحكي قصة ملك من كيش اسمه ايتانا وهذه الشخصية معروفة جيداً ، حتى خارج نطاق الاسطورة ، فاللوائح الملكية القديمة تجعله الملك الرابع من سلالة كيش ، أي الملك الثالث عشر الذي حكم بعد الطوفان وتنسب اليه هذه اللوائح ملكاً خيالياً يدوم (٤٣٥) سنة حسب بعضها و ١٥٠٠ سنة بحسب مزاعم اخرى[٣٣] وهو أول ملك بعد أن نجا الناس من الطوفان الاسطوري[٣٤]، وكان هذا الملك عقيماً فراح يدعو إله الشمس ليساعده في الحصول على نبات النسل لتكون له ذرية ، وقد استجاب إله الشمس الى دعوته ، فدله على نسر يحمله الى السماء للحصول على ذلك النبات الذي كان موجوداً عند الآلهة[٣٥]

كان ايتانا ، كل يوم يلح في الطلب على شمش
« يا شمش ، انك اكلت اسمن خرافي
وقد ارتوت الارض لك من دم كباشي
اني كرمت الآلهة ، واحترمت ارواح الاموات
العرافات غمرتهم بالقرابين
وغمرت الآلهة ايضاً بنحر كباشي
يا سيد ، ليصدر عن فمك امر لي

www.iraqinhistory.com

اعطني (النبتة) التي تجعل (المرأة) تلد
اكشف لي (النبتة) التي تجعل (المرأة) تلد[٣٦]

ويظهر المقطع التالي ان الإله شمش عطف على الملك ايتانا فاستجاب لدعواه ودله على الطريقة التي يستطيع بها تحقيق رغبته

ففتح شمش فاه وقال مخاطباً ايتانا
خذ طريقك واعبر الجبل
وحالما ترى حفرة تفحص داخلها
ففي داخلها يوجد نسر
وهو سوف يدلك على نبات النسل[٣٧]
وكما قال شمش البطل
سلك ايتانا الطريق واجتاز الجبل
فرأى الثقب ، ونظر الى داخله
وكان نسر قد طرح في داخله
وهذا ما (كان شمش) اخيراً قد رتبه (لاجله)[٣٨].

ويحمل النسر ايتانا ويقول له

يا صديقي ، رائعة هي (المناطق السماوية)
هي سأحملك نحو سموات (آنو)
ضع صدرك على صدري
ضع يدك على اقصى الحد الاسفل من جناحي
ضع (ذراعك) على اعلى جناحي[٣٩]

وتذكر الاسطورة ان ايتانا اعتلى ظهر النسر وان الاخير أحس بثقله ولكنه مع ذلك انطلق به الى اعلى دونما صعوبة ، وقد كان النسر يتبادل الحديث مع الملك ايتانا بين وقت وآخر وهو يحمله على ظهره عبر الاجواء العالية وكلما ارتفع النسر بصاحبه مسافة ميل كان يلتفت اليه ليسأله عما يرى تحته من اشياء وكيف يراها[٤٠] إذ تذكر الاسطورة :

وعندما حمله عالياً مسافة الميل الاول
قال النسر لايتانا
انظر يا صديقي كيف تبدو الارض

www.iraqinhistory.com

وتطلع الى البحر على جانبي ايكور[٤١]

وهكذا اندفع الاثنان عالياً في الجو ، وبعد فترة من الزمن قد حددها بعض الباحثين على حساب المسافة وحددها البعض الآخر من الباحثين على حساب الزمن .[٤٢]

أما خاتمة الاسطورة فتتذكر ان الملك ايتانا قد اصابه ذعر شديد وهو على ظهر النسر في الاجواء العالية ، وانه صاح عالياً يطلب من النسر الكف عن الصعود إذ تذكر الاسطورة ان النسر :

هبط ميلًا الى اسفل
لقد نزل النسر وما زال هو الى جنبه
ثم هبط ميلًا ثانياً الى الاسفل
لقد نزل النسر وما زال هو الى جنبه
لقد سقط النسر وما زال هو الى جنبه[٤٣]

لقد كانت اسطورة ايتانا محببة الى صناع الاختام بحكم ما وجد من عدد من الاختام التي تصور انساناً يصعد الى السماء على جناحي نسر[٤٤]، إذ وصلنا ختمان اسطوانيان من العصر الاكدي (في حدود ٢٢٠٠ ق.م) عليهما مشهد متشابه في الموضوع وان اختلف في بعض التفاصيل ، ففي كل منهما نشاهد ايتانا راكباً على ظهر نسر ضخم وقد فرش جناحيه الكبيرين محلقاً في الجو ويظهر من الختمين ان النسر وهو يحمل ايتانا على ظهره قد مر فوق راع يرعى قطيعاً من الماشية فلوح له الراعي بعصاه مودعاً .[٤٥]

الرحلة الى الفردوس الأرضي :

ملحمة جلجامش

اعتبر جلجامش[*] بموجب التقاليد البابلية واحداً من أواخر ملوك السلالة الاولى لمدينة (اوروك) ويبدو في الواقع ان شخصاً بهذا الاسم قد عاش في الفترة ما بين ٢٨٠٠ ـ ٢٧٠٠ ق.م[١]. ومعروف أيضاً ان هناك ما لا يقل عن أربع قصص سومرية تدور حول هذا البطل ومآثره ، وتسبق في تاريخها ملحمة جلجامش المدونة في اللغة البابلية . كانت المصدر الذي استمدت منه الملحمة مادتها الاصلية

كانت ام جلجامش الآلهة ننسون زوجة الإله لوگال بندا ، ولكن أبا البطل جلجامش لم يكن لوگال بندا ، وانما ورد في اثبات الملوك بهيئة (للا) الذي يعني

www.iraqinhistory.com

اسمه نوعاً من الشياطين ، وانه كان (كاهن كلاب) في مدينة أوروك .[٣]

وليس لجلجامش ميلاد مصحوب بالخوارق والاساطير عن طفولته كما هو الحال بالنسبة الى الكثير من أبطال الحكايات الشعبية ، فالملحمة تبدأ بجلجامش مكتمل الرجولة متفوقاً على كل من عداه من الرجال في القوة والجمال وفي شهوات لا تشبع هي وليدة طبيعته نصف الإلٰهية[٤]، كثير الاهتمام بمدينته اوروك ، وقد اعجب البابليون ، بشكل خاص ، بالسور المتين الذي شيده حولها .[٥]

غير ان أهل اوروك أخذوا يتضرعون الى الآلهة لتخلق غريماً لجلجامش يكون « نظيراً له في البأس وقوة اللب ، وعندئذ يكون الاثنان في صراع مستديم ، لتهنأ المدينة بالسلام والاطمئنان »[٦].

فتستجيب الآلهة لمواطني اوروك . فيأمر الإله الاعظم « آنو » الآلهة « أورورو » بخلق منافس لجلجامش « يعادل جلجامش مرتين » كي يستطيع تحديه ولفت انتباهه ، بعيداً عن بنات وزوجات المحاربين اللائي لم يكن جلجامش ليتركهن بسلام[٧]. وهكذا فقد صنعت « أورورو » من الطين البطل « انكيدو في هيئة مخلوق ضخم ، متوحش ، كث الشعر ، يعيش في السهوب بين البهائم المتوحشة[٨]

مع الغزلان يتغذى على العشب

ومع الضواري يتناكب في مناطق السقي

ومع المخلوقات المحتشدة يُسر قلبه في الماء

وذات يوم أبصر به الصياد وهو يرد الماء ، فاخبر أباه بقصة ذلك المخلوق الغريب الذي ما انفك يحول بينه وبين صيده لأنه يخرب ما ينصب من شباك ويطمر ما يحفر من أوجار . فقال الأب لابنه الصياد أن يذهب الى جلجامش ويخبره بقصة هذا الانسان القوي المتوحش ، ويطلب منه أن يعطيه فتاة بغياً يغوي بها انكيدو لتروضه ، ومن ثم تستدرجه الى الوركاء .[٩]

وهكذا كان . بلغ جلجامش نبأ الرجل الوحش ، ارسل مع الصياد الذي أبلغه امرأة (بغياً) تجذب انكيدو ، تدخله مدخل حياة الحضر وتاتي به الى جلجامش .[١٠]

ولم تواجه البغي كبير عناء في تنفيذ الجزء الأول من مهمتها[١١] حيث انتظرت البغي مع الصياد عند مورد الماء ، ولما جاء انكيدو مع الظباء الى المورْد ، كشفت له الفتاة عن مفاتن جسمها ، فتعلق انكيدو بها واغراه جمالها ، وبقي معها « ستة أيام

www.iraqinhistory.com

وسبع ليال »[١٢].

ثم تأخذ البغي بيدي انكيدو وتقوده الى اوروك حيث يتعلم الاستحمام وتطيب جسده بالزيت الزكي ، ويأكل الخبز ، ويشرب الخمور القوية[١٣]. جعلت منه المرأة بشراً سوياً ودخل عالم الانسان وكسب الفهم العميق والمعرفة .[١٤]

وفي المساء ، وبينما كان جلجامش يهم بدخول بيت آلهة الحب « اشخارا (عشتار) » اعترضه انكيدو ومنعه ، عندئذ اشتبك البطلان في سوق المدينة ، وبمرأى من الناس واستمرا في صراع عنيف اهتزت له الجدران ، وتحطمت لعنفه الأبواب[١٥]، وينتهي الصراع بتبادل كلمات الاعجاب المتبادل وحلول السلام بينهما ، وبعد أن يعثر « جلجامش على رفيق له من منزلته » يقبل البطلان أحدهما الآخر ويصبحان صديقين .[١٦]

ولكن « جلجامش » المتحمس والطموح ، يرغب في نيل الشهرة العريضة ، فيقنع « انكيدو » بمرافقته الى « غابة الارز »[١٧] التي كان يحرسها العفريت الهائل خمبابا[١٨] « الذي يمتلك فماً من نار ، ونفساً من موت »[١٩]. وبعد أن أعدا اسلحتهما ، وابتهلا للآلهة يغادر الصديقان اوروك ، ولم يستطع البطلان بلوغ « غابة الارز » إلا بعد قطع مسافة تحتاج ، في الاحوال الاعتيادية ، الى ستة اسابيع كاملة ، قطعاها في ثلاثة أيام فقط .[٢٠]

وفي وسط الغابة يصلهما زئير خمبابا كعباب الطوفان ، ينقض عليهما ، ويكاد أن يفتك بهما ، لولا معونة الإله شمش الذي ارسل من لدنه رياحاً ثمانية شلت حركة « خمبابا »[٢١]، وبعد استسلامه للبطلين ، يلتمس « خمبابا » منهما أن يبقيا على حياته ، غير انهما لا يصغيان لتوسلاته ، بل يقطعان رأسه ويعودان الى « اوروك » ظافرين .[٢٢]

وعند عودتهما تقع الآلهة إنانا في حب جلجامش ، وعندما يعرض عنها ترسل « ثور السماء » المخيف لقتله ، وهنا أيضاً يخرج البطلان ظافرين ، إذ يشتركان مع الثور في معركة ضارية ويقضيان عليه .[٢٣]

كانت هذه الاهانة الموجهة الى « إنانا » أكبر من أن تتركها الآلهة دون عقاب ، فتقرر وجوب القضاء على أحد البطلين[٢٤]، وبعد ذلك يقرر انليل ان انكيدو يجب أن يموت عقاباً له على صرعه خمبابا وإذا « بانكيدو » الذي لا يقهر ، يمرض ويموت[٢٥]. ويموت « انكيدو » يكون أكثر من نصف القصة قد ورد ، وينصرم حبل

www.iraqinhistory.com

الرفقة ويخلف جلجامش وحيداً بعد أن ذاق طعم الصداقة الحميمة ، وتعين عليه أن يتعلم أن يحيا بدونها ، ولو ان ذلك كان فوق طاقته .(٢٦)

وتظل خواطر الموت تلاحق جلجامش ، لم يبق له إلا خاطر واحد ، وهدف واحد ، هو العثور على الحياة الدائمة ، فيخرج للبحث عنها . وفي نهاية العالم ، فيما وراء مياه الموت ، يقيم سلف له حظي بالحياة الابدية ، ولسوف يذهب اليه جلجامش ليعرف سره(٢٧)، ويقرر « جلجامش » مقابلة « اوتو ـ نبشتم » وهو الانسان الوحيد الذي بقي حياً بعد الطوفان ، ليحصل منه على سر الخلود(٢٨). وبعد مسيرة طويلة ومضنية ، وصل جلجامش الى بوابة جبال ماشو التي يحرسها الرجل العقرب(٢٩) فيسمح له بدخول الجبل .

وعلى الجانب الاخر من الجبل ، يقابل « جلجامش » فتاة الحانة « سيدوري » التي تعيش على حافة البحر . وتنصحه « سيدوري » بالكف عن الحزن والترحال ، وتحبب له الاستمتاع بلذائذ الحياة(٣٠)، ولكنها في النهاية ترشده الى مكان « اوتو ـ نبشتم » الذي يسكن الجانب الاخر من بحر كبير خطير ، تمنع مياه الموت البشر عن بلوغه .(٣١)

يرحل جلجامش لوحده في الطريق الطويلة النائية الى الجبال التي تغرب الشمس فيها ، ويطرق الممر المظلم الذي تقطعه الشمس في الليل ، ويكاد ييأس من رؤية النور مرة ثانية ، الى أن يخرج في النهاية الى شاطىء بحر فسيح ، وكل من يلقاه في ترحاله يسأله جلجامش عن الطريق الى اوتو نبشتم ، وعن الحياة الابدية ، والكل يجيبه بأن بحثه لا أمل يرجى منه(٣٢)

الى أين تسعى يا جلجامش
ان الحياة التي تبغي لن تجد
حينما خلقت الآلهة البشر ، قدرت الموت على البشرية
واستأثرت هي بالحياة
أما أنت يا جلجامش ، فليكن كرشك مملوء على الدوام
وكن فرحاً مبتهجاً نهار مساء
وأقم الافراح في كل يوم من أيامك
واجعل ثيابك نظيفة زاهية
واغسل رأسك واستحم في الماء

www.iraqinhistory.com

ودلل الصغير الذي يمسك بيدك
وافرح الزوجة التي بين احضانك
وهذا هو نصيب البشرية[٣٣]

ولكن جلجامش لا يستطيع أن ينصرف عن بحثه ويستسلم لما هو من نصيب الناس كلهم ، انه ليتحرق شوقاً الى الحياة الدائمة ، وعلى شاطىء البحر يرى ملاح اوتو نبشتم ويمخر به هذا عباب الموت . وهكذا يلتقي أخيراً باوتو نبشتم[٣٤] رجل الطوفان وزوجته[٣٥] الخالد ... الذي اصطفته الآلهة للحياة الخالدة مع زوجته ، في أرض دلمون[*] جنة الخالدين .[٣٦]

قص جلجامش على اوتو نبشتم ما حلّ برفيقه انكيدو ، وروى له كيف ان شبح الموت صار يلاحقه منذ ذلك الحين ، وانه جاء يسأل عن سر حصوله على الخلود[٣٧]، وهكذا يبدأ لقاء جلجامش مع اوتو نبشتم « القصي » باحدى مقطوعات « الحكمة » الموضوعة التي يبدو ان الغرض منها جميعاً هو أن يتهادن البشر مع أقدارهم على الارض ، مثلها في ذلك مثل حديث المرأة سيدوري[٣٨] الذي تغلب عليه نغمة جد متشائمة[٣٩]. هنا يبدأ رجل الطوفان بالحديث عن قصة الطوفان الاعظم[٤٠] عندما عزمت الآلهة على محق البشر .. لم ينجح إلا اوتو نبشتم وزوجته فقد انذر مقدماً ، وابتنى فلكاً كبيراً ، أنقذ به نفسه وزوجته ، وزوجاً من كل شيء حيّ ، وقد ندم انليل فيما بعد على ارساله الطوفان ... ووهب اوتو نبشتم الحياة الابدية جزاء له على انقاذه الحياة في الأرض[٤١] فصار في مصاف الآلهة .[٤٢]

ثم تساءل رجل الطوفان وقال مخاطباً جلجامش : ولكن من الذي سيجمع الآلهة من أجلك لتمنحك الحياة الابدية ؟ ومن جهة اخرى ، أراد رجل الطوفان أن يفهم جلجامش انه يسعى وراء شيء مستحيل على الرغم من ان ثلثين منه إله ، وثلثه الآخر بشر .[٤٣]

ولكن بوسع جلجامش أن يصارع الموت ، فيأمره اوتو نبشتم بمنازلة النوم ، في نومة سحرية ليست إلا شكلًا آخر للموت . ويكاد يغلب جلجامش على أمره في الحال ويشرف علي الهلاك عندما توقظه زوجة اوتو نبشتم شفقة منها عليه .[٤٤]

www.iraqinhistory.com

هكذا فشل جلجامش في اجتياز الاختبار(٤٥)، فلقد ضاع دأبه ، وساءت عاقبة مسعاه :(٤٦)

أواه يا اوتو نبشتم ، ماذا أفعل ، أين أسير
لقد تسلل البلى الى اطرافي
وسكنت المنية حجرة نومي
وحيثما قلبت وجهي أجد الموت .

ويهيىء جلجامش نفسه للعودة الى اوروك يائساً كئيباً ، وفي تلك اللحظة تحث زوجة اوتو نبشتم زوجها على اعطائه هدية وداعية ، فيخبره اوتو نبشتم عن نبتة تنمو في قاع البحر ، تعيد الى من يأكل منها شبابه(٤٧). هي سر من أسرار الآلهة ، لا تعطي الخلود ، ولكنها تجدد الشباب وتطيل العمر .(٤٨)

وعند نبع الشباب حيث يحصل جلجامش على ثياب جديدة تخفي امارة تقدم السن به ، يتلقى السخرية من ان الملابس هي مجرد متعلقات تبقى بعد فناء الجسد ، في حين ان نبات اعادة الشباب الذي حصل عليه جلجامش من قاع البحر بعد عناء ، لا يبقى في حوزته إلا فترة وجيزة(٤٩). عندما مكث ومعه اورشنابي عند بئر ليرد ويغتسل ، هناك شمت الحية رائحة النبات فتسللت واختطفت النبات(٥٠)، وهكذا يستوعب الدرس بهذه الطريقة للمرة الاخيرة(٥١)، ومنذ ذلك الحين والحية الطويلة العمر ، تبدل جلدها كلما شاخت(٥٢)، أما الانسان فتستحيل عليه هذه العودة الى الشباب ، لأن نبتة جلجامش ضاعت عليه . ويمتلىء قلب جلجامش مرارة ، ويتأمل في هذه النهاية الساخرة لبحثه الطويل .(٥٣)

وعندما قعد جلجامش أرضاً وبكى
وجرت الدموع على خديه

لمن أجهدت عضلاتي يا اورشنابي ؟
لمن سكبت الدم من قلبي ؟
لم آتِ لنفسي ببركة واحدة
ولم أحسن الصنيع إلا لأفعى الثرى

www.iraqinhistory.com

وهكذا ، فان البطل العنيد الذي قهر خمبابا ، قهرته الحية .. (انها نهاية شاقة ، بائسة ، لا تشفي الغليل ، فيظل اضطرابها الداخلي في غليان ، ويظل سؤالها الحيوي بلا جواب .[٥٤]

www.iraqinhistory.com

هوامش الفصل الأول/القسم الأول
(الأسطورة)

١ عبدالقادر ، عبدالناصر محمد (نوري)، الاسطورة وعلم الاساطير ، عن الموسوعة البريطانية، (بغداد ، ١٩٨٦)، ص ٥ ـ ٦

٢ ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد الرابع ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٥٥) . مادة سطر .

٣ ـ ينظر نفسه ، مادة سطر . وينظر أيضاً ابن زكريا أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط ١ (القاهرة ، ١٣٦٨ هـ) ، جـ ٣ ، ص ٧٢

٤ ـ الازهري ، ابو منصور محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة ، تحقيق أحمد عبدالعليم البردوني ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ، (القاهرة ت بلا) جـ ١٣ . ينظر أيضاً الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، جـ ٢ ، ص ٤٩ . وأيضاً الزبيدي ، السيد مرتضى ، تاج العروس ، نشر دار ليبيا بنغازي ، دار صادر (بيروت ، ١٩٦٦) ، مج ٣ ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧

٥ ـ سورة الانفال ، آية ٣١

٦ ـ وجدي ، محمد فريد ، دائرة معارف القرن العشرين ، ط ٣ ، (بيروت ، ١٩٧١) ، مج ٥ ، ص ١٢٨

٧ ـ زكي ، أحمد كمال ، الاساطير ، مكتبة الشباب ، ط ١ ، (القاهرة ، ١٩٧٥) ، ص ٥٦ ـ ٥٧ وينظر أيضاً رايفين . ك . ك ، الاسطورة ، ترجمة جعفر الخليلي ، عويدات ، باريس ، (بيروت ١٩٨١) ، ص ٦٤ . وينظر أيضاً نبيلة ابراهيم ، الاسطورة ، (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص ٦

٨ ـ الخوري ، لطفي ، معجم الاساطير ، (بغداد ، ١٩٩٠) ، ص ١ ، ص ٤

٩ ـ السواح ، فراس ، مغامرة العقل الأولى ، ط ٢ ، (بيروت ، ١٩٨١) ، ص ١٠

١٠ ـ The Oxford English Dictionary , Vol- VI , Oxford , 1933 , P. 818

١١ ـ السواح ، فراس ، مغامرة العقل الاولى ، ص ١٠

١٢ ـ الخوري ، لطفي ، معجم الاساطير ، ص ٤ .

١٣ ـ ينظر السواح ، فراس ، مغامرة العقل الاولى ، ط ٧ ، (دمشق ، ١٩٨٧) ، ص ٢١

١٤ ـ رايتر (وليم) ، الاسطورة والادب ، ترجمة صبار سعدون السعدون ، (بغداد ، ١٩٩٢) ، ص ١٨

١٥ ـ م . ن ، ص ١٩

١٦ ـ م . ن ، ص ١٩

١٧ ـ كريمر ، صموئيل نوح ، الاساطير السومرية ، ترجمة يوسف داود عبدالقادر ، (بغداد ، ١٩٧١) ، ص ١٣

١٨ ـ م . ن ، ص ١٣

١٩ ـ فرانكفورت . هنري ، ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، منشورات دار مكتبة الحياة ،

www.iraqinhistory.com

فرع بغداد ، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر ، (بغداد ، ١٩٦٠) ، ص ١٨

٢٠ ـ م . ن ، ص ١٨

٢١ ـ فرانكفورت . هنري .

٢٢ ـ م . ن ، ص ١٩

٢٣ ـ بارت ، رولان ، الاسطورة اليوم ، ترجمة حسن العزفي . سلسلة الموسوعة الصغيرة ٣٤٥ ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد ، ١٩٩٠) ، ص ٥

٢٤ ـ كلارك ، رندل ، الرمز والاسطورة في مصر القديمة ، (ترجمة) أحمد صليحة ، (القاهرة ، ١٩٨٨) ، ص ٣

٢٥ ـ دي سوسيور ، علم اللغة العام ، ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز ، دائرة الشؤون الثقافية ، آفاق عربية ، (بغداد ، ١٩٨٥) ، ص ١٢١

٢٦ ـ يقول كريمر : ظهر في عالم المعرفة علم جديد وجد طريقه نحو النماء والتطور ، ونعني به (الانثروبولوجي) ذلك العلم الذي اتضح بأن له أهمية أساسية في دراسة علم الأديان المقارن (ينظر السومريون ، ص ٥١) .

٢٧ ـ شتراوس ، كلود ليفي ، الانثروبولوجيا البنيوية ، ترجمة مصطفى صالح ، (دمشق ، ١٩٧٧) ، ص ٢٤٧

٢٨ ـ شتراوس ، كلود ليفي ، الاسطورة والمعنى ، ترجمة وتقديم شاكر عبدالحميد ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد ، ١٩٩٠) ، ص ٣٦

٢٩ ـ م . ن ، ص ٣٦

٣٠ ـ أبو زيد (محمود) ، مشكلات المنهج في التحليل الاجتماعي للاساطير ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السادس عشر ، العدد الثالث ، (الكويت ، ١٩٨٥) ، ص ٢٠٦

٣١ ـ ينظر شتراوس ، الاسطورة والمعنى ، ص ٤١

٣٢ ـ جبرا ابراهيم جبرا ، الحرية والطوفان ، ط ٣ ، (بيروت ، ١٩٨٢) ، ص ١٣٣

٣٣ ـ السواح (فراس) ، مغامرة العقل الاولى ، ص ٢٠

٣٤ ـ النوري ، قيس ، الاساطير وعلم الاجناس ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، (بغداد ، ١٩٨١) ، ص ١٠٧

٣٥ ـ عبدالقادر ، عبدالناصر محمد نوري ، الاسطورة وعلم الاساطير ، ص ٤١

٣٦ ـ كاسيرر ، مدخل الى فلسفة الحضارة الانسانية أو مقال في الانسان ، ترجمة احسان عباس ، دار الاندلس ، (بيروت ، ١٩٦١) ، ص ١٤

٣٧ ـ رايفين . ك . ك ، الاسطورة ، ص ٣٥ ، ٣٧ . شتراوس ، كلود ليفي ، الاسطورة والمعنى ، ترجمة وتقديم شاكر عبدالحميد ، ط ١ ، (بغداد ، ١٩٨٦) ، ص ١٣

٣٨ ـ فروم ، اريك ، الدين والتحليل النفسي ، ترجمة فؤاد كامل ، (القاهرة ، ١٩٧٧) ،

www.iraqinhistory.com

ص ١٠١ ١٠٢

٣٩ ـ فرويد ، تفسير الاحلام ، ترجمة مصطفى صفوان ، (القاهرة ، ت بلا) ، ص ٢٧٩

٤ ـ شتراوس ، الاسطورة والمعنى ، ص ١٣ ، ١٤

٤١ ـ موسى ، منيف ، الميثولوجيا في الشعر اللبناني ، مجلة افاق عربية ، العدد الثامن ، (بغداد ، آب ١٩٨٧) ، ص ٥٣ . وينظر أيضاً قيس النوري ، الاساطير وعلم الاجناس ، ص ١٩ وايضاً نبيلة ابراهيم ، الاسطورة ، ص ٢٠

٤٢ ـ هـ . فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ، ص ١٠

٤٣ ـ مانويل دوران ، لوركا ، ترجمة وتعليق وتقديم عناد غزوان وجعفر صادق الخليلي ، (بغداد ، ١٩٨٠) ، ص ٢٠٥

٤٤ ـ عكاشة ، ثروت ، الاغريق بين الاسطورة والابداع ، (القاهرة ، ت بلا) ، ص ٣٤٦

٤٥ ـ كاسيرر ، ارنست ، الدولة والاسطورة ، ترجمة احمد حمدي محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة ، ١٩٧٥) ، ص ٦

٤٦ ـ شتراوس ، ليفي ، الاسطورة والمعنى ، ص ٣٧

٤٧ ـ فريزر ، الغصن الذهبي ، ترجمة احمد ابو زايد ، جـ ١ ، الهيئة المصرية للتاليف والنشر ، (القاهرة ، ١٩٧١) ، ص ٢١٥ ، ٢١٦

٤٨ ـ النوري ، الاساطير وعلم الاجناس ، ص ١١٢

٤٩ ـ ينظر نفسه ، ص ١٠٣

٥٠ ـ كاسيرر ، أرنست ، مدخل الى فلسفة الحضارة الانسانية ، ص ١٦٥

٥١ ـ كاسيرر ، أرنست ، الدولة والاسطورية ص ٤٨

٥٢ ـ تومسن ، جورج ، اسخيلوس واثينا ، دراسة في الاصول الاجتماعية للدراما ، ترجمة صالح جواد الكاظم ، (بغداد ، ١٩٧٥) ، ص ٨٦ .

٥٣ ـ رليفين . ك . ك ، الاسطورة ، ص ٦٥

٥٤ ـ هوك ، صموئيل هنري ، الاساطير في بلاد ما بين النهرين ، (ترجمة) يوسف داود عبدالقادر ، (بغداد ، ١٩٦٨) ، ص ١

٥٥ ـ م . ن ، ص ١

٥٦ ـ الخوري ، لطفي ، معجم الاساطير ، ص ١٣

٥٧ ـ زكي ، احمد كمال ، الاساطير ، مكتبة الشباب ، (القاهرة ، ١٩٧٥) ، ص ٤٦ .

٥٨ ـ السواح ، فراس ، مغامرة العقل الاولى ، ص ١٦

٥٩ ـ فريزر ، السير جيمس ، صاحب كتاب « الغصن الذهبي « .

٦٠ ـ ينظر السواح ، فراس ، مغامرة العقل الاولى ، ص ١٦ ، ١٧

٦١ ـ الخوري ، لطفي ، معجم الاساطير ، ١ / ١٢

٦٢ ـ زكي ، احمد كمال ، الاساطير ، ص ٤٦

www.iraqinhistory.com

٦٣ ـ الخوري ، لطفي ، معجم الاساطير ، ١ / ١١
٦٤ ـ السواح ، مغامرة العقل الاولى ، ص ١٧
٦٥ ـ احمد كمال زكي ، الاساطير ، ص ٤٧
٦٦ ـ م . ن ، ص ٤٧ .
٦٧ ـ الخوري ، لطفي ، معجم الاساطير ، ١ / ١٢
٦٨ ـ السواح ، مغامرة العقل الاولى ، ص ١٧
٦٩ ـ محمد ، مجدي ، الاسطورة ، (بيروت ، ١٩٧٠) ص ٧٠ . وينظر أيضاً ، أحمد كمال زكي ، الاساطير ، ص ٤٩
٧٠ ـ السواح ، فراس ، مغامرة العقل الاولى ، ص ١٧
٧١ ـ نبيلة ابراهيم ، الاسطورة ، ص ٣٤
٧٢ ـ زكي ، احمال كمال ، الاساطير ، ص ٤٧
٧٣ ـ الخوري ، لطفي ، معجم الاساطير ، جـ ١ / ١٢
٧٤ ـ م . ن ، ص ١٢
٧٥ ـ يقول شتراوس ان هناك حالة من التعارض البسيط بين الاساطير والتاريخ ، ففي حين نصف الميثولوجيا بانها سكونية ثابتة ذات نسق مغلق ، فهو يؤكد على الطابع المفتوح للتاريخ الذي يتم ضمانه عن طريق تنظيم واعادة تنظيم الخلايا الاسطورية المفسرة التي كانت اسطورية في الاصل ، لمزيد من التوضيح ينظر شتراوس ، الاسطورة والمعنى ، ص ٦٢
٧٦ ـ زكي ، احمد كمال ، الاساطير ، ص ٥١
٧٧ ـ السواح ، مغامرة العقل الاولى ، ص ١٦
٧٨ ـ زكي ، احمد كمال ، الاساطير ، ص ٥٠
٧٩ ـ السواح ، مغامرة العقل الاولى ، ص ١٦
٨٠ ـ ديورانت رول ، قصة الحضارة ، ترجمة أحمد بدران ، (القاهرة ، ١٩٦٣) ، جـ ١ ، ص ١٣
٨١ ـ الخوري ، لطفي ، معجم الاساطير ، ١ / ١٢
٨٢ ـ م . ن ، ١ / ١٢
٨٣ ـ م . ن ، ١ / ١٢
٨٤ ـ م . ن ، ١ / ١٢
٨٥ ـ لونغ ، تشارلز ، ما الميثولوجيا ، عن دائرة المعارف الامريكية ، ترجمة مجيد الماشطة ، آفاق عربية ، العدد الأول ، ك ٢ ، (بغداد ، ١٩٨٧) ، ص ١٥
٨٦ ـ محمد ، مجدي ، الاسطورة ، ص ٦٩
٨٧ ـ لونغ ، الميثولوجيا ، ص ٨٧ .
٨٨ ـ عبدالقادر ، عبدالناصر محمد نوري ، الاسطورة وعلم الاساطير ، ص ٧
٨٩ ـ هاووك ، جورج ، معجم الاعلام في الاساطير اليونانية والرومانية ، ترجمة امين ، ط ١ ،

www.iraqinhistory.com

(مصر ، ١٩٥٥) ، ص المقدمة .

٩ ـ بلفنتش ، توماس ، عصر الاساطير ، ترجمة رشدي السيسي ، (القاهرة ، ١٩٦٦) ، ص ١٢

٩١ ـ م . ن ، ص ١٢

٩٢ ـ مرعشلي ، نديم واسامة ، الصحاح في اللغة والعلوم ، المجلد الأول ، ص ٣٤١

٩٣ ـ عبدالحميد ، محمد محيي الدين ، ومحمد عبداللطيف السبكي ، المختار من صحاح اللغة ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة ، ت ، بلا) ، ص ١٣٤

٩٤ ـ هيثمان ، فردريك ، الحكاية الخرافية الشعبية ، مجلة فكر وفن ، العدد ٤١ ، ١

٩٥ ـ ديرلاين ، فردريش فون ، الحكاية الغربية ، ت نبيلة ابراهيم ، دار القلم ، ط ١ ، (بيروت ، ١٩٧٣) ، ص ٢٣ ، ٢٤

٩٦ ـ مرحبا ، محمد عبدالرحمن ، قبل أن يتفلسف الانسان ، دار النشر للجامعيين ، (لبنان ، ت بلا) ، ص ٧

٩٧ ـ زكي ، احمد كمال ، الاساطير ، ص ٦٣

٩٨ ـ م . ن ، ص ٦٣

٩٩ ـ هيثمان ، فردريك ، الحكاية الخرافية الشعبية ، ص ٤٣

١٠ ـ مرحبا ، محمد عبدالرحمن ، قبل أن يتفلسف الانسان ، ص ٨ .

١٠١ ـ ديرلاين ، فردريش فون ، الحكاية الخرافية ، ص ٣٢ ، ٣٣

١٠٢ ـ مرحبا ، محمد عبدالرحمن ، قبل أن يتفلسف الانسان ، ص ٨ .

١٠٣ ـ م . ن ، ص ١٠

١٠٤ ـ زكريا ، فؤاد ، التفكير العلمي ، ط ٣ ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت ، ١٩٧٨) ، ص ٦١

١٠٥ ـ ديرلاين ، فردريك فون ، الحكاية الخرافية ، ص ١٥٣

١٠٦ ـ زكي ، احمد كمال ، الاساطير ، ص ٦٥

١٠٧ ـ زكريا ، فؤاد ، التفكير العلمي ، ص ٦١

١٠٨ ـ ديرلاين ، فردريش فون ، الحكاية الخرافية ، ص ١٥٣

١٠٩ ـ م . ن ، ص ٢٥٤

١١٠ ـ بدوي ، عبدالرحمن ، فن الشعر ، مكتبة النهضة ، (القاهرة ، ١٩٥٣) ، ص ١٣

١١١ ـ كريمر ، السومريون ، ص ٢٥٤

١١٢ ـ ينظر ارسطو ، فن الشعر ، ترجمة وتحقيق عبدالرحمن بدوي ، دار الثقافة ، (بيروت ، ١٩٧٣) ، ص ٦٤

١١٣ ـ م . ن ، ص ٦٥

١١٤ ـ م . ن ، ص ٦٧ .

www.iraqinhistory.com

(*) يلاحظ ان ارسطو يدعو الملحمة (قصة) وأحياناً اخرى يدعوها (حكاية) في حين نجد ان فون ديرلاين يدعوها (حكاية البطولة) في كتابه : الحكاية الخرافية ، كما سنجد لاحقاً

١١٥ ـ ينظر ارسطو ، فن الشعر ، ص ٦٧

١١٦ ـ هذا الشرط (الخامس) وضعه ارسطو للمأساة ، وبما ان الملحمة نوع من أنواع المأساة ـ كما يذكر ارسطو ، وبما ان هذا الشرط له علاقة ببطل ملحمة جلجامش لذلك وجدت ان اضيفه الى جملة الشروط الاربعة السابقة (ينظر ارسطو ، ص ٥٠) .

١١٧ ـ ارسطو ، فن الشعر ، ص ٨١ .

١١٨ ـ م . ن ، ص ٨١ .

١١٩ ـ ينظر الهامش الذي في الصفحة السابقة .

١٢٠ ـ ديرلاين ، الحكاية الخرافية ، ص ١٤٩

١٢١ ـ ارسطو ، فن الشعر ، ص ٧٨

١٢٢ ـ ديرلاين ، الحكاية الخرافية ، ص ١٥٠

١٢٣ ـ م . ن ، ص ١٥٠

١٢٤ ـ ينظر ارسطو ، فن الشعر ، ص ٨١ .

١٢٥ ـ ينظر ديرلاين ، الحكاية الخرافية ، ص ١٥٠

١٢٦ ـ مرعشلي ، نديم واسامة ، الصحاح في اللغة والعلوم ، دار الحضارة العربية ، (بيروت ، ت بلا) ، المجلد الثاني ، ص ٤٣٦ .

١٢٧ ـ الزمخشري ، اساس البلاغة ، دار مطابع الشعب ، (القاهرة ، ت بلا) ، ص ٨٥٠ .

١٢٨ ـ أمين ، محمد شوقي ، بين اللغة والادب ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السادس عشر ، العدد الاول ، ابريل ، مايو ويونية ، (الكويت ، ١٩٨٥) ، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨

١٢٩ ـ محجوب ، فاطمة محمد ، دائرة المعارف للناشئين ، دار الهلال ، (القاهرة ، ت بلا) ، ص ١٩٧

١٣٠ ـ أمين ، محمد شوقي ، بين اللغة والادب ، مجلة عالم الفكر ، ص ٢٢٨

١٣١ ـ Epic , in chambers's Encyclopaedia , Vol. 5 . P. 367

١٣٢ ـ Paul Merchant , The Epic , Metheun , London , 1977 PP. 71-72

١٣٣ ـ Ibid . P. 73

١٣٤ ـ Epic , in Cassel's Encyclopaedia of Literature Vol. 1 cassel and Co. London , 1953 . P. 193

١٣٥ ـ فرويد ـ موسى والتوحيد ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، (بيروت ، ١٩٧٣) ، ط ١ ، ص ١١٧

١٣٦ ـ م . ن ، ص ١١٧ .

www.iraqinhistory.com

١٣٧ ـ كريمر ، صموئيل نوح ، السومريون ، ترجمة الدكتور فيصل الوائلي ، دار غريب للطباعة ، وكالة المطبوعات ، (الكويت ، ت بلا) ، ص ٢٥٥

١٣٨ ـ كريمر ، السومريون ، ص ٢٥٤

١٣٩ ـ م . ن ، ص ٢٥٤

١٤ ـ Epic , in Encyclopaedia Britannica , Vol. 6 , P. 906

١٤١ ـ ابو زيد ، احمد ، الواقع والاسطورة في النص الشعبي ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السابع ، (الكويت ، ١٩٨٦) ، ص ١٠

١٤٢ ـ ديرلاين ، الحكاية الخرافية ، ص ١٥٦

١٤٣ ـ م . ن ، ص ١٥٧ ، (وعرف والتر اندرسون انه وضع قانون الحق الذاتي للحكاية الخرافية وتحدث عن نقطة ارتكاز لا تتغير مع وجود اختلافات وانحرافات) .

١٤٤ ـ هوك ، صموئيل هنري ، الاساطير في بلاد ما بين النهرين ، (ترجمة) يوسف داود عبدالقادر ، (بغداد ، ١٩٦٨) ، ص ٢

١٤٥ ـ كريمر ، السومريون ، ص ٢٥٤

١٤٦ ـ أبو زيد ، أحمد ، الملاحم كتاريخ وثقافة ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السادس عشر ، العدد الاول ، (بغداد ، ١٩٨٥) ، ص ٦

١٤٧ ـ عثمان ، احمد ، الشعر الاغريقي ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت ، ١٩٨٤) ، ص ١٤٤

١٤٨ ـ المقداد ، قاسم ـ هندسة المعنى في السرد الاسطوري الملحمي ، دار السؤال ، للطباعة والنشر ، (دمشق ، ١٩٨٤)، ص ٢٥

١٤٩ ـ باقر ، طه ، ملحمة جلجامش ، ص ١٨

١٥ ـ سركيس ، احسان ، الاداب القديمة وعلاقتها بمنظور المجتمعات ، دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت ، ت بلا) ، ص ١٤٤

١٥١ ـ باقر ، طه ، الملحمة ، (بغداد ، ١٩٨٦) ، ط ٥ ، ص ٤٣

١٥٢ ـ طه باقر ، الملحمة ، ص ٤٢

١٥٣ ـ كريمر ، السومريون ، ص ٢٥٥

١٥٤ ـ ينظر كريمر ، السومريون ، ص ٢٥٥ ، وينظر كذلك موضوع التكرار في الفصل الرابع من بحثنا

١٥٥ ـ م . ن ، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦

www.iraqinhistory.com

هوامش (الأبعاد الكونية الثلاثة)

١ ـ لابات ، رينيه ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ترجمة البير ابونا و د. وليد الجادر ، (بغداد ، ١٩٨٨) ، ص ٣٣

٢ ـ كريمر ، صموئيل نوح ، الاساطير السومرية ، ترجمة يوسف داود عبدالقادر ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٧١) ، ص ٦٧

٣ ـ عبدالواحد ، فاضل ، من الواح سومر الى التوراة ، (بغداد ، ١٩٨٩) ، ص ٢٤٦

٤ ـ كريمر ، الاساطير السومرية ، ص ٦٧

٥ ـ عبدالواحد ، من ألواح سومر الى التوراة ، ص ٢٤٦

٦ ـ كريمر ، الاساطير السومرية ، ص ٦٧

٧ ـ عبدالواحد ، فاضل ، من الواح سومر الى التوراة ، ص ٢٤٦

٨ ـ كريمر ، الاساطير السومرية ، ص ٦٤

٩ ـ عبدالواحد ، فاضل ، من الواح سومر الى التوراة ، ص ٢٤٦

(*) كور : الإله كور في الميثولوجيا السومرية : هو رب العالم الاسفل ، عالم الموتى الذي تمضي اليه الارواح . أما اريشكيجال فقد كانت آلهة ارضية تزوجها كور بعد ان اختطفها الى عالمه الاسفل (ينظر فراس السواح ، مغامرة العقل الاولى ، ط ٧ ، (دمشق ، ١٩٨٧) ، ص ٣٦

١٠ ـ كريمر ، الاساطير السومرية ، ص ٦٦ ، وينظر كذلك د. فاضل عبدالواحد علي ، من الواح سومر الى التوراة ، ص ٢٤٦ . وينظر كذلك فراس السواح ، مغامرة العقل الاولى ، ص ٣٤ وكذلك ينظر أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٧٢) ، ص ١٨٧ ـ ١٨٨

١١ ـ هوك ، صموئيل ، الاساطير في بلاد ما بين النهرين ، ترجمة يوسف داود عبدالقادر ، دار الجمهورية ، (بغداد ، ١٩٦٨) ، ص ١١

١٢ ـ بوتيرو ، جان ، بلاد الرافدين ، ص ٢٦٧

١٣ ـ ينظر الفصل الثالث حول تفاصيل رحلة انانا الى العالم السفلي .

١٤ ـ حول « دلمون » ، ينظر الفصل الثاني من بحثنا .

١٥ ـ ينظر كريمر ، الاساطير السومرية ، وكذلك ينظر هنري هوك ، الاساطير في بلاد ما بين النهرين للتعرف على مثل هذه الرحلات التي يمكن أن نصفها بالمصطلح الحديث (رحلات داخلية) أو (محلية) تقتصر على التنقل من مدينة الى مدينة اخرى .

١٦ ـ ايا (انكي) يعني بيت الماء ، ومملكته الاصلية هي الابسو ، حمل آبا في العهود السومرية اسم انكي ويعني سيد الارض ، وكان يدعى احياناً بـ « سيد الصيف المقدسة (نينجيكو) أي الذي لا يخطى عليه شيء » وباعتباره إله المعرفة ، كان هو وشمش يتكلمان بوحي سوية ،

www.iraqinhistory.com

وكان يستشهد بالتعاويذ فضلًا عن نلك ، كان آيا مسيطراً على أعمال الناس (التجار والحجارون والصاغة) باعتباره راعياً لهم وكان مسكن ايا الارضي مدينة اريدو المقدسة (لطفي الخوري ، معجم الاساطير ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد ، ١٩٩٠) ، ج ١ ، ص ٩٢) .

١٧ ـ السواح ، مغامرة العقل الاولى ، ص ١٩٤

١٨ لابات ، رينيه ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ص ٣٤٤

(*) الانانوكي : ا . نونا (ك) أي نرية الامير الإلهي وربما يقصد بهذا الامير الإلهي (انكي ـ ايا) انه اسم مجموعة آلهة عليا (جان بوتيرو) ، بلاد الرافدين ، ص ٣٦٢

١٩ ـ كريمر ، اساطير العالم القديم ، ترجمة احمد عبدالحميد يوسف ، الهيئة المصرية العامة ، (القاهرة ، ١٩٧٤) ، ص ١٠٣

٢ ـ تموز أودموزي ابن تينكيسنزيدا (سيد غابة الحياة) والذي كان ابوه نيناز و (سيد الكهانة) بوساطة الحياة ، وقد احبته عشتار ، ولسبب ما ، غريب ومجهول ، أدى هذا الحب الى موت تموز وهكذا اختطف الموت تموز إله الحصاد وهو في عز شبابه ، واجبر على النزول الى العالم الاسفل (لطفي الخوري ، معجم الاساطير ، ج ١ ، ص ٢٧) .

٢١ ـ السواح ، مغامرة العقل ، ص ١٩٥

٢٢ ـ كونتينو ، جورج ، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ، ترجمة سليم طه التكريتي ، دار الشؤون الثقافية ، ط ٢ (بغداد ، ١٩٨٦) ، ص ٣٤٦

٢٣ كريمر ، اساطير العالم القديم ، ص ١٠٣

٢٤ ينظر نص الاسطورة رقم (٣) في آخر الرسالة .

٢٥ كريمر ، اساطير العالم القديم ، ص ١٠٣

٢٦ الخوري ، لطفي ، معجم الاساطير ، ص ٢٧

٢٧ كريمر ، اساطير العالم القديم ، ص ١٠٣

٢٨ الخوري ، لطفي ، معجم الاساطير ، ص ٢٧

٢٩ ـ كريمر ، اساطير العالم القديم ، ص ١٠٣

٣٠ ـ الخوري ، لطفي ، معجم الاساطير ، ص ٢٧

٣١ ـ السواح ، مغامرة العقل الاولى ، ص ١٩٤

٣٢ ـ الخوري ، لطفي ، معجم الاساطير ، ص ٢٧

٣٣ ـ لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ص ٣٤٩

٣٤ ـ كريمر ، اساطير العالم القديم ، ص ١٠٤

٣٥ ـ عبدالواحد ، فاضل ، وعامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص ١٤٤

www.iraqinhistory.com

٣٦ ـ لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧
٣٧ ـ عبدالواحد ، فاضل ، وعامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، ص ١٤٩
٣٨ ـ لابات ، المعتقدات الدينية ، ص ٣٥٧
٣٩ ـ لابات ، المعتقدات الدينية ، ص ٣٥٩
٤٠ ـ م . ن ، ص ٣٥٩
٤١ ـ عبدالواحد ، فاضل ، وعامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، ص ١٥٠
٤٢ ـ الخوري ، لطفي ، معجم الاساطير ، ص ٩٧
٤٣ ـ عبدالواحد ، فاضل ، عادات وتقاليد الشعوب ، ص ١٥١
٤٤ ـ كريمر ، اساطير العالم القديم ، ص ١٠٤
٤٥ ـ عبدالواحد ، فاضل ، عادات وتقاليد ، ص ١٥٢

هوامش
(الرحلة الى الفردوس الأرضي)

(*) لمعرفة اسماء جلجامش ومعانيها ينظر طه باقر ، الملحمة ، ط ٥ ، ص ٥١ ـ ٥٢

١ ـ دياكانوف . ا . م ، جماليات ملحمة جلجامش ، ترجمة عزيز حداد ، منشورات مكتبة الصياد ، (بغداد ، ١٩٧٣) ، ص ٢٢ . وينظر أيضاً فاضل عبدالواحد علي ، حضارة العراق (الفصل التاسع ـ الادب) جـ ١ ، ص ٣١٢ . حيث يرى ان جلجامش كان الملك السادس في سلالة الوركاء الاولى ، وانه حكم في حدود ٢٦٥٠ ق.م .

٢ ـ د. فاضل عبدالواحد علي ، قصة الحضارة ، تاليف نخبة من الباحثين العراقيين (الفصل التاسع ـ الادب) ، ١ / ٣١٢

٣ ـ باقر ، طه ، ملحمة جلجامش ، ص ٢٧

٤ ـساندرز ، ملحمة جلجامش ، ترجمة محمد نبيل نوفل وفاروق حافظ القاضي ، دار المعارف بمصر (القاهرة ت بلا) ، ص ٢٩ وينظر أيضاً احسان سركيس ، الاداب القديمة ، ص ١٥٠

٥ ـ وربما يكون هذا السور تلك الجدار الذي يبلغ طوله ستة أميال العائد الى عصر فجر السلالات والذي ما يزال يحيط بآثار مدينة الوركاء (ينظر جورج رو ، العراق القديم ، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، (بغداد ، ١٩٨٤) ، ص ١٦٨ وينظر أيضاً طه باقر ، الملحمة ، ص ٥٠) .

٦ ـ عبدالواحد ، فاضل ، قصة الحضارة ، ١ / ٣١٢

٧ ـ رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٦٨

٨ ـ م . ن ، ص ١٦٨ .

www.iraqinhistory.com

٩ - عبدالواحد ، فاضل ، قصة الحضارة ، ١ / ٣١٤
١ - السواح ، فراس ، ملحمة جلجامش ، دار الكتاب للنشر ، (بيروت ، ١٩٨٣) ، ط ٢ ، ص ٩ .
١١ - رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٦٩
١٢ - عبدالواحد ، فاضل ، قصة الحضارة ، ١ / ٣١٤
١٣ - رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٦٩
١٤ - السواح ، فراس ، ملحمة جلجامش ، ص ٩ .
١٥ - عبدالواحد ، فاضل ، حضارة العراق ، ١ / ٣١٦
١٦ - رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٦٩
١٧ - م . ن ، ص ١٦٩
١٨ - عبدالواحد ، فاضل ، حضارة العراق ، ١ / ٣١٧
١٩ - رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٦٩
٢٠ - م . ن ، ص ١٦٩ . وينظر كذلك فاضل عبدالواحد ، حضارة العراق ، ١ / ٣١٧ - ٣١٨ ، وينظر كذلك ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ترجمة محمد نبيل نوفل وفاروق حافظ القاضي ، دار المعارف بمصر ، (القاهرة ، ت بلا) ، ص ٥٩
٢١ - ينظر السواح ، ملحمة جلجامش ، ص ١٠
٢٢ - رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٧٠
٢٣ - جاكوبسن ، توركيلد ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٤٧
٢٤ - رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٧١
٢٥ - جاكوبسن ، توركيلد ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٤٧
٢٦ - ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ٣٣
٢٧ - جاكوبسن ، توركيلد ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٤٩
٢٨ - رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٧١
٢٩ - عبدالواحد ، فاضل ، حضارة العراق ، ١ / ٣٢٠
٣٠ - رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٧١ - ١٧٢
٣١ - م . ن ، ص ١٧٢
٣٢ - جاكوبسن ، توركيلد ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٤٩
٣٣ - عبدالواحد ، فاضل ، عادات وتقاليد الشعوب ، ص ١٦٤
٣٤ - فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٥٠
٣٥ - عبدالواحد ، فاضل ، قصة الحضارة ، ١ / ٣٢١
٣٦ - السواح ، ملحمة جلجامش ، ص ١٢

(*) حول المزيد من التفاصيل في موضوع دلمون ، ينظر الفصل الثاني من بحثنا .

www.iraqinhistory.com

٣٧ ـ عبدالواحد ، فاضل ، حضارة العراق ، ١ / ٣٢١
٣٨ ـ ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ٣٦ .
٣٩ ـ م . ن ، ص ٣٦ .
٤٠ ـ عبدالواحد ، فاضل ، حضارة العراق ، ١ / ٣٢١
٤١ ـ جاكوبسن ، توركيلد ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٥٠
٤٢ ـ عبدالواحد ، فاضل ، حضارة العراق ، ١ / ٣٢١
٤٣ ـ م . ن ، ١ / ٣٢١
٤٤ ـ جاكوبسن ، توركيلد ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٥٠
٤٥ ـ عبدالواحد ، فاضل ، حضارة العراق ، ١ / ٣٢١ .
٤٦ ـ السواح ، فراس ، ملحمة جلجامش ، ص ١٥
٤٧ ـ جاكوبسن ، توركيلد ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٥٠
٤٨ ـ السواح ، فراس ، ملحمة جلجامش ، ص ١٥
٤٩ ـ ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ١٥
٥٠ ـ عبدالواحد ، فاضل ، حضارة العراق ، ص ٣٢٢
٥١ ـ ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ٣٨
٥٢ ـ السواح ، ملحمة جلجامش ، ص ١٥ . وينظر كذلك ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ٣٨ ، الذي يرى ان الافعى التي تجدد جلدها هي رمز لتجديد النفس .
٥٣ ـ جاكوبسن ، توركيلد ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٥١
٥٤ ـ م . ن ، ص ٢٥١

www.iraqinhistory.com

الفصل الثاني

الفـــــردوس
(رحلة البحث
عن الخلــود)

www.iraqinhistory.com



www.iraqinhistory.com

١

جنة أم فردوس

في سالف العصور ،
لم يكن في الوجود حية ، ولم يكن فيه عقرب
لم يكن الضبع ولا كان السبع
لم يكن الكلب ولم يوجد الذئب
لم يكن هناك خوف ولا فزع
ولم يكن للانسان منافس
وجميع الكون والناس في وحدة وأُلفة
وكان الجميع يمجدون انليل بلسان واحد .[١]

يصور العصر الذهبي للانسان على انه السعادة الكاملة يوم كان الناس يعيشون بلا كد ولا كفاح[٢]. وبرغم انه لا توجد بين ايدينا اسطورة سومرية تحكي كيفية فقدان الانسان لعصره الذهبي وهبوطه الى (الأرض) ، إلا اننا نستطيع افتراض وجود مثل هذه الاسطورة ، استناداً لما تقصه اسطورة العصر الذهبي السومرية علينا من أوضاع الانسان السابقة للهبوط .[٣]

ويفترض كريمر سقوط الانسان ـ في تصور السومريين ـ بأن مردّه الى الغيرة والتحاسد بين الآلهة[٤]. بعد أن كان الانسان في تلك الازمان السعيدة ، لا يعرف

www.iraqinhistory.com

الخوف ، ولا منافس له ، يعيش في عالم يسوده السلام والوفرة ، وجميع شعوب الارض يعبدون إلٰهاً واحداً هو « آنليل »[٥]، ويمجدونه بلسان واحد ، وهو أول تصور للانسان عن العصر الذهبي جاء مدوناً في لوح من الطين .. في قصة الملحمة المعنونة « اينمركار وأرض أرتّا » .

والصراع بين الآلهة الذي يشير اليه كريمر يقصد به (افتراضاً) ان الإلٰه « انكي » وقد أزعجه سلطان الإلٰه « انليل » أو انه غار منه ، عمد الى تقويضه ... بأن أوقع النزاع والاحتراب بين شعوب الأرض ... وسبب بلبلة الألسن[٧]. وقضى بذلك على عصر الانسان الذهبي .

لقد اسست الاسطورة السومرية لأساطير الجنة اللاحقة في المنطقة ، ولاسطورة سقوط الانسان ، وفقدانه العصر الذهبي ، ففي سفر التكوين[٨] اشارة الى برج بابل تشير بوضوح الى وجود مشابهة بين اسطورة العصر الذهبي السومرية وبين ما جاء في التوراة حول الموضوع نفسه ، تقول الرواية :[٩]

« وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ، ولغة واحدة ، وحدث في ارتحالهم شرقاً انهم وجدوا بقعة في سهل شنعار ، وسكنوا هناك . وقال بعضهم لبعض هلم نصنع لبناً ونشويه شياً ، فكان اللبن مكان الحجر ، وكان لهم الخمر مكان الطين ، وقالوا هلم نبني لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه في السماء ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه الأرض . فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما . وقال الرب هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل . والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه . هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض ، فبددهم الرب من هناك على وجه الأرض . فكفوا عن بنيان المدينة ، لذلك دعي اسمها بابل[*]، لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض . ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض » .

وبهذا نجد صورة التشابه واضحة باستثناء ان السومريين عزوا سقوط الانسان الى الغيرة والتحاسد بين الآلهة ـ كما ذكرنا ـ في حين ان العبرانيين اعتقدوا بأن سبب ذلك يرجع الى « غيرة » « الوهيم » أي « الله » من طموح الانسان ليكون مثل الآلهة .[١٠]

أما الجنة بمفهومها الذي تجلى فيما بعد ، فتحدثنا عنها اسطورة اخرى هي اسطورة دلمون وسوف نأتي على ذكرها . وتعني الجنة : الحديقة ذات الشجر

www.iraqinhistory.com

والنخل ، وجمعها جنان . ولا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب ، فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة ، وليست بجنة . والجنة هي دار النعيم في الدار الآخرة . والجنة من الاجنان وهو الستر ، لتكاثف اشجارها وتظليلها بالتفاف إغصانها

أما الفردوس فهو البستان ، الوادي الخصيب ، الروضة ، والفردوس ، حديقة في الجنة . والعرب تسمي الموضع الذي فيه كرم ، فردوساً وفي الحديث ، أسألك الفردوس الاعلى . وفردوس : اسم روضة دون اليمامة . والفراديس موضع بالشام[١٢] واللفظ اليوناني Paradeisos يعني حديقة ، ويرد اللفظ في اليونانية تارة بالمعنى الاصلي ، وتارة بالمعنى الديني .[١٣]

والتقارب في المعنى واضح بين مفردتي « الجنة » و « الفردوس » فالجنة هي دار النعيم في الآخرة ، والفردوس حديقة في الجنة . فالجنة هي الاصل والفردوس جزء منها ، ونرى ان مصطلح الفردوس إذ يستخدم للدلالة على الجنة ، فذلك من باب استخدام الجزء للدلالة على الكل . أما من ناحية الدلالة والايحاء ، فلا نرى فرقاً بين استعمال المفردتين .

تتباين الآراء حول سبب نشوء فكرة « الجنة » . فهي بين أن تكون « عالماً مفقوداً »[١٤] وبين أن تكون « حلماً » تجلّى في ادبيات البشر التي تصف « عالماً قادماً »[١٥] هو حرية كاملة ومساواة مطلقة ، وراحة من لعنة العمل المفروض على الانسان . عالم لا مرض فيه ولا عناء ولا شيخوخة ولا موت .

ووفقاً للفكرة القائلة بأن الجنة عالم مفقود ، ففي ذلك اشارة الى تحديد نسبي لنشوئها في « فجر الزمن » حين لم يكن العالم إلا « عالم الوعد » فهو ما زال برعماً لم يتحدد له شكل ، ولا الانسان أو الحيوان قد اكتسب بعد عاداته ومميزاته ، فهذه كلها كانت في طور الامكان فقط ، فلم يكن الغراب ينعق بعد ، ولم يكن الذئب يختطف الحمل ، ولم تكتسب كل من الشيخوخة والمرض أعراضها ودلائلها .[١٦]

ويرجع بعضهم فكرة نشوء الجنة الى تحول العمل من متعة وتحقيق للذات ، الى عبودية واغتراب ، ومن طقس جماعي مرضٍ الى وحدة قاسية بلا هدف أو غاية ، ويتحدد هذا التحول بزوال المشاعة الابتدائية وفقدان الفرد سلطته على وسائل انتاجه لصالح الآخرين فظلت رغبة التغيير كامنة في الفرد ، لذلك كانت أساطير الجنة لدى كل الشعوب ، تعبيراً سلبياً عن رغبة في التغيير لم تخرج الى حيز الفعل ،

www.iraqinhistory.com

أو فعل تم احباطه ، فصار حلماً ينتظر[١٧]، ثم ان قصة التوراة التي تؤكد على ان الفلاحة كلت كلعنة على الانسان بسبب عصيان حواء أوامر الله ، انما تلقي ضوء على الموقف من العمل اليدوي في الشرق الأوسط (الذي تم التعبير عنه بحراثة الأرض) حيث يعتبر جهداً كريهاً مضنياً رغم انه ضرورة لا بد منها .[١٨]

ويقول جون غري ان فكرة الجنة تعكس ابهار البدوي العبري بخضرة وادي الرافدين ، ولعل الفكرة المؤسسة علي طرد آدم من الجنة ، جاءت انعكاساً للاحساس بالحرمان الذي كان البدوي العبري يعاني منه ، ونتيجة للطرد المستمر الذي كان يتعرض له هو وقطعانه من سكان الاراضي المزروعة .[١٩]

أما مدرسة التحليل النفسي فانها تفسر اسطورة الجنة على انها انعكاس للحالة التي عاشها الفرد في رحم امه ، فوضع الانسان الأول في الجنة ، وعيشه السهل دونما مشقة أو جهد أو قلق ، هو صورة لما كان عليه الطفل قبل الولادة ملتصقاً برحم امه ، في حالة من الاستقرار والدعة والطمأنينة ، حالة سوف يفتقدها في حياته التالية وسوف يبقى في حالة حنين دائم لها . وقد تجلى حنينه هذا في كل ما انتج لا شعوره من أساطير تتعلق بفردوس قادم سيؤوب اليه بعد نهاية عناء هذه الحياة[٢٠]، وهذا يعني ان العصور النائية لها على المخيلة سحراً أخاذاً غامضاً . فما أن يدب الاستياء في الناس من الحاضر ، حتى يلتفتوا الى الماضي آملين أن يلتقوا فيه من جديد بحلمهم ، الذي لم يغب عنهم قط ، بعصر ذهبي من حيث يظلون واقعين في أسر سحر طفولتهم[٢١]، ويرى آخرون ان الجنة تعويض لما ينقص المرء وتوقع لما ينتظر ويرجو .[٢٢]

لم يستدل الباحثون على مكان ما من الكون للجنة ، ولم يتم التفريق بين جنة إلهية وجنة بشرية ، وهل الفردوس على الأرض أم في السماء ؟ على انه يمكننا الافتراض ان رموز النعيم في مثل هذا العالم تميل الى أن ترتبط بالسماء التي لا تطال[٢٣]. ولعل الدور الشامل الذي تلعبه السماء في تركيب الكون المرئي ، والمحل العالي الذي تحتله بكونها فوق كل شيء ، يفسر جعل « آنو » إله السماء ، أهم قوة في الكون ، فحيثما وجد الانسان جلالًا وسلطاناً ، أدرك انهما قوى السماء ـ أي « آنو »[٢٤]. والتي كانت موضع دهشة الانسان البدائي ، وليس أدل على ذلك من دهشة أدابا الذي (تأمل السموات من قاعدتها الى ذروتها ، واستطاع أن يرى بهاء آنو غير قابل للاحتمال)[٢٥].

www.iraqinhistory.com

ويدعم هذا الافتراض ـ في رأينا ـ ما نلاحظه في قصة سقوط الانسان والتاكيد بوجوب « نزول » أو « خروج » الانسان الى موضع أدنى هو الأرض عقاباً له على خطيئة .. فقد أصدر آنو أمره بأن يعاد « آدايا » من السماء الى الأرض ، وعلى غرار ذلك تذكر التوراة ان الرب أمر بخروج آدم من جنة عدن الى الأرض .[٢٦]

وربما ارتبطت هذه الفكرة بتحقيق حلم الانسان في صعوده الى السماء عن طريق (بناء الابراج أو الزقورات في بلاد وادي الرافدين)[٢٧]. وهناك من يقول بأن الزقورة ربما كانت رمزاً الى كرسي أو عرش إلهي[٢٨]. أما بخصوص مدرجات البرج أو الزقورة فهي ربما كانت مجرد وسيلة لايصال المعبد العلوي الى السمو والرفعة أو انها عبارة عن رمز لسلم بين الأرض والسماء[٢٩]. ونرى انه لو لم تكن الجنة في مكان أعلى ، لما استخدمت مفردة « السقوط » أو « الهبوط » في عملية طرد البشر من الجنة ، لأن عملية السقوط ، أو الهبوط تتجه دائماً من الأعلى باتجاه الاسفل ، وليس العكس .

وعلى هذا يميز بعض الباحثين بين فردوس دنيوي ، وفردوس سماوي ، الفردوس الدنيوي يرمز الى شوق ابناء المدن المنهكين لمباهج الريف البسيطة ، أو حنين الكادحين المحبطي الهمة ، لبراءة الأطفال أكلة الفاكهة[٣٠]. وقد زعم بعض الباحثين[٣١] بأن قصة انكيدو أقدم مثل على سقوط الانسان . فقد اعتبر انكيدو « رجل الطبيعة الذي تربى مع ضواري الحيوان وكانت له سرعة الغزال . لكن بغيا من بغايا المدينة لم تلبث أن أغوت انكيدو . وكان في فقدان انكيدو براءته خطوة لا رجعة فيها[٣٢]، ولم يلتفت انكيدو ثانية الى الوراء نحو حياته القديمة المنطلقة ، الى ان رقد على فراش الموت ، وعندئذ تملكته غصة أس فصب لعنته على كل معلميه ، وتلك هي « سقطة آدم » معكوسة ، أو هي سقطة سعيدة .[٣٣]

كذلك آدم الذي تحول عن حياة البداءة التي عاشها في الجنة الى حياة الأرض ، حياة الحضارة التي يتعب فيها الانسان ويكد[٣٤]، لقاء المعرفة والحقيقة .[٣٥]

ومن المصادر الاخرى لقصة سقوط الانسان ، اسطورة آدابا الاكدية التي عثر عليها في تل العمارنة عاصمة اخناتون[٣٦]. ولا شك في ان قصة آدابا تبدو مختلفة لأول وهلة في تفاصيلها العامة عن قصة آدم ، غير انها في اعتقاد د. فاضل عبدالواحد تلتقي مع القصة التوراتية في نقاط جوهرية عديدة[٣٧] نجملها بما يلي :

www.iraqinhistory.com

الأولى : إن كلتا القصتين تدوران حول ما يمكن تسميته بخطيئة الانسان .

الثانية : ان هناك ـ في كلتا القصتين ـ شيئاً محرماً ، على الانسان عدم الاقتراب منه « طعام وماء الحياة » (قصة ادابا) و « شجرة الجنة » (التوراة) .

الثالثة : القصتان تدوران حول محور واحد ، وهو عصيان الانسان لأوامر الرب . فقد عصى ادابا أوامر الإله (آنو) برفضه تناول طعام وماء الحياة ، بينما عصى ردم أوامر الرب باقدامه على الاكل من شجرة الجنة . وكان العصيان ـ في كلتا الحالتين ـ سبباً في انزال اللعنة على الانسان .

الرابعة : ان في القصتين تأكيداً على وجوب « نزول » الانسان الى موضع أدنى هو الارض كـ « عقاب » على « خطيئته » .

الخامسة ان هناك ـ في كلتا القصتين ـ خيبة أمل شديدة لحقت بالانسان لعصيانه أوامر الرب (بفقدانه فرصة الخلود) .

السادسة ان في كلتا القصتين رمزاً للشر حمل الانسان على عصيان أوامر الرب ، ففي حين تذكر التوراة ان الحية كانت السبب في اغراء حواء وآدم على عصيان اوامر الرب عندما أكلا من ثمر شجرة الخير والشر ، فان طريقة العصيان معكوسة في قصة آدابا الذي أخذ بنصيحة الإله « ايا » فامتنع عن تناول « طعام وماء الحياة » الذي قدم له في السماء.[٣٨]

لا تتفق الباحثة مع ما جاء في مضمون النقطة السادسة فيما يخص الإله « إيا » ، إذ لا يصدق أن يكون الإله رمزاً للشر ، ولم يثبت حتى الآن الدافع الذي جعل إيا يسدي النصيحة لآدابا ، وقد تضاربت آراء الباحثين حول تقييم هذا الإله ، فبعضهم يرى فيه عدواً للانسان ، بينما يراه آخرون صديقاً للانسان.[٣٩]

دلمون (Dilmun) الجذر السومري للجنة

يظهر من النصوص التاريخية ان دلمون جزيرة تتمتع بقدسية خاصة ... وقد رويت عنها أساطير دينية ... ووجد اسم الإله (انزاك) في كتابة عثر عليها في البحرين[٤٠].. وذكر (هومل) ان من كبار آلهة (دلمون) : (لخامو) (لخامون)[*]، وهو آلهة انثى . وأشار أيضاً الى نص أرخ في السنة السابعة من سني (فيلبس) (Philippus) (فيلفوس) وتقابل سنة (٣١٧ ق.م) ، وهو نص بابلي ورد فيه اسم أرض دعيت (برديسو) (Pardesu) وتقابل هذه الكلمة كلمة

www.iraqinhistory.com

(Pildash) (Pardes) بالعبرانية و (فردوس) بالعربية ، وتقع في القسم الشرقي من جزيرة العرب بين (مجان) و (بيت نيسابو) والتي هي جزيرة دلمون .[٤١]

غير ان دلمون في رأي « رو » يمكن أن تعني أي مكان خيالي بعيد ، وليس جزيرة البحرين بالضرورة[٤٢]. إلا ان ما تتمتع به دلمون من موارد طبيعية وموقع جغرافي مهم بين العراق والهند يجعل منها مكاناً أقرب الى الخيال منه الى الواقع وقد عثر على نصوص تبين من دراستها انها عقود واتفاقيات عقدت بين تجار للاتجار بين (أور) و (دلمون) ، ويظهر ان اولئك التجار كانوا يستوردون النحاس من (دلمون) ، وكان من جملة السلع التي استوردوها من (دلمون) الفضة و (عين السمك) أي اللؤلؤ على ما يظن .[٤٣]

ويظهر من هذه النصوص ومن نصوص اخرى ، ان الاتجار بين (دلمون) و (أور) كان متصلًا مستمراً . وان جماعة من تجار (أور) كانوا يرسلون قوافل من السفن الى (دلمون) للاتجار فيبيعون ما لديهم من بضائع من حاصلات العراق ومن الاموال الواردة الى العراق من اسواق ايران وبلاد الشام وآسيا الصغرى وربما من اليونان واسواق اوربا . ويعودون ببضائع من البحرين ، هي في الغالب من تجار الهند أو افريقيا في جملتها المعادن والأخشاب والعطور والأشياء النفيسة الاخرى

وهناك من يزعم ان (السومريون) انما جاؤوا الى العراق من البحرين ، في حوالي السنة (٣١٠٠ ق.م) . وقد عرفت البحرين باسم « دلمون » « تلمون » في نصوص السومريين[٤٥]. وقد حملت هذه التسمية بعض العلماء على التفكير في ان ما ورد عن (جنة عدن) في التوراة ، انما اريد به هذه المنطقة التي تقع في القسم الشرقي من جزيرة العرب وعلى سواحل الخليج .[٤٦]

وينفي « جورج رو » هذه النظرية ، معللًا ذلك بأنه ليس هناك أية اشارة في اسطورة « دلمون » توحي لنا بكون هذه الجزيرة هي الموطن الاصلي للسومريين . وفي الحقيقة ـ يقول رو ـ فقد كان السومريون كغيرهم من الشعوب القديمة ، يعتقدون بأن بلدهم هو « محور العالم » وانهم الاحفاد المباشرون لأول المخلوقات البشرية .[٤٧]

وقد عثر المنقبون على آثار معابد في مواضع من جزر البحرين ... وفي جملة ما عثر عليه في أنقاضها ، بعض التماثيل وبعض الاحجار المثقوبة ، وكانت مذابح تذبح عليها القرابين ، فتسيل دماؤها من هذه الثقوب الى حفرة تتجمع فيها الدماء ،

www.iraqinhistory.com

وقد تبين ان هذه المعابد هي من معابد العصر النحاسي والعصر البرونزي ، وان تاريخ بعضها يعود الى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد.[٤٨]

ويؤكد كريمر بأن هناك من الأسباب ما يحمله على الاعتقاد بأن فكرة الفردوس الإلهي هي سومرية المنشأ والاصل ، وكان موضع هذا الفردوس السومري في أرض « دلمون »[٤٩] وفي « دلمون » هذه نفسها ، وضع فيما بعد البابليون « أرض الاحياء » موطن الخالدين منهم.[٥٠]

لنقرأ الأبيات الأولى من افتتاحية اسطورة (آنكي وننخرساك) موجهة اليهما مباشرة :[٥١]

عندما كنتما تقتسمان الارض العذراء (مع رفاقكما من الآلهة)
ـ انتما ـ كانت أرض دلمون اقليماً نقياً
عندما كنتما تقتسمان الارض النقية (مع رفاقكما من الآلهة)
ـ انتما ـ كانت ارض دلمون اقليماً نقياً
كانت ارض دلمون نقية ، كانت ارض دلمون فتية
كانت ارض دلمون فتية ، كانت ارض دلمون وضاءة
عندما اضطجعا على الارض وحدهما في دلمون
ومضطجع انكي مع زوجه مكان فتي ، مكان وضاء
عندما اضطجعا على الارض وحدهما في دلمون
ومضطجع انكي مع زوجه مكان فتي ، مكان وضاء
لم يكن الغراب ينعق في دلمون (كما ينعق الغراب اليوم)
ولا الديك كان يصيح صياح الديك (كما يصيح الديك اليوم)
ولا الأسد يفترس
ولا الذئب يختطف الحمل
ولا الجحش يعرف كيف ياكل الحبّ
وأرمد العين لم يكن يقول « أنا (أ) رِمد العين »
ولا الصداع يقول « أنا الصداع »
والعجوز لم تكن تقول « أنا العجوز »
ولا الشيخ يقول « أنا الشيخ »

وعلى أساس هذه المزايا التي تتميز بها دلمون ، يصفها بعضهم بأنها (خيال

www.iraqinhistory.com

شاعري يتوق الى وجود أسمى ، كان يتمثله السومري من نصيب الآلهة ، وأكبر الظن انها من محتكرات الملوك أيضاً . وتذكرنا بالاوصاف المستفيضة والخارقة التي في متون الاهرام عن جنة الفراعنة .[٥٢]

وأرض دلمون لم تكن للموتى العاديين . فاوتو نبشتم لم يمت ، وانما جعل في منزل ليحيا هناك الى الأبد .[٥٣]

واقتران الجنة بالانهار ـ مصدر الخضرة ـ أدى الى الاعتقاد بأن الجنة تقع في منابع الانهار ، فقد كان السومريون والبابليون يعتقدون ان موطن الآلهة والبشر هو الابسو (Apsu) « المياه العذبة » .[٥٤]

اســـــطورة دلمـــون

كانت دلمون ، كما ذكرنا ، أرضاً « نقية » « وضاءة » « أرضاً للاحياء » ، ولا تعرف المرض ولا الموت ، ولم يكن ينقصها سوى الماء العذب اللازم لحياة الحيوان والنبات ، لذلك يأمر إله الماء السومري الاكبر « انكي » ، « اوتو » إله الشمس بأن يملأها ماءً عذباً يستنبط من الارض[٥٥]. وهكذا تتحول دلمون الى حديقة إلٰهية خضراء عامرة بالحقول الملأى بالفاكهة وبالمروج .[٥٦]

وفي هذه الجنة الإلٰهية ، زرعت الآلهة « ننخرساك » ، الآلهة الام العظيمة عند السومريين ، ثمانية أصناف من النباتات بعد سلسلة من العمليات المعقدة شملت ثلاثة أجيال من الامهات اللواتي ولدن من إله الماء ، وكانت ولادتهن بدون أدنى ألم أو معاناة[٥٧] ولم تعلن ننخرساك عن أسماء النباتات وطبيعتها وخواصها ، غير انها تكتشف فجأة ان آنكي قد سبقها الى تقرير ذلك كله وانه أكل النباتات ، فتحقد عليه لهذه الاهانة حقداً مريعاً ، وتلعن إله المياه[٥٨]. ثم تختفي من بين الآلهة

وتبدأ صحة آنكي في الانحدار حين تصاب ثمانية من أعضائه بالمرض[٥٩] وتضطرب الآلهة اضطراباً شديداً لهذه اللعنة لان معناها نفي المياه العذبة الى ظلمات أعماق الارض ، وبالتالي موتها موتاً بطيئاً عندما تغيض الآبار والانهر في فصل الصيف[٦٠] لولا تدخل الثعلب الذي يأتي بننخرساك ، وهي بدورها تخرج الى الوجود ثمانية ربّات شافية تقابل الأعضاء المعتلة فيعود آنكي الى الحياة والصحة .[٦١]

www.iraqinhistory.com

وينفرد الدكتور أحمد سوسة برأي لا يتفق مع كل الآراء التي ذكرناها فيما يخص مكان الفردوس العراقي القديم ، ونسبته ، فهو ينفي أن تكون الجنة الأولى (الأقدم) سومرية ، كما ينفي أن يكون مكان الفردوس الإلٰهي في « دلمون » وبذلك يرجح ان فكرة الفردوس الإلٰهي أول من ابتدعها الساميون العموريون الذين استقروا على ضفاف نهر الفرات في جوار عانه وهيت ، لأن أكثر العلماء الآثاريين متفقون على ان الساميين كانوا قد نزحوا من الجزيرة العربية الى ضفاف الفرات في حوالي الألف الرابعة قبل الميلاد ، وبذلك يكونون قد سبقوا السومريين في الاستيطان بحوالي الف عام .[٦٢]

ويحاول أحمد سوسة أن يبني رأيه على اساس الربط بين مستقر الساميين على نهر الفرات وبين موقع الفردوس الإلٰهي عند فم الأنهار . لذلك يرى ان الساميين حددوا موقع الجنة على نهر الفرات في رأس دلتا نهر الفرات .. في المكان الذي يتفرع النهر فيه الى أربعة فروع ، هي : فيشون وجيحون وحداقل والفرات ، فيمثل الأول منخفضي الحبانية وأبي دبس ، والثاني نهر الهندية الحالي ، والثالث مجرى الصقلاوية القديم ، أما الرابع فهو نهر الفرات ، أي المجرى القديم المعروف بنهر كوثا[٦٣].

ويشير بعض الباحثين الى (جذور سومرية ـ بابلية)[٦٤] للجنة التوراتية . وتقع الجنة التوراتية في عدن ، وتعبير جنة عدن ، ربما كان مشتقاً من جنات ادون المعروفة تماماً في طقوس الخصب السورية القديمة[٦٥] والتي يدعوها جيمس فريزر بـ « جنائن ادونيس »[٦٦].

إلا ان المرجح هو ان كلمة (عدن) مشتقة من لفظة (عَدِنو) Edinu الاكدية ، وهي مستعارة من لفظة Edin السومرية ، وتعني (سهل ، أرض منبسطة) يعزز ذلك ان موقع جنة عدن ، في التوراة ، الى الشرق من فلسطين ، ومن هذه الجنة يجري نهر يتفرع الى اربعة فروع هي : فيشون المحيط بأرض الذهب ، وجيحون المحيط بأرض كوش[*]، وحداقل (دجلة) الجاري شرق آشور . وجنة عدن عند السومريين تقع جنوبي العراق ، ويتفق هذا مع الوصف الجغرافي للجنة العبرية .[٦٧]

ويحدد د. فاضل عبدالواحد موقع جنة عدن بالاستناد الى النصوص السومرية من عصر فجر السلالات (في حدود ٢٤٥٠ ق.م) موضحاً ان (Edin) كانت تطلق على المنطقة السهلية الواقعة جنوبي مدينة أوما (جوخة) وغربي مدينة لجش[٦٨]،

www.iraqinhistory.com

أما موقع جنة عدن فهي ـ كما يراها د. فاضل عبدالواحد ـ كما افترضها التوراة ضمنياً (كانت تقع في جنوبي وادي الرافدين أي في سومر) بدليل ان نهري دجلة (في السومرية Idigna وفي العبرية Hiddekel حدقيال) والفرات ، كانا من بين الانهار الاربعة التي تجري فيها .(٦٩)

وفي اللغة العربية ، نستعمل تعبير جنات عدن و « جنات النعيم » تبادلياً ، وهنا نستطيع أن نلمح تشابهاً بين كلمة « النعيم » وكلمة « النعمان » . والنعمان من أسماء ادونيس وبقي في العربية من اصوله الآرامية وتسمي به العرب وما زالوا وعليه تكون جنات عدن « آدون » وجنات النعيم « النعمان » تسميتين لمسمى واحد هو جنات أدونيس .(٧٠)

ويشير السواح الى ما لمفردة النعيم والنعمان من أصداء في القواميس العربية ، حيث نجد كلمة نعم بمعنى نضر واخضوضر(٧١)، وكذلك كلمة الناعمة : التي تعني الروضة أو الحديقة(٧٢)، وكلها ربما كانت اشتقاقاً من النعمان أو أدونيس إله الزراعة والخضرة والخصب والى يومنا هذا تطلق على بعض أنواع الزهور الربيعية الحمراء اسم « شقائق النعمان » أي « جراح ادونيس » . وذلك بقية من الاعتقادات القديمة التي كانت ترى على هذه الازهار دم الإله القتيل الذي افترسه الخنزير البري .(٧٣)

طعـــام الحيـــاة

تتمثل ديانات الشرق حياة الآلهة باقتباس صور من حياة العظماء ، فتصور الآلهة وهم يتنعمون في قصور تحيط بها حدائق يجري فيها « ماء الحياة » ، وتنبت فيها ضمن سائر الاشجار الرائعة « شجرة الحياة » التي تغذي بثمرها الخالدين(٧٤). وتقدم لنا كلمة « فردوس » الدليل الأول على ذلك . فالكلمة تعني « متنزه ملكي » أو « حديقة مسوّرة » أي انها بقعة خصبة محاطة بأسوار أو حيطان عالية .(٧٥)

وتجدر الاشارة الى ان اساطير الجنة والجحيم السومرية والاكدية تأتي على ذكر « طعام الحياة وماء الحياة » و « طعام الموت وماء الموت » ويقابلهما في التصور التوراتي « شجرة الحياة » و « شجرة معرفة الخير والشر » .

ويرى البعض ان « شجرة معرفة الخير والشر » هي شجرة طوطمية انطلاقاً من كونها شجرة محرمة ، شأن الطوطم أما « شجرة الحياة » فهي انعكاس للفكرة القائلة

www.iraqinhistory.com

بخلود الحياة[٧٦]. والتشابه واضح ، يعززه رأي كريمر ، إذ يرى ان اليهود تأثروا بالكنعانيين الذين أخذوا فكرة الفردوس الإلهي عن السومريين .[٧٧]

ان كتاب قصة الخليقة وسقوط الانسان ، حمّلوا المرأة ، وليس الرجل ، جريرة السقوط ، واعتبروها رمزاً للخطيئة والرذيلة ، فالشيطان هو الذي حمل حواء على أكل الفاكهة المحرمة ، وهو الذي كان وراء اكتساب آدم وحواء المعرفة التي كان أول مظاهرها إدراكهما انهما عاريان[٧٨]. مقابل اللعنة التي لعنت بها حواء من انه سيكون نصيبها أن تحبل وتلد الذرية بالغم والأسى .[٧٩]

ويعقد كريمر مقارنة بين ما جاء في اسطورة (انكي وننخرساك)[٨٠] حول أكل الإله « انكي » من النباتات الثمانية واللعنة التي لعن بها من أجل ذلك الذنب ، وبين أكل آدم وحواء من ثمرة شجرة المعرفة واللعنة التي حكم بها على كل منهما جراء ارتكاب تلك الخطيئة .[٨١]

ويتساءل كريمر عن السبب الذي دفع القصاص العبراني أن يختار الضلع دون سائر اعضاء الجسم الاخرى لتخلق منه المرأة التي يعني اسمها « حواء » بحسب تفسير التوراة له « تلك التي تحيي أي تسبب الحياة » .

ويجيب عن ذلك بأن (أساساً أدبياً سومرياً كالذي تقدمه لنا قصيدة « دلمون » ، هو الذي استندت اليه قصة الفردوس في التوراة . ففي القصيدة السومرية كان أحد أعضاء الإله « انكي » الذي أصابه المرض هو « الضلع » والكلمة السومرية للضلع هي « تي » (Ti) ودعيت الآلهة التي خلقت من أجل أن تشفي « ضلع » انكي باسم (نن ـ تي) ، أي « سيدة الضلع » ، وعلى هذا فيعني اسم الآلهة « نن ـ تي » السيدة التي تحيي ، أو « سيدة الضلع »).[٨٢]

ومع ان التوراة اعتبرت أكل الفاكهة المحرمة خطيئة ، وحملت حواء ـ أي المرأة ـ جريرة السقوط ، إلا ان جوليان فورد يعتبر إقدام حواء ، أو المرأة ، على أكل هذه الثمرة من الشجرة عملًا تحمد عليه ، لأنها وضعت حداً لهذا التابو ، ووفرت لقومها هذا الطعام بعد أن شحت مصادر القوت والامطار ، فلقد كان جني الفاكهة وتوفير الطعام النباتي من مهمات المرأة .[٨٣]

كانت شجرة الحياة احدى العناصر المكونة لأساطير الفردوس والجحيم في العراق القديم ، بحيث انها توجه الاسطورة بالشكل الذي يبدو فيه « طعام الحياة » « عشبة الحياة » « نبتة الخلود » عاملًا أساسياً في تحديد مصير بطل الرحلات كما

www.iraqinhistory.com

في (انانا ـ جلجامش ـ آدابا ـ ايتانا) وسنتحدث عن ذلك في الفصل الرابع .
ولكن ما نوع شجرة الحياة في الجنة الرافدينية ؟

يرجح موسكاتي أن يكون (نبات الحياة أو شجرته متمثلاً في صورة نخلة عادية ترمز الى تجدد الحياة تجدداً أدبياً)[٨٤]. ويعلل بعضهم ترجيح النخلة بأنه بسبب كونها من الاشجار دائمة الخضرة ، وبهذا تبدو دائمة الحياة ، كما ان اقتران النخلة بالعنقاء المعمرة يلقي ضوء على هذه الحقيقة ، أي اعتبار النخلة شجرة الحياة .[٨٥]

وربما يكون السبب في اتخاذ السومريين النخلة لتمثل شجرة الحياة بسبب وجودها في بيئتهم[٨٦]، أما الساميون فقد اتخذوا شجرة التفاح لتمثل شجرة الحياة .[٨٧]

واستمرت شجرة الحياة كتقليد اسطوري من تقاليد الجنة في متواريات الاساطير لدى الشعوب ، إلا انها اتخذت تسمية تتناسب والبيئة المحلية للاسطورة ويورد فريزر في الغصن الذهبي طقوساً متنوعة لشعوب كثيرة تتعلق بتقديس الشجرة وعبادتها وتقديم الأضاحي عند جذورها . وكان بعضهم يقدس أشجار البلوط الضخمة التي كانوا يستخبرونها ويتلقون منها الاجابات ، وفي الفورم وهو مركز الحياة الرومانية الزاخر ، ظلت عبادة شجرة التين المقدسة قائمة حتى قيام الامبراطورية ، وفي كوس ـ في هيكل اسكو لابيوس ، يحرم قطع أشجار السرو ويعاقب من يفعل ذلك . وقد كان بعضهم يقيم « غيضات »(*) مقدسة حول قراهم أو منازلهم ، وكان مجرد قطع فرع صغير من احدى اشجارها يعتبر إثماً لا يغتفر ، كما كانوا يعتقدون بأن من يقطع أحد الاغصان من هذه الغيضات ، إما أن يموت فجأة أو يصاب بالشلل في أحد أطرافه ، والأدلة على انتشار عبادة الشجر في اليونان وايطاليا القديمة كثيرة جداً .[٨٨]

ويروى ان كل الشجر والطيب الذي على الأرض هو في الاصل من طيب وشجر الجنة . (وذكر ان آدم عليه السلام أهبط الى الارض ، وعلى رأسه اكليل من شجر الجنة ، فلما صار الى الأرض وييس الاكليل ، تحاتّ ورقه فنبت منه أنواع الطيب)[٨٩].

ويزعم آخرون ان شجرة المعرفة كانت ساق حنطة هائلة أطول من شجرة ارز ، أو شجرة كرم ، أو شجرة اترج .[٩٠]

www.iraqinhistory.com

وهناك رواية تقول ان الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته كانت السنبلة ، فلما أكلا منها بدت لهما سوءاتهما[٩١]. وقيل : كان مما اخرج آدم معه من الجنة صرة من حنطة جاءه بها جبريل بعد أن جاع آدم واستطعم ربه فبعث الله اليه مع جبرئيل عليه السلام بسبع حبات من حنطة ، فوضعها في يد آدم عليه السلام فقال آدم لجبرئيل : ما هذا ؟ فقال له جبرئيل : هذا الذي أخرجك من الجنة[٩٢]. وأمر آدم بالحرث فحرث وزرع ثم سقى ، حتى اذا بلغ حصده ، ثم داسه ، ثم ذرّاه ، ثم طحنه ، ثم عجنه ، ثم خبزه ، ثم أكله .

ان هذه العمليات الطويلة في صناعة الخبز (طعام الحياة) تشير اشارة واضحة الى اللعنة التي حلت بآدم . قال : فبعزتي لاهبطنك الى الأرض ، فلا تنال العيش إلا كدّا ، فاهبط من الجنة ، وكانا ياكلان فيها رغداً « فأهبط الى غير رغد من طعام وشراب »[٩٣].

ويجعل السواح « الفعل الجنسي » بديلًا عن البقاء في الجنة (إن صورة آدم وحواء في جنة عدن ، ما هي إلا ترديد للمرحلة الاقتصادية القائمة على التقاط الطعام في فترة ما قبل الحضارات . أما السقوط الناتج عن الاكل من شجرة المعرفة ، فيرمز الى قبول تحدٍ يهدف الى ترك هذا التكامل التام ، والشروع في عملية تفاضل جديدة قد تسفر عن تكامل جديد[٩٤]. وهذا يعني ان عملية سقوط الانسان كانت باختياره هو (وما المعاشرة الجنسية بين آدم وحواء التي تلت ذلك ، إلا فعل الخلق الاجتماعي أثمرت ثمرتها في انجاب ولدين يمثلان حضارتين : هابيل راعي الغنم ، وقابيل زارع الأرض)[٩٥].

الحية ـ المرأة ـ القمر

وتظهر الحية ـ كرمز من رموز الجنة . وهناك نقش سومري يصور رجلًا وامرأة جالسين على مقعدين وبينهما شجرة تدلت منها ثمرتان ، أو على ما يبدو ، عذقا تمر : واحد باتجاه الرجل والآخر باتجاه المرأة ، وقد مدّ الرجل والمرأة يديهما الى التمر . وهناك حية واقفة منتصبة تماماً خلف المرأة وكأنها تغريها على أكل التمر ، ولعل الفكرة التوراتية حول اغراء الشيطان لحواء بأكل الثمر مأخوذة من هذا النقش.[٩٦]

حول الأصل السومري لرمز « الحية » نطالع في اسطورة جلجامش كيف ان جلجامش (أعطى « سحراً » ضد الموت ـ وهو نبات الحياة ـ من قبل اوتو نبشتم ،

www.iraqinhistory.com

لكن الافعى تسرق هذا « السحر » وتستعيد شبابها بواسطته)[٩٧] لذلك اعتقد الانسان القديم بأن الحية خالدة لا تموت وان تبديلها لجلدها القديم بجلد آخر هو تجديد لحياتها كلما نال منها الهرم*. وربط بينها وبين القمر الذي يجدد حياته أبدياً في دورة شهرية دائمة[٩٨]، هي ذاتها الدورة الشهرية الخاصة بالمرأة . ولكن ملحمة جلجامش لا تطرح فكرة الحية بهذا الشكل الذي يربط بينها وبين كل من القمر والمرأة ، وانما يكتفى بالجزء الخاص لمعتقد الخلود الذي نالته الحية في غفلة من جلجامش .

على ان الباحثة لا تستبعد علاقة المرأة بالقمر في المعتقدات السومرية استناداً الى الاعمال التشكيلية التي وصلتنا عن تلك الفترة التاريخية . وعلى وفق حساباتنا لهبوط انانا الى العالم السفلي ، نلاحظ ان علاقة وثيقة بين الهبوطين : هبوط المرأة ، وهبوط القمر ، الى العالم السفلي . من حيث تجرد المرأة عن زينتها وملابسها أثناء رحلة الهبوط الى العالم السفلي ، وهو مظهر من مظاهر تجرد القمر عن ضوئه وزينته في تناقصه حتى دخوله العالم السفلي (المحاق) ، وشبيه بهما تجرد الحية عن ثوبها وارتداء ثوب الحياة الجديد . وورث العرب عبادة الحية باعتبارهم إياها بنت الجان[٩٩] ويقوم الدليل اللغوي سنداً للعلاقة بين مثلث (حواء ـ الحياة ـ الحية) باعتباره من جذر واحد يرمز للحياة . واعتبرت الحية من حيوانات القمر المقدسة كرمز للحياة على عكس الحوت الذي اعتبر رمزاً للموت ، متمثلًا في بلعه للقمر وفي بلعه ليونس ، وان شئنا ربط الحوت كرمز للموت مع الحية كرمز للحياة ، وجدنا العلاقة في كون الحية ثنائية القيمة ، أي انها رمز للعدو والموت من جهة ، الى جانب دلالتها على الخلود والشفاء والتجدد من ناحية اخرى . اذن ، الحية والحوت رمزان متكاملان لظاهرتين متكاملتين هما الحياة والموت ، أي الحياة في مظهريها البنائي والهدمي ، والشمس في شروقها وغروبها

ويلخص الطبري العلاقات المذكورة بين (الحية وحواء والقمر) حيث نهى الله سبحانه وتعالى آدم وحواء أن يأكلا من شجرة واحدة في الجنة ، ويأكلا ما عداها رغداً . فجاء الشيطان فدخل في جوف الحية ، فكلم حواء ، فقطعت حواء الشجرة فدميت الشجرة وسقط عنهما رياشهما الذي كان عليهما . سأل الرب آدم : لِمَ أكلتها وقد نهيتك عنها ؟ قال : يا رب اطعمتني حواء ، قال لحواء : لِمَ اطعمته ؟ قالت : أمرتني الحية ، قال للحية : لِمَ أمرتها ؟ قالت : أمرني ابليس ، قال : ملعون مدحور .

www.iraqinhistory.com

أما أنت يا حواء ، فكما أدميت الشجرة تدمين في كل هلال ، وأما أنت يا حية ، فاقطع قوائمك فتمشين جرياً على وجهك .[101]

www.iraqinhistory.com

٢

الخلــود
قراءة في إسطورة الطوفان

الملك « زيوسدرا »
سجد أمام « آن » و « انليل »
واصطفى « آن » و « انليل » زيوسَدرا
ووهباه الحياة مثل إله
« زيوسدرا »
الملك الذي حافظ على الزرع
والذي صان ذرية البشر
وفي أرض « العبور » في أرض « دلمون »
الموضع الذي تشرق منه الشمس ،
اسكناه هناك »[1]

ان الانسان الفاني الوحيد الذي عرف بنجاته من الموت ونال الخلود ، هو سلف (جلجامش) (اوتونبشتم) وهو الشخصية البابلية التي تقابل (زيوسدرا) بطل الطوفان السومري .[2]

ان رجل الطوفان ـ كما وردت في الرقيم الحادي عشر من ملحمة جلجامش ـ

www.iraqinhistory.com

يدعى اوتونبشتم (Utnapishtim) وهذا الاسم البابلي يتكون من الفعل « وجدت » .. ثم (napishtim) بمعنى « النفس ، الحياة » ولذلك يكون معنى الاسم « لقد وجدت الحياة » كناية بالطبع عن حصوله على الحياة الابدية[٣]، في ظروف فذة لن تتكرر مطلقاً[٤] حمل ليعيش الى الأبد « في مبعدة عند مصبات الأنهار » وهو قد عاش في الماضي السحيق من قبل الطوفان .[٥]

ومن الجدير بالذكر ان الاقدمين أنفسهم طابقوا بين اوتونبشتم « لقد وجدت الحياة » في ملحمة جلجامش وبين زيوسدرا « الذي جعل الحياة طويلة » في قصة الطوفان السومرية ، حيث وردت الصيغة السومرية Zi-sud-da مرادفة للصيغة البابلية Ut-napishtim في أحد النصوص المسمارية وفضلًا على هذا ، فقد ورد في الرقيم التاسع من ملحمة جلجامش ان اوتونبشتم كان ابناً للملك اوبار ـ توتو من سلالة شروباك . وهذا ينطبق أيضاً على زيوسدرا الذي تجعله احدى الروأيات السومرية خليفة مباشراً لهذا الملك باعتباره ابناً له .[٦]

وقد وصف زيوسدرا في الاسطورة بكونه ملكاً صالحاً تقياً يخشى الآلهة وكان يتلهف شوقاً الى الاتصال بالوحي الإلٰهي في الاحلام وفي تلاوة التعاويذ والأدعية[٧]، ثم تصف لنا الاسطورة الأخيرة من النص السومري ، كيف ألهوا « زيوسدرا » فانه بعد ان سجد للإلٰه « آن » و « انليل » وهبت له الحياة (الخالدة) مثل إلٰه ، وزود بالنفس الخالد ، ونقل الى « دلمون » حيث مطلع الشمس .[٨]

وقد نال اوتونبشتم (زيوسدرا السومري) ـ خاصة الخلود كثواب له على ما أداه من خدمات جلى للنوع البشري[٩] حين عزمت الآلهة في قراءة نفوسها أن تفني العالم[١٠] وهكذا ـ ولسبب غير معروف ـ قدر للجنس البشري الهلاك بواسطة الطوفان .[١١]

من المعروف ان الرقيم الحادي عشر من ملحمة جلجامش يتناول موضوع الطوفان الذي أجمعت الآلهة على أحداثه لافناء البشرية[١٢]. وان اتونبشتم نفسه ، لو لم يعتصم بالفلك الذي صنعه بنصيحة الإلٰه أيا إلٰه الحكمة ، لكان من الهالكين .[١٣]

وقد روى اوتونبشتم من خلال الحوار الذي دار بينه وبين جلجامش انه كان يعيش في مدينة شروباك وكيف ان الإلٰه أيا كشف له النقاب عن قرار الآلهة باحداث الطوفان ثم ياتي اوتونبشتم على ذكر تفاصيل بنائه لسفينة النجاة التي حملته ومن

www.iraqinhistory.com

معه من بشر وحيوانات وطيور ومؤن خلال الطوفان الهائل ، وكيف ان الآلهة وهبته الخلود في نهاية المطاف .[١٤]

وليس ثمة تفسير للسبب المباشر لقرار الطوفان الذي اتخذته الآلهة بافناء البشر ، ويحتمل انه كان عين السبب الوارد في سفر التكوين الى حد كبير « كانت الارض فاسدة قبل الرب وكانت الأرض مملوءة عنفاً »[١٥]، وليس الطوفان إلا واحداً من عدد من الكوارث التي سلطها الآلهة على البشر .[١٦]

إلا ان الإله « انليل » الذي سلط الطوفان ، والذي باءت مساعيه ـ لافناء البشر ـ بالفشل ، صب لومه على الإله « أيا » الذي أفشى سر الآلهة لاوتونبشتم ، وحمله مسؤولية فشله في مسعاه ، لكن « أيا » انبرى للدفاع عن قضيته وقضية الانسان ببلاغة رائعة[١٧]..

اني لم أفشِ سرّ الآلهة العظام
ولكني جعلت اثر احاسيس(*) يرى حلماً فادرك سر الآلهة
والآن عليك أن تتدبر الامر بشانه[١٨]

أخيراً استجاب « انليل » ورقّ قلبه ، فصعد الى السفينة وأمسك بيد اوتونبشتم وأصعده معه وأصعد زوجته وجعلها تسجد بجانبه ، وقف انليل بينهما ، ثم لمس جبينهما وباركهما قائلًا :[١٩]

« ما كان اوتونبشتم قبل الآن إلا بشراً
ولكن من الآن سيكون اوتونبشتم وزوجته مثلنا نحن الآلهة
وسيقيم اوتونبشتم بعيداً عند « فم الانهار »
وهكذا أخذوني وجعلوني اقيم بعيداً عند « فم الأنهار »

وهناك نظرية تقول بأن قصة الطوفان حادثة واقعية حدثت في الأزمنة القديمة في أحد مواسم الفيضانات الخارقة العادة ، بدلالة اشارة المدونات السومرية الى وقائع وأحداث يرجع بعضها الى ما سبق الطوفان ، وأحداث اخرى جاءت في أعقابه .. ويلاحظ ان علماء الآثار حددوا الالف الثالثة قبل الميلاد تحديداً عرفياً كحد فاصل بين أحداث ما قبل الطوفان وبين احداث ما بعده .[٢٠]

وكان « سير ليونارد وولي » أول عالم آثار يتبنى هذه النظرية خلال تنقيباته في مدينة أور بين الاعوام (١٩٢٩ ـ ١٩٣٤ م) بايغال عدة حفر اختبارية عميقة الغور قرب جدار المدينة الداخلي ، ضمن منطقة المقبرة الملكية المشهورة التي يعود

www.iraqinhistory.com

تاريخها الى عصر فجر السلالات ، وبعد أن اجتاز عدة طبقات سكنية ، وصل أخيراً الى تربة الأرض البكر[٢١]، ولعدم قناعة وولي بأن الارض البكر يمكن أن تكون على هذا المستوى ، فانه استمر في الحفر لمسافة ثمانية أقدام خلال الطبقة الغرينية . وفجأة بدأت بالظهور أدوات صوانية وكسرات فخار من عصر العبيد .[٢٢]

واستنتج عالم الآثار هذا بأن « تواجد أحد عشر قدماً من الغرين يعني حدوث طوفان (فيضان) لا يقل ارتفاع مناسيب مياهه عن خمسة وعشرين قدماً » . « ولا بد لفيضان كهذا ، في أرض مثل أرض وادي الرافدين المستوية والمنخفضة ، أن يكون قد غطى مساحة يصل طولها الى ما يقارب ثلاثمائة من الأميال ، وعرضها مائة ميل[٢٣]. ولذلك فانه لم يتردد من القول بأن آثار الطمى في مدينة أور انما هي بقايا للطوفان العظيم الذي تتحدث عنه الوثائق المسمارية ، والذي جاء ذكر تفاصيله أيضاً في سفر التكوين .[٢٤]

غير ان المختصين ، كانوا وما يزالون ، يتخذون من نظرية وولي بخصوص الطوفان في أور مواقف مختلفة[٢٥]، فمنهم من أيد وولي ، ولكن يتحفظ ، في ضوء الفحوصات المختبرية لنماذج من الطبقات الغرينية في أور[٢٦]، ومنهم من يرى بانه من الصعب جداً تحديد نوع الترسبات التي عثر عليها وولي[٢٧] وبذلك يصعب تاييده في نظريته السالفة الذكر .

وطوفان ملحمة « اثر احاسيس[*] أكثر وضوحاً رغم ان ألواحه التي وصلتنا لم تكن سالمة تماماً من التلف . جاء فيها ان الإله انليل يرسل أول الأمر أوبئة الى الأرض ليقلل من عدد البشر الذين ازداد تكاثرهم وأخذ ضجيجهم يسبب ازعاجاً له . وبعد ذلك يغمر الأرض بالطوفان ، والبطل هو اثر احاسيس الذي يبني السفينة حسب تعليمات الإله[٢٨]. وفي هذا النص يتكرر الطوفان أكثر من مرة ، لأن الجيل الجديد من البشر الجديد يعود الى اقلاق راحة الإله انليل بضجيجه[٢٩].

وعندما يرى انليل ان الانسان استطاع البقاء على الرغم من الطوفان[٣٠] في حين هو لا يريد أن يرى بني البشر وقد تكاثروا بغزارة مجدداً فيسببوا له المتاعب والقلق بصخبهم وضجيجهم[٣١]، لذلك يقدم انليل على محاولة اخرى لتقليل النسل ، فيطلب من آلهة النسل ننتو (أن تجعل النسوة على صنفين ، صنف يلد ، وصنف عقيم ، وان تكرس بعض النسوة في المعابد بصفة كاهنات محرمات ، وبذلك تقل ، أو « تتوقف الولادات »[٣٢].

www.iraqinhistory.com

ويؤشر الطوفان انعطافاً واضحاً في تاريخ البشرية الطويل ، وحلولًا لجنس بشري محل جنس آخر . وهناك احتمال كبير في كون العبرانيين قد استعاروا هذه الاسطورة التي كانت تشكل تراثاً ثابتاً لدى سكان وادي الرافدين ، من العراق ، فضمنوها كتابهم المقدس ، خصوصاً اذا أخذنا بنظر الاعتبار ان التشابه بينهما جد كبير[٣٣] ويبلغ في بعض الاحيان حد التطابق ، ومن بين نقاط التشابه :

١ ـ الغرض من الطوفان ، وهو انتقام الآلهة من البشر لانهم أفسدوا في الأرض .

٢ ـ اغراق الجيل السابق من البشر قصاصاً لهم ، باستثناء رجل صالح هو وعائلته وعدد من الحيوانات والمقتنيات ، بما يصلح نواة للبدء بحياة جديدة .

٣ ـ بناء السفينة ولجوء هذه المجموعة المستثناة اليها

٤ ـ ارسال الطيور لاستطلاع خبر الارض بعد انحسار الطوفان[٣٤]. في النص البابلي يطلق حمامة ، وسنونو ، وغراب . أما النص التوراتي فيطلق فيه حمامة ، وغراب .[*]

ولكن هنالك فارقاً بين قصص الطوفان الواردة في الروايات السومرية والبابلية ، وبين رواية التوراة عن الطوفان ، وهو الفارق بين الشرك السومري والبابلي من جهة وبين الوحدانية اليهودية من جهة اخرى[٣٥]. ولقد اعتبر « وولي » ، بجرأة بالغة ، هذا الفيضان الذي لم يعهد حصوله من قبل في أية فترة من تاريخ وادي الرافدين ، هو (نفسه الطوفان المذكور في الكتاب المقدس)[٣٦]. وان ورود خبر هذا الفيضان في الكتاب المقدس ليس فيه ما يثير الدهشة[٣٧] لاننا نعلم ان « ابراهيم » قد أتى من مدينة سومرية[٣٨]، من أور الكلدانيين ، ويمكن تماماً أن يكون قد جلب معه الى أرض كنعان قصة الطوفان التي كانت ذائعة الصيت جداً بين سكان وادي الرافدين .[٣٩]

تتضارب الآراء حول ما اذا كانت قصة الطوفان جزء من ملحمة جلجامش أم انها اضيفت اليها بعد ذلك .

يؤكد كريمر ان نص الطوفان هو أول ما تم اكتشافه من ملحمة جلجامش في عام ١٨٦٢ من قبل جورج سمث[**] من مكتبة آشور بانيبال ، ولم يمض زمن طويل حتى ادرك « سمث » ان اسطورة الطوفان هذه ما هي إلا جزء من قصيدة طويلة بعنوان « مجموعة جلجامش » تتألف من اثني عشر فصلًا ، تغطي اسطورة الطوفان معظم اللوح الحادي عشر منها[٤٠]، ورغم ان قصة الطوفان تبدو للوهلة الاولى وقد أقحمت على أحداث الملحمة ، إلا انها في الواقع قد جاءت في انسجام تام مع

www.iraqinhistory.com

الايقاع المأساوي للملحمة ، وأضافت اليها أبعاداً ومعاني خاصة ، مؤكدة ان الخلود سراب لن يناله أحد من البشر .[٤١]

ويلتقي رأي ساندرز مع رأي كريمر في كون قصة الطوفان قصيدة قائمة بذاتها أقحمت في هيكل الملحمة .. لكنها ـ شأنها شأن الاحداث الاخرى ذات المغزى المستفاد ـ تميل الى أن تقر في نفس جلجامش عدم جدوى بحثه[٤٢]. أو ان حادثة الطوفان السومرية هي جزء من قصيدة خصصت أصلًا لاسطورة تخليد « زيوسدرا » وقد استعارها الشعراء البابليون واستعملوها استعمالًا ماهراً لأغراضهم الأدبية ، فانه حين يصل جلجامش الى اوتونبشتم ويسأله عن سر الحياة الابدية ، لم يشأ الشعراء البابليون أن يجيبوه جواباً قصيراً ، بل انهم استغلوا تلك الثغرة في القصة ليدخلوا روايتهم الخاصة بقصة الطوفان .[٤٣]

ترى الباحثة انه سواء كانت قصة الطوفان جزء لا يتجزأ من الواح ملحمة جلجامش الاثني عشر ، أو انها أقحمت على هيكلها ، فانها في كل حال جاءت لتبلغ رسالة الآلهة الى البشر بأن « الحياة الخالدة متعذرة الحصول »[٤٤] « واخباره بأن الموت ، وليس الخلود ، هو النصيب المقدر للانسان »[٤٥].

ولكن ، ما هو الأصل الذي ألهم سكان وادي الرافدين هذه الاسطورة ؟

وللجواب على ذلك نقول : لا يمكن (أن يكون الطوفان محض اسطورة اخترعتها المخيلة البدائية كي تمحو « شريحة » طويلة من الماضي)[٤٦]، ولكن الأقرب الى الصواب هو الأخذ بنظرية وولي القائلة بحدوث طوفان عظيم قد غطّى عملياً جنوب العراق[٤٧] وتناقلته الأجيال جيلًا عن جيل حتى تأسست منه اسطورة ، ويمكن (لأية اسطورة تتأسس في مدينة ما ، أو في مدن عدة ، تأثرت في وقت ما ، بفيضان قاس بشكل استثنائي ، أن تتحول في مخيلة الشرقيين الى فيضان كوني)[٤٨].

ولكن « ملوان » يحاول أن يقرب بين زمن نشوء الاسطورة وبين زمن حدوث الطوفان ، فهو يرى (ان الطوفان الذي نحن بصدده ، لا بد وان كان قريباً ـ في زمن وقوعه ـ من عصر البطل جلجامش ، مما كان سبباً في رأي ملوان ، في ضم تفاصيله الى ملحمة هذا البطل)[٤٩].

ان ظهور كثير من المفاهيم والطقوس والشعائر الدينية ما هي إلا محاكاة لصور إلٰهية عليا[٥٠]... ينصرف الفكر البدائي فيها الى تجسيد الصفات والفكر المجردة ،

وتقديم هذه الفكر بشكل محسوس ، وخير مثال على هذا الانصراف الى التجسيد ، فكرة الموت البدائية[٥١] فلا يمكنه تصور كارثة قاسية تتسبب في موت جيل باكمله إلا اذا ارتبطت بارادة إلهية عليا تقرر حدوثها ، وليس غريباً على الفكر العراقي القديم أن يختار حادثة طبيعية ـ كالطوفان مثلاً ـ يشهدها سنوياً ويشهد مآسيها ، ويصنع منها اسطورة تنطلق منها أفكاره وتصوراته حول الموت والخلود وطاعة الالهة أو عصيانها ، والجنة وصراع الآلهة وندمهم .

ترى الباحثة اننا باقترابنا من نص الطوفان الوارد في ملحمة جلجامش ، يمكننا أن نخرج ، من القراءة ، بالافكار التالية :

١ ـ منذ قديم الزمان لم تكن ديمومة لشيء أبداً من بيت وعقود وميراث وبغضاء وفيضان وفراشات[٥٢]. فالموت هو الحدث الواقع الذي لا مفر منه ، والذي تتناقض فيه الآلهة هي نفسها ، وحق للآلهة أورورو أن تسأل آنو كبير الالهة[٥٣]

لماذا اذن ما نحن نخلقه يخضع للموت

لماذا كل ما ندعوه الى الوجود يموت ؟

٢ ـ ان الآلهة هي صانعة الاقدار ، وهم الذين قسموا الحياة والموت ، ولكن الموت لم يكشفوا عن يومه[٥٤]. فبقي سراً من أسرار الآلهة .

٣ ـ ان موت الانسان أمر لا مفر منه ويستوجب الرضا[٥٥]. وان الفردوس وقف على الآلهة وحدهم دون سواهم ، ولا نصيب للانسان الفاني فيه .[٥٦]

٤ ـ ان الموت قاسٍ لا يرحم[٥٧]، وان منظره يثير الذعر (وحتى الآلهة ذعروا من عباب الطوفان وعرجوا الى سماء آنو)[٥٨] (وانتحبت سيدة الآلهة عشتار وناحت بصوتها الشجي « واحسرتاه ، لقد عادت الايام الاولى الى طين »)[٥٩].

٥ ـ ان انساناً واحداً فقط ، استطاع أن يدخل الفردوس[٦٠]، هو بطل الطوفان « زيوسدرا » الذي عرف بـ (اوتونبشتم) ، اعطي الخلود ، وذلك كما يقول هو لجلجامش ، بفعل طاعته للآلهة وهو يعيش في حديقة « دلمون » عند مصب الانهار .[٦١]

٦ ـ حرص الآلهة على الاحتفاظ بخميرة الخلق ، ويتوضح ذلك حين نقل « إيا » كلام الآلهة الى « اوتونبشتم » قائلاً له :

انبذ الملك وخلص حياتك

واحمل في السفينة بذرة كل ذي حياة

www.iraqinhistory.com

وأطاع « اوتونبشتم » سيده « ايا » وحمل في السفينة ما طلبه منه :[٦٣]

أركبتُ في السفينة جميع أهلي وذوي قرباي
وحملت فيها كل ما كان عندي من المخلوقات الحية
اركبت فيها حيوان الحقل وحيوان البر
وجميع الصناع اركبتهم فيها

٧ ـ ان العراقيين القدماء كانوا يعتقدون ان آلهتهم عظيمة تتصف بالقوة والحكمة ، ولكنها كانت ليست معصومة من الخطأ[٦٤] فالإله « انليل » ، رغم انه يوصف بـ « البطل » وانه « أحكم الآلهة »[٦٥] ولكنه أخطأ (لانه لم يتروّ فأحدث عباب الطوفان)[٦٦].

٨ ـ ان اسطورة الطوفان ـ في رأي الباحثة ـ تصحح تصور الانسان عن الخلود ، فتنفي العلاقة بين خلود الفرد وبين تكوينه الخارجي (الجسدي) ، فلا يخفي جلجامش دهشته حين يلتقي اوتونبشتم ويخاطبه قائلًا :

فقال جلجامش لـ « اوتونبشتم » القاصي :[٦٧]

ها أنذا انظر اليك يا « اوتونبشتم »
فلا أجد هيئتك مختلفة ، فانت مثلي لا تختلف عني
أجل أنت لم تتبدل بل انك تشبهني
لقد تصورك لبي كاملًا كالبطل على اهبة الاستعداد
فاذا بي أجدك ضعيفاً مضطجعاً على ظهرك .

هذا المقطع ، يمثل البداية في « اسطورة الطوفان » والتي تحفّز « اوتونبشتم » على اطلاع جلجامش عن (سر خفي محجوب)[٦٨] هو (سر من أقدار الآلهة)[٦٩] يتمثل في حكاية الطوفان ورواية تفاصيلها لتخلص الاسطورة في النهاية الى أن الخلود نتيجة ترتبط بطاعة البشر للآلهة[٧٠] عند اسدائها النصح له بالقيام بعمل عظيم ، كالذي قام به اوتونبشتم في حفظ الحياة والنوع البشري خاصة .

٩ ـ ان الخلود يعني تحول الفرد من « انسان » أو « بشر » الى « إله » . لذلك يرى بعض الباحثين ان اوتونبشتم لا يمكن اعتباره خروجاً عن مبدأ حتمية الموت ذلك لان اوتونبشتم لم ينل الخلود بصفته بشراً ، وانما بعد أن أصبح هو وزوجته إلٰهين بمباركة من انليل .[٧١]

www.iraqinhistory.com

الخــــلود الممــــكن

ان اختراع فكرة الخلود يشكل شاهداً على ذكاء العقل البشري ، لان هذا الاختراع يشكل جواباً على السؤال الأبدي : لماذا الموت ؟ سؤال يحدد استحالة تراجع الانسان أمام الغموض والحيرة التي تحيط به وبحياته ، غموض لا يزال الانسان عاجزاً عن حله ، لكنه لم يتراجع أمام المحاولة الدائمة[٧٢]. والفكرة في ذلك موغلة في القدم ، ومنطلقها هو الواقع الانساني الذي ـ بفعل الموت ـ يتبدد منه الجسد حامل الانوية الشخصية ، في حين تستمر الروح في حياة خالدة حاول انسان التاريخ استكشافها ووصفها .[٧٣]

إذن لا يمكن فهم الخلود إلا بالعودة الى مفهوم الموت ، ولا يسعنا فهم العالم الآخر إلا بعد فهم وادراك ، وبالتالي ، وعي عالمنا هذا[٧٤] والخلود عند ابن منظور يعني ديمومة الحياة دون انقطاع . الخُلد اسم من اسماء الجنة ، خلد الخلد دوام البقاء في دار لا يخرج منها .[٧٥]

ويرى الاستاذ طه باقر ان مفهوم الخلود يؤدي أحد معنيين ، فهو كائن إما بالتغلب على الموت ، أو بوجود حياة اخرى بعد الموت ، ولكنه يعود فينفي أن تكون لدى العراقيين الأقدمين فكرة واضحة عن « الحياة الاخرى » وان عدم تطرق الملحمة اليها ، من بين الادلة الكثيرة على ذلك .[٧٦]

وقد ساد الاعتقاد في بلاد وادي الرافدين القديمة بأن عطف الآلهة ورضاها يظهران بانقاذ الناس من المرض وإطالة أعمارهم ولذا كان الشخص يصلي الى الآلهة ، ويقدم لها القرابين ، ويزيد من الدعاء لها بأن تطيل حياته ، وكان هذا أقصى ما يطمح اليه[٧٧]. وقد قدم لنا مفكرو حضارة وادي الرافدين القديمة دليلين قويين واضحين على استحالة الخلاص من حتمية الموت بالنسبة للبشر أحدهما في (ملحمة جلجامش) والثاني في اسطورة (أدابا)[٧٨].

وهناك رأي لا يخلو من طرافة ذكره لنا ادوارد كييرا ، نجد من المناسب أن نتطرق اليه ... (لقد عرف الانسان البابلي ان الفارق الوحيد الذي يتميز به الانسان عن الحيوان هو ان آلهته كانت ذكية أيضاً ، ولكنها كانت تملك شيئاً آخر لا يملكه الانسان ، وهو الحياة الخالدة . وهكذا كان الانسان في درجة بين الآلهة والحيوان ، فهو لا يشبه الحيوان لانه ذكي ، وهو لذلك أقرب الى الآلهة ، ولكنه لا يشبهها لانه فانٍ ، فهو إذن ـ برأي كييرا ـ أقرب الى الحيوان منه الى الآلهة .[٧٩]

www.iraqinhistory.com

كما يزعم كيبيرا ان الانسان أصبح نصف إله بحصوله على الذكاء(٥) وقد طرد من الجنة لكي لا يحصل على الخلود أيضاً ويصبح إلهاً كاملًا .(٦)

وهذا الرأي يلتقي في ذات الاتجاه القائل بأن سكان وادي الرافدين اعتقدوا بأن الآلهة بعد أن خصت نفسها بالخلود ، قدرت مصائر البشر فجعلت الموت نصيباً لهم ، وعلى هذا الاساس يكون الخلود هو العلامة الفارقة بين الآلهة والبشر.(٨١)

فالخلود إذاً معتقد وثني(٨٢) يقوم على أساس ان الانسان لا يسمى خالداً ما دام على قيد الحياة ، فاذا ما مات وصف بأنه الخالد(٨٣) فاذا عالجنا مفهوم الخلود من هذه الزاوية نراه يعني (صفة من يعيش في ذاكرة البشر الى ما لا نهاية)(٨٤).

وتلتقي أساطير الرحلات في كون أبطالها يبحثون عن الخلود كهدف ، ويتخذون من السفر وسيلة لتحقيق هذا الهدف ، ثم تكون نتيجة سعيهم وتحملهم المشاق هي الفشل . وتتخذ هذه الاساطير مظاهر متعددة ـ برأي الباحثة ـ هي في مجموعها تمثل البنية الذهنية العامة للتفكير الميثوبي في بلاد وادي الرافدين ، وهذه المظاهر هي:

١ ـ المظهر الملحمي ـ الاسطوري ، متمثلًا في ملحمة جلجامش .

٢ ـ المظهر الاسطوري ، متمثلًا في رحلة انانا الى العالم السفلي ، ورحلة أدابا الى السماء .

٣ ـ المظهر الاسطوري ـ الخرافي ، متمثلًا في اسطورة ايتانا ورحلته الى السماء .

ويبقى « المظهر الملحمي » متقدماً على المظهرين : الاسطوري والخرافي ، في تقديمه « الخلود » كموضوع أساسي مباشر ، وتوسّل البرهان باسلوب مؤثر على حتمية الموت على البشر حتى بالنسبة الى بطل مثل جلجامش(٨٥)، فمع ان الآلهة في الواقع موجودون ، وان جلجامش نفسه بمقتضى الطراز الميثولوجي المتعارف عليه في ذلك الزمان ، كان ثلثاه إله والثلث الباقي بشراً فانياً ، ولكن مع ذلك ، فان الذي يطغى على الحوادث والحركة في الملحمة انما هو جلجامش الانسان.(٨٦)

وازاء هذا (الصراع بين ارادة الانسان بتشبثها بالحياة ، وبين تلك الحقيقة البديهية بالنسبة للعقل والمنطق)(٨٧) يضع الاستاذ طه باقر مجموعة اسئلة تحمل نفس الحيرة التي حملها جلجامش في كل وحدة من وحدات الملحمة ، رغم اختلاف

www.iraqinhistory.com

الحكايات الاسطورية التي تتوزع تلك الوحدات ، فيتساءل عما ينبغي على الفرد أن يسلك في هذه الحياة ..

أ ـ أينبذها ويفر منها ، ويطلّق هذا العالم ، ويفنى في النرفانا ؟[*]

ب ـ أم يسلك سبيل اللذة والتنعم في هذه الحياة كما جاء على لسان صاحبة الحانة في الملحمة ؟

جـ ـ أم يقبل تحدي قانون الحياة الطبيعية ، ويذعن لما ليس منه بد ، فيضبط زمام النفس ويقوم بتلك الأعمال التي تخلده بعد مماته ، كما فعل بطل الملحمة بعد رجوعه يائساً من مغامراته في سبيل الحصول على الخلود ؟[٨٨]

ان جلجامش لا يوافق على اللامساواة ، ولا يمكن أن يقبل ، بل يرفض النصيحة بالتفكير بالافراح والملذات فقط ، ونسيان موضوع الخلود ، فهو يعتقد ان الانسان لا يكفيه

املأ جوفك وامرح ليل نهار

إذ ليس في هذا عمل الانسان[٨٩]

لم يبق لجلجامش اذن ، إلا حل واحد ، وهو القبول بالبدائل الممكنة التي من خلالها قد يتوصل الى حدود معقولة للخلود البشري[٩٠] هي ما يطلق عليها ـ تجوّزاً ـ « الخلود الممكن »[٩١].

فما هي هذه البدائل التي يمكن أن تؤمّن للفرد « وهم » الخلود ؟

يتفق معظم الباحثين على ان « بقاء الذكر الحسن للانسان بعد موته »[٩٢] هو البديل الذي اختاره الانسان لتجاوز الموت ، وهذا يعني ان أهل تلك الحضارة (لم ينبذوا فكرة الخلود نهائياً ، ولكنهم استنبطوا معنى آخر للخلود يمكن أن يكون في متناول الانسان دون أن يرافقه بقاء دائم في الحياة ، أو أي نكران للموت .[٩٣]

ولكن جلجامش لا ينصرف عن بحثه ، ويستسلم لما هو من نصيب البشر[٩٤]، بل يمضي به (الشوق العذب الملحّ الى الخلود) الى بناء اساس لشهرته (والشهرة تلطف من حدة الموت ، لأن اسم المرء يبقى حياً في الاجيال القادمة)[٩٥].

وكان خلود الاسم سبباً في اعتقاد العراقيين القدماء بأن من يقتل في المعركة يكون مباركاً ، حيث يرد في ملحمة جلجامش على لسان انكيدو ، واثناء مرضه ، حديثاً موجهاً الى جلجامش يقول فيه

www.iraqinhistory.com

يا صاحبي لقد حلّت بي اللعنة
فلن أموت ميتة رجل سقط في ميدان الوغى

لكن مؤلف الملحمة ـ في رأي طه باقر ـ لم يشأ أن يحل مشكلة موضوع الرواية في خلود ذكرى الفرد عن طريق ما يخلفه هذا الفرد من ابناء وذرية ، وجلجامش ، كما هو معروف من النصوص التاريخية ، كان له ابن حكم من بعده في الوركاء ، في سلالتها الأولى

ولا تتفق الباحثة مع رأي الاستاذ طه باقر ، لأننا ـ بالرجوع الى اسطورة ايتانا ـ نواجه وضعاً مختلفاً في ركوب إيتانا المخاطر بحثاً عن الذرية ، ففي أقدم قصة عرفناها عن محاولة الانسان للطيران .. صعد « إيتانا » على ظهر نسر واتخذ طريقه نحو السموات باحثاً عن عشب أصل الحياة(٩٨) أو نبتة الولادة

كانت البطولة أحد البدائل الممكنة لخلود الفرد ، وكان كسب الشهرة المتأتية من عمل بطولي هاجس جلجامش قبل أن يقصد اوتونبشتم ، حين لم يكن الموت يعني شيئاً له (فهو قد قبل مقاييس البطولة المعهودة . ومقاييس حضارته المعهودة : الموت لا بد منه ، ومن العبث التخوف منه ، فاذا كان للمرء أن يموت ، فليمت ميتة المجد والفخار في مقاتلة خصم جدير به ، لكي تعيش شهرته من بعده)(٩٩)

(واذا سقطت مضرجاً أكون قد بنيت أساساً لشهرتي
فيقولون عني قُتل جلجامش وهو يصارع خمبابا الرهيب)

الى أن يموت انكيدو ، فيدرك « جلجامش » ما لم يدركه من قبل حين يجد ان خسارته الفادحة أفجع من أن يتحملها فيرفض أن يعترف بها كأمر واقع .(

وتبقى « أسوار اوروك » هي البديل المادي الوحيد الذي تعلق به جلجامش كوعد للشهرة والذكر الحسن من بعده . (وقد وصف جلجامش انه هو الذي أجبر أهل اوروك للعمل من أجله ليقوموا بتشييد الأسوار والمعابد التي تضمن له الشهرة الدائمة)(١٠١) لذلك يعود جلجامش الى نقطة البداية ، الى أسوار اوروك التي تعتبر العمل الوحيد للبطل الذي وعدته وضمنت خلوده .

وقد بني اطار الملحمة ليؤكد هذه الحقيقة (حيث استخدم الشاعر فصلين متماثلين بمهارة فائقة ، يقع أولهما في بداية اللوح الأول ، بينما يقع الثاني في نهاية اللوح الحادي عشر للتأكيد على عدم جدوى البحث التي تقتضي العودة الى نقطة البداية)(١٠٢).

www.iraqinhistory.com

ويجدر أن نشير الى أن اصطحاب جلجامش لأورشنابي ـ عند عودته الى اوروك ـ ليس له ـ في رأي الباحثة ـ تفسير سوى أن اورشنابي كان هو الوسيط المادي بين عالم الخالدين في غابة الأحياء من جهة ، وبين عالم البشر الفانين في مدينة اوروك من جهة اخرى . وبذلك يكون اورشنابي شاهد عيان على شهرة جلجامش ، وما سيخلفه من اسم خالد يتمثل في أسوار اوروك التي ستعيش في ذاكرة الأجيال . وبذلك يتحقق لجلجامش بعض ما في نفسه من حنين للحياة الخالدة .[٦٢]

وتنتهي الملحمة نهاية كئيبة وهي ترسم الصورة القلقة التي يتسم بها العالم الآخر .. مؤكدة الأمل الذي دون ضمناً في اللوح الثاني عشر عند وصف العالم السفلي الذي يحكم فيه جلجامش كحاكم إلهي على الاحلام ، بعد مماته

ولئن لم يكن جلجامش هو أول بطل من البشر ، فانه أول بطل مأساوي نعلم عنه شيئاً ، وهو أقرب الأبطال الى نفوسنا ، كما انه النموذج الأكثر تمثيلًا للانسان الفرد في سعيه الى الحياة والفهم ، وهو سعي من شأن خاتمته أن تكون مأساة

وبانتقالتنا الى الصيغة الميثولوجية لاسطورة أدابا ، نلحظ تغييراً أساسياً في نظرة سكان وادي الرافدين الى الخلود ، فبعد أن كانوا يرون امكانية الخلود لنماذج من البشر كاوتونبشتم وزوجته (جاءت اسطورة أدابا لتؤكد استحالة الحصول على الخلود في العصور التالية للطوفان ، حيث اصبح هناك حاجز قوي بين الآلهة والبشر)[٦٠] حرم البشرية من وعد الخلود .

www.iraqinhistory.com

هوامش
(جنة أم فردوس)

١ ـ كريمر، صموئيل نوح، من الواح سومر، ص ٣٧٩
٢ ـ م.ن، ص ٣٧٩
٣ ـ السواح، مغامرة العقل الاولى، ص ٢٢٤
٤ ـ كريمر، من الواح سومر، ص ٣٨١
٥ ـ م.ن، ص ٣٨٠
٦ ـ م.ن، ص ٣٨٠
٧ ـ م.ن، ص ٣٨٠ ـ ٣٨١
٨ ـ سفر التكوين (١١ ١ ـ ٩).
٩ ـ عبدالواحد، فاضل، من الواح سومر الى التوارة، دائرة الشؤون الثقافية، (بغداد، ١٩٨٩)، ص ٢٩٧

(*) ان ما تدعيه التوارة من ان مدينة بابل دعيت بهذا الاسم لان الرب بلبل لسان كل الأرض فانه ادعاء لا يقوم على اساس. فمن المعلوم ان اسم مدينة بابل سواء في السومرية (Ka-digir-ra) أم في البابلية (Bab-ili) لا يعني سوى بوابة الإله ـ ينظر عبدالواحد فاضل ـ من الواح سومر، ص ٢٩٨

١٠ ـ كريمر، من الواح سومر.
١١ ـ ابن منظور، لسان العرب، مادة جَنَن.
١٢ ـ م.ن، مادة فردس.
١٣ ـ مياسة المطران انطونيوس، معجم اللاهوت الكتابي، دار المشرق ش.م.م، (بيروت، ١٩٨٨)، ط ٢ مادة فردوس.
١٤ ـ معجم اللاهوت الكتابي ـ مادة فردس.
١٥ ـ السواح، مغامرة العقل الاولى، ص ٢٢١
١٦ ـ جاكوبسن، ما قبل الفلسفة، ص ١٨٧
١٧ ـ السواح، مغامرة العقل الاولى، ص ٢٢١
١٨ ـ الشوك، علي، الاساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة، دار اللام، (لندن، ١٩٨٧)، ص ٦٨
١٩ ـ م.ن، ص ٧٢
٢٠ ـ السواح، مغامرة العقل الاولى، ص ٢٣٨
٢١ ـ فرويد ـ موسى والتوحيد، ص ١١٨
٢٢ ـ زيعور، علي، التحليل النفسي للذات العربية، دار الطليعة، (بيروت، ١٩٧٧)، ص ١١١.

www.iraqinhistory.com

٢٣ ـ فراي ، نورثورب ، تشريح النقد . الجامعة الاردنية ، (همان ، ١٩٩١) .
٢٤ ـ جاكوبسن ، ما قبل الفلسفة ، ص ١٥٩
٢٥ ـ لابات ، رينيه ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ص ٣٤٨
٢٦ ـ عبدالواحد ، فاضل ، من الواح سومر الى التوراة ، ص ٢٦٦
٢٧ ـ م . ن ، ص ٢٩٤
٢٨ ـ م . ن ، ص ٢٩٤
٢٩ ـ م . ن ، ٢٩٥
٣٠ ـ الشوك ، علي ، الاساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ، ص ٦٨
٣١ ـ ينظر السواح ، مغامرة العقل الاولى ، ص ٢٣٦ . وينظر كذلك علي الشوك ، الاساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ، ص ٦٦
٣٢ ـ ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ٢٩
٣٣ ـ م . ن ، ص ٢٩
٣٤ ـ السواح ، مغامرة العقل الاولى ، ص ٢٣٦
٣٥ ـ م . ن ، ص ٢٣٦
٣٦ ـ الشوك ، الاساطير ، ص ٩٧
٣٧ ـ عبدالواحد ، فاضل ، من الواح سومر الى التوراة ، ص ٢٦٦
٣٨ ـ ينظر عبدالواحد ، فاضل ، من ألواح سومر الى التوراة ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧
٣٩ ـ حول المزيد عن شخصية الإله ايا ينظر ما جاء في الفصل الثالث من بحثنا
٤٠ ـ علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٩٧٦) ، ١ / ٥٦٢ .
٤١ ـ م . ن ، ١ / ٥٦٢ ، ٥٦٣ وعن الطبري (١ / ٦٩٤ ، ٧٣٨) ، طبعة ليدن .
٤٢ ـ رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٥٢
(*) (لخامو) ـ لخو ولخامو إلهان لا شخصية كبيرة لهما ولا يكاد اولهما يتميز عن ثانيهما ينظر رينيه لابات ، المعتقدات الدينية ، ص ٣٤
٤٣ ـ ينظر : علي ، جواد ، المفصل ، ١ / ٥٦٥
٤٤ ـ م . ن ، ١ / ٥٦٤ ، ٥٦٥
٤٥ ـ م . ن ، ١ / ٥٦٨
٤٦ ـ علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ١ / ٥٦٣
٤٧ ـ رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٥٢
٤٨ ـ علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ١ / ٥٦٦
٤٩ ـ كريمر ، صموئيل نوح ، من الواح سومر ، ص ٢٤٢
٥٠ ـ كريمر ، صموئيل نوح ، السومريون ، ص ١٩٨

www.iraqinhistory.com

٥١ ـ جاكوبسن ، ما قبل الفلسفة ، ص ١٨٨
٥٢ ـ نزيل ، عدنان ، برهات تاريخية ، (دمشق ، ١٩٧٣) ، ص ٥٨ .
٥٣ ـ ساندرز ، الملحمة ، ص ٣٦
٥٤ ـ الشوك ، علي ، الاساطير ، ص ٧١
٥٥ ـ كريمر ، اساطير العالم القديم ، ص ٨٢ .
٥٦ ـ كريمر ، السومريون ، ص ١٩٧
٥٧ ـ كريمر ، السومريون ، ص ١٩٧
٥٨ ـ جاكوبسن ، ما قبل الفلسفة ، ص ١٨٥
٥٩ ـ كريمر ، اساطير العالم القديم ، ص ٨٢ .
٦٠ ـ جاكوبسن ، ما قبل الفلسفة ، ص ١٨٥
٦١ ـ كريمر، اساطير العالم القديم ، ص ٨٢ .
٦٢ ـ سوسة ، أحمد ، العرب واليهود في التاريخ ، وزارة الاعلام ، (سلسلة الكتب الحديثة ٤١) ، دار الحرية ، (بغداد ، ١٩٧٢) ، ص ١٩٧
٦٣ ـ م . ن ، ص ١٩٧
٦٤ ـ عبدالواحد ، فاضل ، من الواح سومر الى التوراة ، ص ٢٥٥ . وينظر كذلك أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦
٦٥ ـ السواح ، مغامرة العقل الاولى ، ص ٢٠٥
٦٦ ـ ينظر فريزر ، جيمس ، أدونيس ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، دار الصراع الفكري ، (بيروت ، ١٩٥٧) ، ص ١٥٧ . ويشير فريزر ان جنائن ادونيس كانت سلالاً أو أصصاً ، تملأ بالتراب ، وتزرع فيها بذور القمح والشعير والخس والوان من الزهر ، وتعنى النساء بها لثمانية أيام فتنمو بسرعة تحت الشمس ، ولكنها لعدم وجود جذور لها تذبل بنفس السرعة ، وفي ختام الأيام الثمانية ، تحمل مع تماثيل ادونيس الميت ويقذف بها مع التماثيل في البحر أو في الينابيع .
(*) ان كلمة كوش هذه ربما يقصد منها بلاد الكاشيين الذين أسسوا في العراق سلالة بابل الثالثة واتخذوا من بابل عاصمة لهم أول الامر (ينظر د. فاضل عبدالواحد ، من الواح سومر الى التوراة ، ص ٢٥٦) .
٦٧ ـ الشوك ، علي ، الاساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ، ص ٧١
٦٨ ـ عبدالواحد ، فاضل ، من الواح سومر الى التوراة ، ص ٢٥٦
٦٩ ـ م . ن ، ص ٢٥٦
٧٠ ـ السواح ، مغامرة العقل الأولى ، ص ٢٣٧
٧١ ـ القاموس المحيط ، مادة نعم ، ص ٢٣٧
٧٢ ـ م . ن ، ص ٢٣٧
٧٣ ـ السواح ، مغامرة العقل الاولى ، ص ٢٣٨

www.iraqinhistory.com

٧٤ ـ معجم اللاهوت الكتابي ، مادة شجر .
٧٥ ـ الشوك ، علي ، الاساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ، ص ٧٢
٧٦ ـ م . ن ، ص ٧٣
٧٧ ـ كريمر ، من الواح سومر ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ . وينظر كذلك أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، ص ١٩٩
٧٨ ـ ينظر الشوك ، الاساطير ، ص ٧٣ ـ ٧٤
٧٩ ـ كريمر ، من الواح سومر ، ص ٢٤٣
٨٠ ـ يراجع موضوعنا حول دلمون في نفس الفصل .
٨١ ـ كريمر ، من الواح سومر ، ص ٢٤٣
٨٢ ـ كريمر ، من الواح سومر ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ، وينظر كذلك د. فاضل عبدالواحد ، من ألواح سومر الى التوراة ، ص ٢٦٠ ينظر أيضاً السواح ، مغامرة العقل الاولى ، ص ٢٣٦
٨٣ ـ الشوك ، علي ، الاساطير ، ص ٧٤ عن جوليان فورد ، قصة الفردوس ، ص ٩٣ ـ ٩٤
٨٤ ـ موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، ص ٧٣
٨٥ ـ الشوك ـ الاساطير ، ص ٧٣
٨٦ ـ سوسة ، أحمد ، العرب واليهود في التاريخ ، ص ١٩٩
٨٧ ـ م . ن ، ص ١٩٨ ـ ١٩٩
٨٨ ـ ينظر فريزر ، الغصن الذهبي ، الجزء الأول ، ترجم باشراف أحمد أبو زيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧١ الفصل التاسع .
(*) الغيضة : تعني الروضة .
٨٩ ـ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ص ١٢٥
٩٠ ـ الشوك ، علي ، الاساطير ، ص ٦٦
٩١ ـ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ١ ، ص ١٢٩
٩٢ ـ م . ن ، ص ١٢٨
٩٣ ـ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ / ١٢٩
٩٤ ـ السواح ، مغامرة العقل الاولى ، ص ٢٣٩
٩٥ ـ م . ن ، ص ٢٣٩
٩٦ ـ ينظر : الشوك ، علي ، الاساطير ، ص ٧٣ . وينظر كذلك سوسة ، أحمد ، العرب واليهود في التاريخ ، ص ١٩٦
٩٧ ـ اوبنهايم (ليو) ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٣٣٩
٩٨ ـ ينظر : السواح ، فراس ، لغز عشتار ، ص ١٣٦
٩٩ ـ جواد علي ، ٥ / ٤٧ .
١٠٠ ـ زيعور ، علي ، التحليل النفسي للذات العربية ، دار الطليعة ، (بيروت ، ١٩٧٧) ،
١٠١ ـ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١ / ١٠٩

www.iraqinhistory.com

هوامش
(الخلـــــود)

١ - كريمر - من الواح سومر ، ص ٢٥٨
٢ - هوك ، صموئيل هنري ، الاساطير في بلاد ما بين النهرين ، ص ٣٧
٣ - عبدالواحد ، فاضل ، الطوفان ، مطبعة الاخلاص ، (بغداد ت بلا) ، ص ٣٩
٤ - جاكوبسن ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٥٠
٥ - ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ٢٧
٦ - عبدالواحد ، فاضل ، الطوفان ، ص ٣٩ - ٤٠
٧ - كريمر ، من ألواح سومر ، ص ٢٥٥
٨ - م . ن ، ص ٢٥٨
٩ - ملرش ، إي - ايچ - ال ، قصة الحضارة في سومر وبابل ، ترجمة عطا بكري ، مطبعة الارشاد ، (بغداد ، ١٩٧١) ، ص ٤٠
١٠ - م . ن ، ص ٤٠
١١ - كريمر ، الاساطير السومرية ، ص ١٤٨
١٢ - عبدالواحد ، فاضل ، الطوفان ، ص ٢٨
١٣ - كريمر ، من الواح سومر ، ص ٣١١
١٤ - عبدالواحد ، فاضل ، الطوفان ، ص ٢٨
١٥ - ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ٣٧ . وينظر كذلك أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، ص ٢٠١
(*) ينظر معنى اتر احاسيس في هوامش الصفحة التالية .
١٦ - م . ن ، ص ١٨
١٧ - رو ، جورج ، العراق القديم .
١٨ - عبدالواحد ، فاضل ، الطوفان ، ص ١٨٣
١٩ - عبدالواحد ، فاضل ، الطوفان ، ص ١٨٤
٢٠ - سوسة ، احمد ، العرب واليهود في التاريخ ، ص ٢٠١
٢١ - رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٦١
٢٢ - عبدالواحد ، فاضل ، الطوفان ، ص ١٠٣
٢٣ - رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٦١ - ١٦٢
٢٤ - عبدالواحد ، فاضل ، الطوفان ، ص ١٠٤

www.iraqinhistory.com

٢٥ ـ م . ن ، ص ١٠٤
٢٦ ـ م . ن ، ص ١٠٥
٢٧ ـ م . ن ، ص ١٠٥
(*) أثر احاسيس (Atrahasis) هو بطل قصة الطوفان البابلية ، ومعنى اثر احاسيس « الواسع في الحكمة » ولا يخفى ان تسميته قصد بها أن تكون مطابقة لصفات بطل الطوفان كما وردت في القصة البابلية (وحتى السومرية أيضاً) ، ويوصف اثراحاسيس بكونه رجلاً تقياً استمع الى وحي إله الحكمة أيا وادرك مغزاه بقرب حلول الطوفان وانه نفذ اوامر الإله وبنى سفينة النجاة . ومن الجدير بالذكر ان اللفظ (اثراحاسيس) قد استخدم أيضاً بمثابة (نعت) لاوتونبشتم بطل قصة الطوفان في ملحمة جلجامش . وكان هو الآخر ملكاً على غرار زيوسدرا (ينظر فاضل عبدالواحد ، الطوفان ، ص ٣٨ . وينظر كذلك فراس السواح ، مغامرة العقل الاولى ، ص ١٥٩
٢٨ ـ الشوك ، علي ، الاساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥
٢٩ ـ م . ن ، ص ١٠٥
٣٠ ـ عبدالواحد ، فاضل ـ الطوفان ، ص ١٠٢
٣١ ـ م . ن ، ص ١٠٢
٣٢ ـ م . ن ، ص ١٠٢
٣٣ ـ رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٦١
٣٤ ـ ينظر الشوك ، علي ، الاساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ، ص ١٠٥
(*) ما يزال هناك في الموروث الشعبي العراقي ما يشير الى كون الحمامة علامة أو رمزاً للبشارة والخير ، على عكس الغراب الذي يعتبر نذير شؤم ، والمثل العراقي يقول لمن يستطلع خبراً ثم يعود : « حمامة ، أم غراب ؟ » . وفي الامثال العربية « أبطأ من غراب نوح » (ينظر علي الشوك ، الاساطير ، ص ١٠٥) .
٣٥ ـ سوسة ، أحمد ، العرب واليهود في التاريخ ، ص ٢٠١
٣٦ ـ رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٦٢
٣٧ ـ م . ن ، ص ١٦٢
٣٨ ـ ملرش ، ايج . اي . ايل ، قصة الحضارة في سومر وبابل ، ص ٤٠
٣٩ ـ رو ، جورج ـ العراق القديم ، ص ١٦٢
(**) القى جورج سمث الباحث الانكليزي الذي كان يدرس آلاف الالواح التي نقلت الى المتحف البريطاني من خرائب مدينة « نينوى » ، ألقى خطاباً في عام ١٨٦٢ أعلن فيه انه اكتشف وحل رموز رواية عن الطوفان كثيرة الشبه بقصة الطوفان المذكورة في التوراة ، فأثار بذلك اهتمام الاوساط العلمية العليا ، والرأي العام في جميع انحاء العالم (ينظر كريمر ، من الواح

www.iraqinhistory.com

سومر ، ص ٣٠٣) .

٤٠ ـ ينظر كريمر ، من الواح سومر ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ . وينظر كذلك طه باقر ، الملحمة ، ص ٥٨ .

٤١ ـ السواح ، فراس ، مغامرة العقل الاولى ، ص ١٥١

٤٢ ـ ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ٣٨

٤٣ ـ ينظر كريمر ، من الواح سومر ، ص ٣١٧ ـ ٣١٨

٤٤ ـ كريمر ، من الواح سومر ، ص ٣١٩

٤٥ ـ م . ن ، ص ٣١٩

٤٦ ـ رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٦٢

٤٧ ـ م . ن ، ص ١٦٢ . وينظر كذلك فاضل عبدالواحد ، الطوفان ، ص ١٠٣ ، والصفحات اللاحقة .

٤٨ ـ م . ن ، ص ١٦٣

٤٩ ـ عبدالواحد ، فاضل ، الطوفان ، ص ١٠٧ ـ ١٠٨

٥٠ ـ م . ن ، ص ١١٢

٥١ ـ جاكوبسن ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٦

٥٢ ـ ينظر طه باقر ، ملحمة جلجامش ، ص ١٤٧

٥٣ ـ ذريل ، عدنان ، برهات تاريخية ، ص ٥٧

٥٤ ـ ينظر طه باقر ، ملحمة جلجامش ، ص ١٤٧

٥٥ ـ رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٤٥

٥٦ ـ كريمر ، من الواح سومر ، ص ٢٤٩

٥٧ ـ باقر ، طه ، ملحمة جلجامش ، ص ١٤٧

٥٨ ـ م . ن ، ص ١٥٦

٥٩ ـ م . ن ، ص ١٥٧

٦٠ ـ كريمر ، من الواح سومر ، ص ٢٤٩

٦١ ـ ذريل ، عدنان ، برهات تاريخية ، ص ٥٨

٦٢ ـ باقر ، طه ، ملحمة جلجامش ، ص ١٥١

٦٣ ـ م . ن ، ص ١٥٥

٦٤ ـ كييرا ، ادوارد ، كتبوا على الطين ، مكتبة دار المثنى ، (بغداد ، ١٩٦٤) ، ص ١٥٢

٦٥ ـ باقر ، طه ، ملحمة جلجامش ، ص ١٦٠

٦٦ ـ م . ن ، ص ١٦٠

٦٧ ـ م . ن ، ص ١٥٠

٦٨ ـ باقر ، طه ، ملحمة جلجامش ، ص ١٥٠

٦٩ ـ م . ن ، ص ١٥٠ .

www.iraqinhistory.com

٧٠ ـ كريمر ، من الواح سومر ، ص ٢٤٩
٧١ ـ حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت ، ص ٨٣ .
٧٢ ـ المقداد ، قاسم ، هندسة المعنى ، ص ٧٥
٧٣ ـ نريل ، عدنان ، برهات تاريخية ، ص ٥١
٧٤ ـ المقداد ، قاسم ، هندسة المعنى ، ص ٧٢
٧٥ ـ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة خلد .
٧٦ ـ ينظر باقر ، طه ، ملحمة جلجامش ، ص ٤٢
٧٧ ـ حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت ، ص ٩٥
٧٨ ـ م . ن ، ص ٨٧ .
٧٩ ـ كيبيرا ، ادوارد ، كتبوا على الطين ، ص ١٥٦
(*) ان حصول الانسان على الذكاء اشارة الى أكل آدم وحواء من شجرة الخير والشر في الجنة بحيث انهما اكتسبا الذكاء واطلعا على أحد الأسرار الإلهية وصارا يميزان بين الخير والشر (ينظر كيبيرا ، المصدر السابق ، نفس الصفحة) .
٨٠ ـ ينظر نفسه ، ص ١٥٧
٨١ ـ حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت ، ص ٧٩
٨٢ ـ نريل ، عدنان ، برهات تاريخية ، ص ٥١
٨٣ ـ المقداد ، قاسم ، هندسة المعنى ، ص ٧٢
٨٤ ـ ينظر نفسه ، ص ٧٢
٨٥ ـ باقر ، طه ، ملحمة جلجامش ، ص ٤٢
٨٦ ـ كريمر ، من الواح سومر ، ص ٣٠٦
٨٧ ـ باقر ، طه ، ملحمة جلجامش ، ص ٤٢
(*) النرفانا : مصطلح هندي يعني ان أرواح الكائنات تاتي من براهما روح العالم .. فعندما تنتهي الروح من دورة الحياة ، تعود الى روح العالم وتتحد مع براهما .. وتلك أعظم سعادة يمكن أن تتمناها روح (ينظر سليمان مظهر ـ قصة الديانات ـ دار الوطن العربي ، القاهرة ، ١٩٨٤ ط ١ ص ٧٤) .
٨٨ ـ ترافيموف ، جماليات ملحمة جلجامش ، ص ١٧٩
٨٩ ـ باقر ، طه ، الملحمة ، ص ٤٣
٩٠ ـ حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت ، ص ٩٧
٩١ ـ م . ن ، ص ٩٧
٩٢ ـ م . ن ، ص ٩٧
٩٣ ـ جاكوبسون ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٥٠

www.iraqinhistory.com

٩٤ ـ كريمر ، من الواح سومر ، ص ٣٠٦
٩٥ ـ جاكوبسون ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٤٨
٩٦ ـ حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت ، ص ٩٩
٩٧ ـ باقر ، طه ، ملحمة جلجامش ، ص ٤٣ وينظر كذلك اوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين، ص ٣٣٤
٩٨ ـ برستد ، جيمس هنري ، انتصار الحضارة ، ترجمة د. أحمد فخري ، مكتبة الانكلو المصرية ، (القاهرة ، ت بلا) ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤
٩٩ ـ جاكوبسن ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٤٧
١٠٠ ـ م . ن ، ص ٢٤٧
١٠١ ـ اوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٣٣٤
١٠٢ ـ ينظر نص ملحمة جلجامش (طه باقر) ، وينظر كذلك اوبنهايم ، ص ٣٣١
١٠٣ ـ كريمر ، من الواح سومر ، ص ٣٠٨
١٠٤ ـ اوبنهايم ، ليو ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٣٣٢
١٠٥ ـ ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ٩
١٠٦ ـ حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت ، ص ٩٢

www.iraqinhistory.com



الفصل الثالث

الجحيم: رحلة إنانا عشتار الى العالم السفلي

www.iraqinhistory.com

١

إنانا - عشتار
الأسم والدلالة

تحققت أول ثورة حضارية في وادي الرافدين في مطلع الألف الرابع ق . م ، حيث قامت القرى الواسعة على طول نهري دجلة والفرات ، ومنها أريدو والوركاء ولارسا ولجش وبابل وغيرها كثير ، والتي اقامت أنظمة الري وزادت من الانتاج الزراعي زيادة هائلة ، وهذا هو أهم وأخطر انقلاب في الحياة البشرية

ولكننا نجد في هذه البيئة الزراعية عنصراً من القسر والعنف ، فدجلة والفرات قد يفيضان على غير انتظار أو انتظام فيحطمان سدود الانسان ويغرقان مزارعه[٢]، وقد انعكست هذه البيئة الصعبة المضطربة على نفسية هذا الانسان فبدأ يتصور بأن هذا الكون وما يحتويه من مظاهر طبيعية مختلفة ، وان تقلب وتغير مظاهر الطبيعة انما يُعزى الى قوى كامنة في الطبيعة ذاتها لذلك اتجه الانسان الى تجسيدها في آلهة تصورها قياساً على البشر في جنسين : مذكر ومؤنث . وكان منطقياً أن يعزو كل مظاهر الخصب والتكاثر في الطبيعة بما في ذلك تكاثر الانسان والحيوان والنبات الى قوى الخصب الإلٰهية المتمثلة بالآلهة الأم (التي عرفت فيما بعد تحت اسم « إنانا ـ عشتار » وبإله الخصب دموزي أو تموز)[٣].

كان الأقدمون يرون الانسان كجزء من المجتمع ، والمجتمع كشيء مثبت في الطبيعة معتمد على قوى كونية[٤]، فلا يوجد هنالك بالتالي ما يقيم التمايز بين الناس والطبيعة وهكذا فان العالم (لا يبدو للانسان جماداً فارغاً بل زاخراً بالحياة

www.iraqinhistory.com

يراه في كل ظاهرة تجابهه في قصف الرعد ، في الظل المفاجىء ، في الفراغ المجهول الرهيب في الغابة ، في الحجر الذي يؤذيه فجأة عندما يعثر به وهو منهمك بالقنص[٥]. بل ان الانسان المبكر ينظر الى الوقائع كحوادث فردية ، ولن يدرك هذه الحوادث أو يفسرها إلا كحركة ، فلا يضعها بالضرورة إلا في قالب قصة . وبعبارة اخرى ، كان الأقدمون يقصون الأساطير عوضاً عن القيام بالتحليل والاستنتاج[٦].. كما انهم لم يبحثوا عن تأويل مفهوم للظواهر الطبيعية . لقد كانوا يسردون حوادث هم جزء منها قد تهدد حياتهم نفسها .[٧]

إذن نظرة الانسان الى العالم هي نظرة كلية وكونية ، ونقصد بالنظرة الكونية ، عدم فصل الانسان عن الكون من جهة ، واعتباره قطعة منه لا غير من الجهة الاخرى[٨]. وكان منطقياً لذلك أن يعزو الانسان العراقي كل مظاهر الجفاف والنقص في الخيرات ، كاصفرار العشب ، وندرة الامطار ، وقلة اللبن في الماشية الى اختفاء (أو موت) إله الخصب بمعنى ان الناس أصبحوا يعزون دورة التغير السنوية الى تغيرات مماثلة في الآلهة و (انهم بقيامهم ببعض المراسيم السحرية يستطيعون أن يساعدوا الإله ، وهو مبدأ الحياة ، في كفاحه مع مناوئه ، مبدأ الموت . وظنوا انهم يستطيعون أن ينعشوا قواه الخائرة ، بل وأن ينهضوه من بين الأموات[٩]، وابتكروا لذلك أساليب طقوسية فابتكروا فكرة التزاوج المثمر بين قوى الخصب ، ثم موت أحد الطرفين على الاقل موتاً مفجعاً

ان آلهة كبرى هي « الآلهة الأم » تمثل في شخصها قوى التناسل في الطبيعة كلها ، كانت معبودة أقوام كثيرة في العالم القديم ، يُقرن بها دائماً عاشق ، بل عدد من العشاق ، لهم صفة الألوهة ، ولكنهم يموتون[١١] والادلة على وجود العقيدة الخاصة بالآلهة الأم بين السكان تعود الى أقدم المستوطنات الزراعية المعروفة حتى الآن[١٢]، إذ كانت تماثيل (عشتار) أول عمل فني تشكيلي صاغه الانسان على شاكلته ، مجسداً أول معبوداته .[١٣]

وفي العصور السومرية والبابلية والآشورية ، هناك الكثير من الأساطير والدعوات والمناحات والقصص التي يستطيع الباحث من خلالها الاطلاع على معلومات وافية عن الآلهة الأم التي سماها السومريون « إنانا » ملكة السماء ، والجزريون (الاكديون) « عشتار » .[١٤]

ويعرف موسكاتي الآلهة عشتار انها (أهم آلهة في سومر وأكد ، وكان

www.iraqinhistory.com

السومريون يسمونها إنانا ـ الى جانب صيغ اخرى مماثلة ـ ومعنى هذا الاسم في السومرية (سيدة السماء) ، وعشتار هو الاسم الاكدي السامي ، ونظيره عشتارت لدى الفينيقيين والعبريين (آلهة انثى) . وعشتر لدى عرب الجنوب (إله ذكر) . وهي تأتي في المرتبة ، بعد سن أبيها ، وشمش أخيها ، مباشرة ، وهي اخت ارشكيجال آلهة العالم السفلي[١٥]. اختصت نفسها بالوهة (ديلبات) أي الكوكب فينوس (الزهرة) ، وبإله أو آلهة للخصام والحرب ، في حين انها ظلت هي ذاتها على ما كانت عليه أولًا ، أي العشيقة السماوية ، البغي السماوية ، شفيعة الحب الحر.[١٦]

ويتعدد اسم « إنانا » بحيث ان اسمها الخاص بالاكدية عشتار ، استخدم منذ مطلع الألف الثاني ق . م بصفة تسمية عامة « للألوهة المؤنثة » . فكل إلاهة مؤنثة بحد ذاتها ، مهما كانت شخصيتها الخاصة وميزاتها ، كانت تدعى « عشتارتو »[١٧]. ويرى الباحث ليو اوبنهايم ، الرأي نفسه تقريباً في « الألوهة المؤنثة » . ويتعدّد اسم إنانا / عشتار في أسماء كثيرة هن إما آلهات المعبد أو اعتبرن زوجات آلهة من دون تمييز محدد ، مثل : ساربانيتو ـ ناشميتو . أو انهن اعتبرن من بين الشخصيات المرتبطة بالموت والعالم السفلي ، مثل : ايريشكيجال التي كانت ملكة ذلك العالم و (كولا) المعروفة بأنها الطبيبة والسيدة العظيمة.[١٨]

ووصفها بعض الباحثين بأنها « آلهة قمرية » . وتضع الباحثة ديانا ولكشتاين[١٩]، إنانا ، على رأس قائمة آلهات القمر ، وهن : ماري ، ديانا ، ايزيس ـ هيكاته ، راسيفايه ، سيلينه ، برجيت ، كيبيله ، الشيكينه ، ليليث ، برسيفونه (وكانت تدعى ابنة القمر البكر ، ونجمة الصباح والمساء (كوكب الزهرة) على حد سواء . وفضلًا عن ذلك كانت تلقب في الميثولوجيا السومرية ، ملكة السماء والارض .

وفاقت عبادتها عبادة والدها (آنو) في الاهمية[٢٠]. وتتحدث الاساطير كيف ان (آنو) أشرك الآلهة عشتار في تاجه بعد فترة طويلة من حبه لها ، واعترافاً منه بجميلها ، فقد رغب في أن يرفعها الى نفس درجة المساواة معه ، وأشركها في تاجه إطاعة لنصيحة الآلهة . لقد اقترح مجمع العائلة السماوية ، وبالاجماع ، ان عليه أن ينظم مكانتها ، فنفذ ذلك متحصناً بهذا الاجماع ، ثم أمر بأن يكون اسمها بعد الزواج (أنتو) وهو صيغة المؤنث لـ ـ (آنو) . وهذا يشبه تماماً ـ ننليل ـ صيغة المؤنث لانليل . وبعد أن مجدت عشتار وبُجلت بهذه الطريقة ، احتلت مكاناً مهماً في

السموات ، حيث كان آنو يقيم من قبل . ثم شخصت بالكوكب السيار (الزهرة) .[٢١]

وفي الاتجاه ذاته يلخص الباحث فراس السواح اسماء عشتار في الحضارات المختلفة ـ في الشرق والغرب ـ ويرى فيها انها اسماء متنوعة لآلهة كانت واحدة قولًا وفعلًا في العصر النيوليتي[٢٢]، فصارت متعددة قولًا ، وواحدة فعلًا ، في عصور الكتابة ، ويدعوها باسمها البابلي « عشتار » أي « عيش الأرض »[٢٣]. ومن هذه الأسماء التي استقرت ، فصارت ذواتاً ، نجد في سومر الآلهة (نمو) ، و (انانا) وفي بابل « ننحرساك » الأم الأرض و (عشتار) ، وفي كنعان « عناة وعستارت » وفي مصر « توت ـ ايزيس ـ هاتور ـ سخمت » والاغريق « ديمتر ـ جيا ـ رحيا ـ ارتميس » وفي آسيا الصغرى « سيبيل » وفي روما « سيريس » و « ديانا » و « ڤينوس » وفي جزيرة العرب « اللات ـ العزى ـ مناة »[٢٤].

أما قائمة أزواجها وعشاقها ، فانها تملأ كتاباً كاملًا ، وهي تصبح بهذا الاسم أو ذاك زوجة للإله العظيم الذي يكاد أن يكون إلهاً لكل مدينة ، تمثل مزيج شخصيتين مختلفتين في شخص احدى الآلهات ، مثل (سيدة الحب) و (سيدة المعارك) .. فهي قد ألّهت في (الوركاء) باعتبارها (عشتار عبادة الطبيعة) في حين كانت عشتار (حلب) و (اربيل) هي (سيدة المعارك)[٢٥]، وهذا التصور الثنائي لوظائف عشتار قد تطلّب شخصيتين مختلفتين وكذلك صفات ورموزاً مختلفة .

في احدى التراتيل ، أطلق على (إنانا / عشتار) اسم قاتلة كور .. مما يثبت الرأي القائل بأنها كانت إلٰهة للخصام والحرب . وكانت الشخصية الأقوى في مجمع الآلهة ، تلك التي استهوت مؤمنيها بالأكثر ، أو تلك التي كان عبادها ينتصرون ـ تبتلع الأضعف ـ أو الأضعفين ـ ولا تحفظ عنهم إلا بالأسماء ، بمثابة ألقاب لها[٢٦]. وترى الباحثة ان صراع إنانا مع جلجامش وطلبها الزواج منه ، إن هو إلا صورة من صور الصراع بين المبدأين : المبدأ الانثوي والمبدأ الذكرى في المجتمع السومري ـ المديني ، الذي ابتعد بمفاهيمه ، عن المجتمع الأمومي .

ورد في ملحمة جلجامش ، ان عشتار « إنانا » بعد أن رأت جلجامش وقد غسل شعره الطويل ، وارسل جدائل شعره على كتفيه رفعت إنانا / عشتار الجليلة عينها ، ورمقت جمال جلجامش فنادته :[٢٧]

تعال يا جلجامش وكن عريسي الذي اخترت
امنحني ثمرتك (بذرتك) أتمتع بها

www.iraqinhistory.com

كن أنت زوجي وأكون زوجك

ولكن جلجامش ردّها بقسوة وعدّد مثالبها ، وأخذ يعيّرها لسلوكها تجاه العشاق الذين احبتهم . يقول جلجامش :[٢٨]

أيّ من العشاق الذين اخترتهم من أحببته على الدوام ؟
تعالي أقصّ عليك (مآسي) عشاقك
من أجل تموز حبيب صغرك (صباك)
قضيت بالبكاء والنواح عليه سنة بعد سنة
لقد (رمتِ) طير الشقراق المرقش
ولكنك ضربته وكسرتِ جناحه
وها هو الآن في البستان يصرخ نادباً
(جناحي ، جناحي)

وهكذا يعدد جلجامش عشاق عشتار ، وهم دموزي ، طير الشقراق ، الأسد ، وايشولو ـ بستاني أبيها ، فاستشاطت عشتار غضباً ، وقررت الانتقام من جلجامش بتسليط الثور السماوي الذي أخذته من الإله آنو وقادته الى الأرض ، ولكن جلجامش وصديقه انكيدو تعمدا قتل الثور السماوي وقذفاها به ، فصعدت عشتار فوق أسوار أوروك ، وقذفت جلجامش بلعناتها ، وأخذت تصرخ قائلة

« الويل لجلجامش الذي دنّسني وأهانني وقتل ثور السماء »[٢٩]

ولكن هذا لا يعني ان عشتار قد فقدت مكانتها يقول الشاعر السومري في وصف مكانة (إنانا / عشتار) وكيف يقف الآلهة أمامها

مكانها بارز بين الآلهة
كلمتها مليئة بالاتزان ، انها أقدر منهم
عشتار بين الآلهة ، بارز مكانها
كلمتها مليئة بالرصانة ، انها أقدر منهم
انها ملكتهم وهم يتلقون أوامرها
كلهم يمكثون راكعين أمامها
انهم يقترضون منها بريقها
النساء والرجال يحترمونها
في مجلسهم ، كلمتها أسمى من كل كلمة اخرى

www.iraqinhistory.com

تجلس بينهم متساوية مع آنو ملكهم
في المعبد الأعلى ، مسكن البهجة
أمامها يقف الآلهة .

وظـــائف عشــــتار

ان ما فعله النظام الميثولوجي للمجتمع المديني الأول (في سومر) هو فصل الخصائص الكونية للأم الكبرى ، عن خصائصها المتعلقة بالخصب وحركة الطبيعة الأرضية ، فترك الاولى لاسمها « نمو » (دون معبد ولا ديانة منظمة) وترك الثانية لاسمها إنانا التي أدمجها في (مجمع الآلهة) بانثيون الآلهة الجديد برئاسة آن وجعل لها نسباً وأماً وأباً في شجرة العائلة الذكرية .[٣١]

وفي بابل ، نجد الشيء نفسه ، ففي مقابل الآلهة الكونية « نمو » نجد الالهة الكونية « تعامت » المياه الأولى وأصل الكون وأم الجيل الأول من الآلهة التي تصفها الاسطورة خالقة الأشياء جميعاً[٣٢].. ويقتلها وتقسيم جسدها الى نصفين من قبل ولدها مردوخ ، تكون اسطورة التكوين البابلية قد اعترفت بدور الأم الكبرى التي غدت مادة لفعل الخلق ، ومرحلة يتجاوزها مردوخ ليبني مجمع آلهته على أشلاء جسدها الذي كان أصلًا خميرة الخلق .[٣٣]

والى جانب تعامت ، تبوأت عشتار مكانتها الدينية المرموقة عند البابليين فهي إلاهة الجنس ، وتعرف بأنها إلاهة الحب ورمز الخصوبة والعلاقات الجنسية ، والتي عرفها العرب فيما بعد باسم العزى والزهرة ونجمة الصبح ونجمة الراعي[٣٤] وتندمج وظيفتها أحياناً بوظيفة دموزي ذاته ، ورمزها دائماً هو نجمة مسدسة ، أو مثمنة غالباً[٣٥]، ويرى كونتينو في الآلهة عشتار بأنها يمكن وصفها بأنها خلاصة (ننخرساك) أو (نني) أو (إنانا) أو العديد من الآلهات السومريات الاخريات واللائي جسدن جميعهن مبادىء الخصوبة أو التناسل .[٣٦]

لقد تجاوزت الذهنية السومرية والبابلية الشكل الإلٰهي القديم للأم الكبرى ، ولكنها بنت على هذا الشكل القديم بنية جديدة من التصورات والاعتقادات والاساطير ، ذات فحوى ومضامين تتصل بالزراعة التي غدت جوهر حياته ، وأساس تنظيمه الاجتماعي والسياسي ، فالديانة الجديدة التي هي ديانة زراعية في اعتقادها وطقسها ، خرجت باسطورة هي اسطورة زراعية تتركز حول آلهة واحدة ، هي

www.iraqinhistory.com

سيدة الطبيعة في شكلها الوحشي ، وشكلها المدجن الجديد التي تشارك يد الزارع في قولبته وتأهيله[٣٧] والتي تتجسد في الآلهة السومرية « إنانا » وفي امتدادها المتمثل في الآلهة الاكدية « عشتار » .

ومن المحتمل أن تكون عبادة الآلهة الام قد سبقت ممارسة عبادة أي إله آخر في اولى القرى الزراعية في وادي الرافدين مثل : قرية جرمو وحسونة وتل الصوان وسامراء والاربجية وغيرها .. وكان الدليل الذي استرشد به الباحثون على ممارسة عبادة الآلهة الام في تلك المواقع ، مقتصراً على ما كشفت عنه التنقيبات الآثارية من دُمى انثوية تشترك في حمل صفات تشير الى ما ترمز اليه تلك الآلهة من قوى الخصب والانجاب والولادة ومن هذه الصفات ، البدانة وكبر الأثداء والارداف ، وابراز الاعضاء التناسلية ، أو علامات الحمل .[٣٨]

ويشترط الدكتور نائل حنون أن تستمر فكرة الآلهة الام في العصور التاريخية وتأخذ أبعاداً جديدة تتناسب والتطور الذي شمل جميع عناصر الحضارة ـ على حد قوله ـ ومنها نظرتهم الى كائنات ما وراء الطبيعة التي تجسدها ، ويقصد بها الآلهة[٣٩] . ومن البديهي لأي متخصص في هذا المجال ، أن يتبادر الى ذهنه أن تكون إنانا / عشتار هي الآلهة المحددة لشخصية الآلهة الام ، دون غيرها من الآلهات اللائي كن أدنى منها درجة في فكر ومشاعر السومريين والبابليين .

ولكن ، هل كانت إنانا / عشتار ، الآلهة الام في حضارة العراق القديم ؟ وإذا لم تكن إنانا / عشتار ، هي الآلهة الام ، أو الآلهة المسؤولة عن الخصب والانجاب كما هو واضح لدينا الآن ، فما هي حقيقة الدور الذي لعبته في الحضارة العراقية القديمة ؟ ثم كيف وصلت الى تلك الشهرة التي لم تصلها حتى الآلهة الام نفسها ، وما هو الدافع الكامن وراء ذلك ؟

من خلال عرض وافٍ يقدمه حنون عن شخصية الآلهة إنانا وعلاقاتها ورموزها وأسمائها يستنتج (بأن الآلهة الأم في عقائد تلك الحضارة لم تكن سوى ننخرساك التي عرفت بألقاب متعددة مثل « ننتو » و « ننماخ »[٤٠]. وهو بذلك ينفي صراحة عن إنانا / عشتار وظيفة الأمومة والانجاب ، ويؤكد على ان عبادتها كانت تتمثل في أبعاد ثلاثة هي :

١ ـ البعد الشخصي

٢ ـ البعد الرمزي

www.iraqinhistory.com

٣ ـ البعد الوظيفي

في البعد الشخصي كانت تمثل الانثى بكل قابلياتها ومداركها ودوافعها الباطنية وغرائزها (باستثناء ما يخص الحمل والولادة) وتعليل الاستثناء ذلك يعود الى كون الآلهة إنانا / عشتار لم تجرب الحمل والولادة بمعنى انها كانت عاقراً .

في البعد الرمزي تمثل إنانا (الآلهة ـ المراهقة) ثم (الآلهة ـ المرأة) ثم (الآلهة ـ الارملة) بعد أن سلمت حبيبها دموزي الى العالم السفلي .

وفي البعد الوظيفي تتمثل مسؤوليات (إنانا / عشتار) في الاشراف على الحب والعلاقات الجنسية وبعض المهن التي تقوم بها المرأة[٤١]. وحين أقول المرأة ، فانني اقصدها ، بشخصها ، وتكوينها النفسي ، وبمراحل تطورها العضوي والاجتماعي . وأخيراً بالواجبات الملقاة على عاتقها ودورها في الحياة العملية للمجتمع العراقي القديم .[٤٢]

تجد الباحثة ان الآلهة « إنانا / عشتار » ـ باعتبارها موروثاً عقائدياً واسطورياً من عصور ما قبل التاريخ ـ كما دلت على ذلك الشواهد الآثارية ، قد تبلورت شخصيتها في رمز لا يقبل التجزئة . فحين توصف بأنها كانت « الآلهة الأم » فذلك يحيلنا الى المعنى الرمزي للأمومة ، وليس المعنى الوظيفي المرتبط بتجربة الحمل والولادة . وحين توصف إلٰهة الحب والعلاقات الجنسية ، فلأن الحب هو الرمز الأسمى لكل الوظائف التي لها علاقة بالحمل والانجاب والتكاثر . إلا ان ما يحتاج اليه الانسان والحيوان أكثر من كل شيء آخر ، ضماناً لتناسلهما وانتشارهما وتكاثرهما ، هو الحب الحقيقي ، والشهوة التي تؤول الى الاتحاد الجنسي وتولد الخصوبة[٤٣]. وقد وضعت هذه العواطف الرقيقة واللذيذة في عهدة إلاهة الحب ذات الجاذبية والاغواء ، والنزعة الحسية الشهوانية ، هي الآلهة « إنانا »[٤٤] التي كانت تعبد في مدينة الوركاء منذ الألف الثالث ق . م أو قبل ذلك بقليل .

ولا تكون مشاعر الحب إلا متبادلة بين شخص وآخر ، فلا يكفي للآلهة الأم أن تحمل وتنجب دون أن تشرك جنس الذكر في مهمتها الانجابية ، ولن يكون هنالك أسمى من مشاعر الحب لتربط بين الإله والآلهة كي يستمر البذار والتكاثر من جيل الى جيل ، ويحفظ الانواع الحياتية من الانقراض .

من هنا انبثقت فكرة الزواج المقدس ـ التي كانت احدى وظائف إنانا الرئيسية ـ بدءً باختيارها لعريسها دموزي ثم زواجها منه ، في طقوس احتفالية

www.iraqinhistory.com

(دينية) رسمية وشعبية تتسم بالبهجة والفرح بهذا الاقتران المقدس ، حيث ان (مليكهم قد أصبح عاشقاً وزوجاً للآلهة إنانا ، وبذلك يشاركها قوتها وقدرتها على الاخصاب التي لا تقدر بثمن ، كما يشاركها خلودها[٤٥]. وبذلك يكون الخط الوظيفي المتجسد في إنانا ـ كالآتي :

الحب ← الجنس [الزواج المقدس] ← الخصوبة [التناسل والتكاثر في الطبيعة والانسان]

← الموت (هبوط إنانا الى العالم السفلي) ← البعث (قيامها من الموت)

وقد كان في معقتدهم ان مبدأ الحياة والخصب ، سواء كان حيواناً أم نباتاً ، مبدأ واحد لا يتجزأ ، وكانت حاجات الانسان الأولية في الماضي هي الحياة ، وجلب الحياة ، وأكل الطعام ، والولادة . وقد تضاف اشياء اخرى لتزيين الحياة الانسانية وتجميلها . ولكن اذا لم تكف هذه الحاجات ، فلا بد للبشر من الانقراض ، ولذلك فان الحصول على هذين الأمرين : الطعام والتكاثر ، هو هدف الناس من القيام بالمراسيم السحرية لتنظيم الفصول .[٤٦]

× × ×

ليست هنالك حدود واضحة لوظائف عشتار ، لتعددها وشموليتها من جهة ، ولتداخل بعضها مع بعض ، من جهة اخرى ، والاسطورة التي أوردها كريمر تحت عنوان « آنكي وتنظيم الكون » ، قد تساعدنا على اكتشاف عالمها الوظيفي ، أو بعض منها على الأقل ، وهي واحدة من أطول القصائد القصصية السومرية ، وأحسنها ، من حيث الحفظ ، لان جميع محتوياتها أو أغلبها وصلت سليمة .[٤٧]

ويدل عنوان الاسطورة [آنكي ونظام الكون] على مضمونها ، ولكن بعد أن يوزع الإله آنكي الوظائف على عدد كبير من الآلهة ، تأخذ الاسطورة اتجاهاً لم يكن متوقعاً ، وذلك عندما يقدم الشاعر الآلهة إنانا وهي (تشتكي بمرارة حين تجد ان اخواتها ننسون وننماخ ونيدابا ونانشه ، قد تسلمن جميعهن سلطاتهن ، والشارات الخاصة بكل واحدة منهن ، بينما هي ـ إنانا ـ قد عوملت بالاهمال وعدم المراعاة لشعورها .[٤٨]

أنا (المرأة) ، لم عاملتني بمعاملة مختلفة ؟

أنا « إنانا » المقدسة ، أين هي امتيازاتي ؟[٤٩]

وازاء الشكوى التي تقدمت بها إنانا ، يبدو ان « انكي » حاول تهدئتها

www.iraqinhistory.com

واسترضاءها مشيراً الى العدد الكبير من الشارات والامتيازات التي منحها إياها وهي « العصا والصولجان وعصا الرعوية » والقدرة على التنبؤ عن طريق الوحي بالنسبة للحرب والمعركة ، وحياكة الملابس وصباغتها ، والقدرة على تدمير « ما هو غير قابل للتدمير » واهلاك « ما هو غير قابل للهلاك »[٥٠]، والقدرة على اغواء الشباب ، وتهدئة الأحزان .

و ... و ...
قد زيّن (؟) لك
وترتدين هناك الكساء (؟) المسمى « قوة الشباب »
وأنت وضعتِ الكلمات التي ينطق بها (الشاب)
وأشرفت على عصا الكاهن والصولجان وعصا الرعوية
أيتها العذراء « إنانا » ماذا نزيد لك على ذلك
الحروب (و) الهجمات ـ أنت تجيبين عن تساؤلات وسطاء الوحي بشأن

وتفتلين الخيط المستقيم
أيتها العذراء « إنانا » أنت جعلت الخيط المفتول مستقيماً
وأعطيتِ الاكسية أشكالها ، وأنت تلبسين الحلل ،
وأنت التي نسجتِ نسيج ـ « الموج » وملأتِ المغزل بالخيط ،
في ..ك قد صبغت (؟) خيط الـ ... ذا الألوان المتعددة

يا إنانا أنت حطمت ما هو غير قابل للتحطيم
وأهلكتِ ما هو غير قابل للهلاك
وأنت أسكت (؟) الـ .. « دف النواح »
أيتها العذراء « إنانا » أنت أعدت تراتيل ـ النيجي وتراتيل
« أدب » الى بيتها ،
أنت التي لا يكل المعجبون بها من النظر اليها[٥١]

× × ×

يحمل رمز « عشتار » معنى الحماية ، هذا ما يؤكده ليو اوبنهايم الذي يرى ان العلاقة بين الفرد وأرواحه الحامية ، مطابقة للعلاقة فيما بين الملك وآلهة معينة

www.iraqinhistory.com

تابعة الى المعبد وغالباً هي الآلهة عشتار التي اعتبرها الملك مسؤولة عن حمايته الشخصية بشكل خاص[٥٢] وهي الحاملة لشخصيته وسلطته ، وبذلك تكون عشتار ما أطلق عليها الاغريق بانتصار الملك ، وما أطلق عليها الرومان بسيطرة الحظ ، وقد مثل ذلك المصطلح السرياني « Godda de malka »[٥٣] الذي يعني حظ الملك ، وهو تعبير قابل للمقارنة مع عشتار وشمتو[٥٤].. اضافة الى ان الملوك الآشوريين حتى زمن أسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق.م) ، قد لمحوا - كما فعل الملك الحتي ختوشيلي الثالث - على ان ظهورهم للسلطة يعود الى توسط عشتار[٥٥] وما دامت عشتار حاملة (شمتو) الفرد ، ففيها أيضاً يتمثل « قضاؤه وقدره »[٥٦].

ولعل ما ذكره اوبنهايم عن علاقة عشتار بحظ الفرد وبنصيبه ، له علاقة بالرقم الذي تحمله عشتار ، وارتباط كل ذلك بالعلاقة القائمة بين الآلهة والكواكب والنجوم . (وقد عرفنا عن (نيدابا) انها أصبحت آلهة للاعداد والنبوءات التي كانت تعتمد على الأعداد)[٥٧] ومنذ منتصف الألف الثالث ق . م ، يورد لنا مصدر سومري ، الدليل على اعتقاد الناس بتاثير الكواكب على الأشخاص والأشياء ، فان كوديا الحاكم السومري ، يصف لنا ، على اناءين طينين محفوظين في متحف اللوفر ، رؤياه قبل اقدامه على تشييد الهيكل ، فهو قد رأى الآلهة نيسابا (نيدابا) العارفة بمعاني الأرقام وهي تحمل لوح نجمة السعد لبنيان الهيكل ، وهي النجمة المبشرة بالنجمة المقدسة الضرورية لتشييد الهياكل[٥٨]. ولا تستبعد الباحثة أن يكون المقصود بالنجمة المقدسة هي (الزهرة) التي اقترن اسم الآلهة (إنانا / عشتار) بها

ولقد استطاع سكان وادي الرافدين بامكانيات الحساب الموجودة في الارقام أن يكتشفوا العلاقات المختلفة بين الأرقام ، وتظهر الطريقة التي وزعت بها الارقام انطواء على نظامي العدد الستيني والعشري اللذين كانا شائعين في بلاد ما بين النهرين . كان العدد ٦٠ هو رقم الإله آنو ... وكان رقم « إيا » هو ٤٠ أو ثلثا رقم آنو ... أما سن فكان رقمه ٣٠ وهو عدد الأيام في الشهر القمري ، وكان رقم عشتار هو ١٥ ، وهو رقم يحمل قدراً من القدسية اذا علمنا انه ١ / ٤ رقم إله السماء آنو و ١ / ٢٤ من أجزاء الدائرة التي قسمها العراقيون القدماء الى ٣٦٠° درجة ، و ١ / ٢ نصف دورة القمر سين.[٥٩]

ان الكلدانيين ، وبسبب مشاهدتهم للكواكب ، كانوا يعرفون مداراتها بدقة ويضعون الزهرة ضمن الكواكب الخمسة الاهم والاشد تاثيراً ، لان لهذه الكواكب حركة

www.iraqinhistory.com

خاصة ومحدودة ليست لبقية الكواكب الثابتة أو الخاضعة لحركة قياسية ، كما انها تنبىء باحداث المستقبل وتشرح للناس مخططات الآلهة الخيّرة[٦٠] وهذه الكواكب هي زحل ، المريخ ، عطارد ، المشتري ، اضافة الى الزهرة . والخبراء بها يعرفون كيف يستنتجون الطالع من إشراقتها ، أو مغيبها ، أو لونها ، وهي تدل أيضاً على العواصف والامطار ، وموجات الحر الشديدة ... وهي كذلك علامات سعد أو نحس للبلاد والشعوب ، وللملوك والافراد .[٦١]

وكوكب الزهرة ذو خواص متميزة أثارت اهتمام الانسان القديم ، فهو يظهر في دورة فلكية كل تسعة عشر شهراً ، ويبقى بضعة أشهر فقط ببهاء يلفت النظر . واذا ما راعينا اعتماد البابليين في تقاويمهم الزمنية على رصد حركات الكواكب ، وراعينا لجوء رعاة البادية الى فصل الذكور عن الاناث في فصل الخريف ، أثناء تحرك الجنس فيها ، اتقاء لولادة الحملان في برد الشتاء ، نجد ان الظهور الخريفي أو الربيعي للزهرة ، كان ذا دلالة لهم .[٦٢]

وتشير (الباحثة) الى ما ذكره ليو اوبنهايم عن (الشمتو) وما تعنيه (حظ ونصيب الفرد) تجد ان هنالك علاقة وثيقة بين (الشمتو / أو الطالع) وبين الكواكب التي هي (رموز الآلهة) وبين العدد الذي يحمله الإله . وما يزال السحرة والمنجمون في الوقت الحاضر ، يلجأون الى استخدام الارقام ورصد حركة النجوم وربطها بحسن الطالع أو سوئه .

× × ×

أما وظيفة عشتار كإلاهة حرب ، فلا تفسير له إلا باعتبار الظهور الصباحي لها قبل الشمس بثلاث ساعات فقط ، والذي كان معتمداً اشارة لسري الغزاة ، وتحركات الجيوش ، حيث كانت هذه تتم عادة قبل الشروق لمداهمة الاعداء قبل تيقظهم ، ولا تزال كلمة (سرية) التي تطلق على كتيبة من الجيش ، تحمل معنى المسير الخفي الليلي .[٦٣]

× × ×

ولعل من بين الوظائف التي تكفلت إنانا بالقيام بها ، هي حيازة السيادة ، والحصول على القوانين الإلهية « الميات » (واحدتها Me) التي تحكم الجنس البشري ، ومؤسساته ، والتي تضمنتها اسطورة يعود تاريخ كتابتها الى ألفي عام قبل الميلاد . تدور حول (إنانا) ملكة السماء و (انكي) سيد الحكمة ، وتتسم باهمية

www.iraqinhistory.com

كبيرة بالنسبة لدراسة تاريخ التطور الحضاري.[٦٤] (ولهذه الاسطورة تقدير انثروبولوجي عظيم ، ذلك لأن مؤلفها قد وجد مرغوباً فيما يتصل بالقصة ، أن يقدم قائمة كاملة « بالميات » . فقسم الحضارة ـ كما تصورها ـ الى أكثر من مائة من السمات والمجموعات الثقافية التي تتصل بمؤسسات الانسان : السياسية والدينية والاجتماعية ، وبالفنون والصناعات والموسيقى والآلات الموسيقية وانماط السلوك الاجتماعية)[٦٥].

وتتلخص أحداث الاسطورة بما ياتي :

كانت إنانا ملكة السموات ، والآلهة الحامية لأوروك ، حريصة على أن تزيد من رفاهية مدينتها ورخائها ، كي تجعلها مركز الحضارة السومرية ، وهي لذلك تقرر الذهاب الى أريدو حيث يقيم انكي رب الحكمة . وذلك لأن القرارات الإلهية كانت بحوزة آنكي ، وعندما تقترب من أبسو أريدو ، إذا بآنكي ، وقد أخذ بسحر جمالها ، ينادي رسوله ايسمود الذي يخاطبه

أقبلْ رسولي ايسمود ، أعز أذناً لنصائحي
إنانا وحدها قد وجهت خطاها الى الابسو
أدخل الفتاة الى أبسو أريدو
على المائدة المقدسة ، مائدة السماء
قل لها كلمات التحية[٦٦]

وتجلس إنانا وانكي ياكلان ويمرحان ، حتى إذا سعد قلباهما بالشراب صاح آنكي :

باسم قوتي ، باسم جبروتي
اقدم لابنتي الطاهرة (إنانا)
السلطة ... الـ ... الالوهية ، التاج المقدس وعرش الملوكية العظيمين.[٦٧]

وحين يصحو آنكي ، إذا به يندم على فعلته ، ويبعث رسوله ايسمود في أثرها للحاق بـ (إنانا) وزورقها ، ومقابلتها في أول منطقة من مناطق الوقوف السبع التي في الطريق ما بين (ابسو) (أريدو) و (اوروك)[٦٨]. ولكن ايسمود ـ رغم محاولاته ايقافها ـ لا يستطيع استرداد (الميات) وتواصل إنانا سفرها مشياً على الاقدام وهي مندهشة من موقف آنكي فتتساءل :

www.iraqinhistory.com

لماذا عدل أبي عن رأيه ؟
لماذا دنس العهد الذي قطعه ؟[٦٩]

وأخيراً تصل إنانا وسفينتها بسلام .. وسط مظاهر احتفال شعب (أوروك) المسرور وتهليله .. وتفرغ (الميات) الإلٰهية الثمينة واحدة واحدة .

× × ×

يُنسب الى إنانا / عشتار مسؤوليتها في اخراج دموزي من العالم السفلي ، فتقر العزم على القيام برحلتها الشهيرة لتقوم بوظيفة الآلهة (المخلصة) لحبيب صباها دموزي ، تقول ديانا ولكشتاين :[٧٠]

لقد استهوتني قصة المرأة التي تخلت ، عبر سبعة أبواب متتالية ، عن كل ما حققته في حياتها ، الى أن تمت تعريتها من كل شيء ، ولم يبق لديها سوى ارادتها في أن تبعث من جديد ... ثم ، وبسبب رحلتها الى العالم السفلي ، تسلمت أسرار الموت والبعث ـ ليس فقط بفضل كونها إلاهة القمر ، بل كإلاهة تتربع على عرش السماء والأرض والعالم السفلي ، وهنا تتجلى الآلهة بكل هيآتها .

www.iraqinhistory.com

٢

رحلة إنانا الى العالم السفلي
«الأقتراب من النص»

١- من السماء العظيمة الى الأرض السفلى العظيمة.
٢- الآلهة، من [السماء العظيمة] الى [الأرض السفلى العظيمة].
٣- إنانا من [السماء العظيمة] الى [الأرض السفلى العظيمة].
٤- سيدتي هجرت السماء هجرت الأرض ونزلت الى العالم السفلي.
٥- إنانا هجرت السماء، هجرت الأرض ونزلت الى العالم السفلي.
٦- هجرت السيادة، هجرت الملوكية ونزلت الى العالم السفلي.

الهبوط الأول :

لقد كان الحافز الأول لأفعال الانسان القديم وأفكاره ومشاعره ، اعتقاده الجازم بأن الألوهة حالّة في الطبيعة ، وان الطبيعة مرتبطة بالمجتمع ارتباطاً صميماً[١] وان افتراض الترابط الجوهري بين الطبيعة والانسان يهيىء لنا قاعدة لفهم الفكر الميثوبي .. وان منطق هذا الفكر وتركيبه الخاص مستمدان من وعي مستمر بالعلاقة النابضة بين الانسان وعالم الظواهر.[٢]

وكما ان ما هو خيالي يحسب موجوداً بالفعل ، فان الصفات والفكر المجردة قد

www.iraqinhistory.com

تتجسد أيضاً ، وخير مثال على هذا الانصراف الى التجسيد : فكرة الموت البدائية . ليس الموت ـ كما هو لنا ـ فعل الاحتضار ومفارقة الحياة (بل) وانه ضرب من الحقيقة المجسدة .[٣]

يحاول الفكر الميثوبي أن يتجاوز ثنائية الأرض والسماء ، الى ثنائية يقيم بين طرفيها تقابلًا متعادلًا ، فالسماء العظيمة تقابل الأرض السفلى العظيمة والاعلى العظيم يقابله الأسفل العظيم[٤]، ومثلما تنتمي الآلهة إنانا الى الآلهة في السماء ، فهي اخت ايريشكيجال إلهة العالم السفلي ، وهذه القرابة تجسد علاقتها العائلية بمجمع الآلهة من جهة ، ومنزلتها الدينية المقدسة من العالم آنذاك .[٥]

ويتحدث جان بوتيرو عن خطوط نظام يتسم بالتناسق هو الذي بحث عنه سكان بلاد الرافدين القدامى بتطبيق اسطورة على أساطير اخرى (فكونوا تقليدياً عن الكون مفهوماً عمودياً ذا قطبين ، كانوا يرونه مثل كرة عظيمة مكونة من نصفي كرة متعادلين ، أي ما هو فوق (آن ـ شمو) أي السماء ، وما هو أسفل (كي ـ إرصتو) أو الجحيم . انهما مفصولان بخط قطري كانت في منتصفه ما نسميه بالأرض (أرض الأحياء)[٦] محاطة بمياه البحر (نامتو) وتطوف فوق (أبسو) الماء العذب ، (وأعطي نصف الكرة السفلي كمجال وإطار لوجود الموتى)[٧].

وعلى ضوء هذا يمكننا تصور ان العالم في نظر الانسان السومري يتكون من : السماء / موطن الالهة . والأرض / موطن البشر . والأرض السفلى / مسكن الموتى . وان كلًا من السماء والأرض عالمان محسوسان بالنسبة اليه ، وقد أدرك قصة خلق العالم وتكونه ، مثلما أدرك قصة خلق الانسان وتكونه كمعتقد مدون من جهة ، وكطقس جماعي احتفالي يمثل سنوياً في مواقيت محددة ، يدخله مشاركاً يمارس فيه تفصيلات هذا الطقس ، لما لمشاركته من علاقة مباشرة توجه حياته المستقبلية . وحين لا يكون (بين الفعل وبين الطقوس أو التمثيل الرمزي بالنسبة الينا ، فرقاً جوهرياً ، لكن لم يكن لهذا التفريق أي معنى لدى الاقدمين)[٨].

وهذا يقربنا أكثر من السبب الذي من أجله هجرت إنانا السماء العظيمة ، ونزلت الى الأرض السفلى العظيمة . ويرتبط ذلك بالنظرة المحسوسة للاشياء فالسماء وجود مرئي بشمسها ونجومها وحركة أفلاكها وقمرها . والارض وجود محسوس أيضاً ، يتعامل الانسان العراقي القديم مع حركتها ويوجهها بما أوتي من قدرات على السحر والتنبؤ وتقديم القرابين .

www.iraqinhistory.com

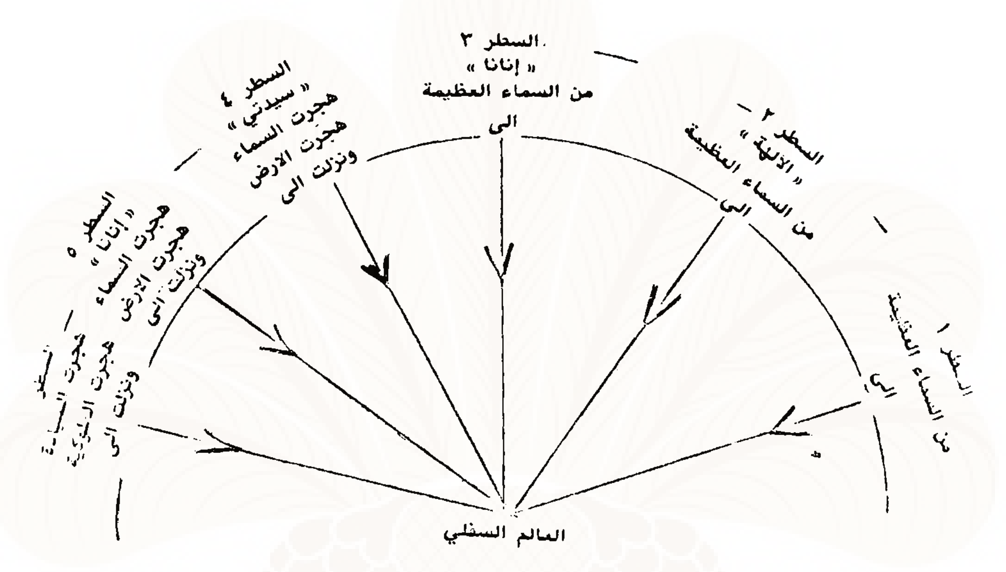
بقي على الفرد أن يفكر في المتوازي الثالث لهذا الوجود ، الذي يمكن أن نرسمه على شكل دائرة ، نصفها الأعلى يمثل قبة السماء ، ونصفها الأسفل يمثل الارض السفلى ، يفصل بينهما أرض مستوية يعيش عليها الأحياء.[٩]

وبالاعتماد على السطر الثالث من النص [سيدتي ، هجرت السماء ، هجرت الأرض ، ونزلت الى العالم السفلي] نجد ان الهبوط الأول كان من السماء الى الأرض كخطوة أولى . ثم أعقبه الهبوط الثاني : من الأرض الى العالم السفلي ، هكذا ، دون سبب في الظاهر على الأقل ، لأن السببية لن تقنع الانسان البدائي بالطريقة التي نتعامل معها نحن ، فهو (لن يدرك ما نراه من سببية تعمل كالقانون آلياً ودونما هوى شخصي)[١٠] وعلينا أن نتذكر ان نيوتن اكتشف فكرة الجاذبية (السقوط) وقوانينها بدرسه ثلاث مجموعات من الظواهر لا يرى الناظر اليها المعتمد على حواسه فقط أية علاقة بينها : الأجسام الساقطة تلقائياً ، وحركات النجوم السيارة ، وتعاقب المد والجزر ، ان الذهن البدائي أعجز من أن ينسحب كل هذا الانسحاب من الحقيقة المحسوسة[١١]. قد نقول نحن ان هناك نهجاً فزيولوجياً معيناً يؤدي الى موت انسان ما ، أما البدائي فيتساءل لماذا يموت هذا الرجل هكذا في هذه اللحظة ، بمعنى انه يريد سبباً خاصاً فردياً لتعليله ، بينما كل ما نستطيع قوله نحن هو : اذا توفرت هذه الظروف ، فان الموت لا بد حاصل فالحدث لا يحلل ذهنياً ، بل يختبر بكل ما فيه من تعقيد وفردية

وقد ينمو الفكر التأملي ويتطور حين يتناول المناطق التي لا تدركها التجارب الحسية المباشرة ، كالعالم السفلي مثلًا ، وهكذا ، قد لا يقل الفكر الميثوبي نجاحاً عن الفكر الحديث في ايجاد نظام سفلي منسق إلا ان هذا النظام لا يقرر بالمقاييس الموضوعية ، بل بادراك عاطفي حسّي للقيم

يتبين لنا هذا النظام ـ نظام العالم السفلي ـ ونحن نتابع خطوات إنانا بدءً بالخطوة الاولى والتي تنطلق (من السماء العظيمة) ويتقرر المستوى الأول من الاسطورة في الوحدة الاولى وهي السطور (١ الى ٦) .. ولكي تكون الصورة أكثر وضوحاً ، لذلك نلتمس المخطط التالي (النموذج ١)

www.iraqinhistory.com



ويبدو الجانب البصري في الرؤية متدرجاً ، فكأنه قد نظر الى أعلى ، فرَأى للوهلة الأولى السماء (السطر ١) ، ثم تبين له وجود الآلهة في السماء (السطر ٢) ، بعدها توضحت له الصورة ، فأمكنه أن يميز الآلهة ويحدد اسمها (في السطر ٣) .

واعتباراً من (السطر ٣) وحتى (السطر ٦) تجد الباحثة ان الشاعر يلجأ فيها الى عملية ربط يجمع ثلاثة أشياء مطلقة : أولها السماء العظيمة وثانيها إنانا وثالثها العالم السفلي ، وتمثل هذه الانتقالة حركة مقصودة اريد بها تعيين المسافة ـ مسافة الرحلة ـ وهي مسافة مطلقة ـ ضمن نقطتين : نقطة البداية / الانطلاقة ، ونقطة النهاية/ الهدف . وما بينهما إنانا وهي تتحرك ضمن حرفي الجر (من (الى) دون أن يتم ربطهما بفعل ما

وتأتي السطور (٣، ٤، ٥، ٦) لتنقل الرحلة الى ميدان الحدث (الفعلي) حيث تتعلق حروف الجر بفعلين اساسيين هما فعل الهجران (هجرت) وفعل النزول (نزلت) بينما إنانا تتابع هبوطها ضمن نسق متدرج يمكن أن نضمه بين قوسين ، فقد هجرت إنانا (السماء ـ الأرض ـ السيادة ـ الملوكية) ونزلت الى العالم السفلي .

وان التدرج في هبوط إنانا الى العالم السفلي ، يحيلنا الى مسالتين :

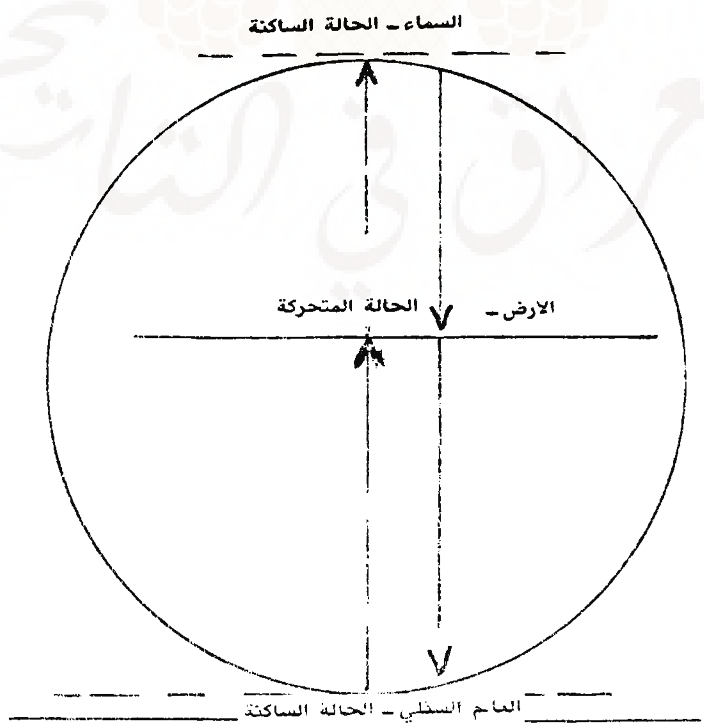
www.iraqinhistory.com

- الاولى هي مسألة السقوط الازلي متجسداً في سقوط حواء وآدم ، من السماء الى الارض ، وهذا بدوره يحيلنا الى حقيقتين :

١ - ان الوضع الطبيعي للأجسام هو في سقوطها من الاعلى الى الأسفل (باتجاه شاقولي).[١٤]

٢ - ان وضع الانسان في الطبيعة وضع ديناميكي (حركي) فهو فيها وازاءها ، فاعل منفعل .. بمعنى ان السماء تمثل الحالة الخالدة (الساكنة) التي هبط منها الانسان الأول الى الأرض والتي هي الحالة المتحركة - ليمارس نشاطه الانساني عليها ويتكاثر ، ولكنه مقابل ذلك يتعرض للموت كاجراء قسري ، أو كحالة من حالات الطبيعة.[١٥]

- الثانية هي مسألة السقوط الطبيعي للانسان الى العالم السفلي : موته وتحلله الى العناصر الاولية التي خلق منها (الى الطين) وتمثل هذه المرحلة العودة الى الحالة الساكنة (الموت) ، ولكن بالاتجاه المعاكس / السفلي ، كما في النموذج التالي :



بصعود إنانا من العالم السفلي الى الأرض ، ومن الأرض الى الأعلى العظيم (السماء) حيث مكانها بين الآلهة ، تكون الحركة في دورتها الطبيعية قد اكتملت .

والعقل البدائي إذ يعتمد هذه الصورة المجسدة ، فلأنه لا يلجأ الى التجريد الذي قد يدفعه الى الايمان بوجود ما هو خارج منظومة الحواس ، لذلك يجب أن يبتدع ما يقرب اليه هذه النظرة لعالم لا يراه ، واعطائه شكلًا حسياً شاخصاً لا يختلف عن شكل الطبيعة الماثلة أمامه . هنا أيضاً لعب الخيال الميثولوجي ـ الشعري دوره في تركيب ذلك الكون المجهول ، ونقل اليه حتماً ، سلباً أو ايجاباً ـ الصور المألوفة لدينا على الأرض[١٦]، و (هذه الصورة المنقولة عن العواصم الارضية ، تشرح ظاهرياً اسم المدينة الكبيرة (اورو ـ كال) ، الذي كانوا قد اعطوه للجحيم ، المدينة التي تخيلوا حتى وجود شوارع فيها (سولو))[١٧].

ان الدافع الأساس لهذا النمط من التفكير هو ما أدركته حواس الانسان البدائي عند ملاحظته النبات وهو ينزل تحت الأرض ، والماء في دورته من السماء الى الأرض ثم الى الأسفل ، والانسان في موته وانتهائه ومن ثم اختفائه تحت الأرض ، كل ذلك دفعه الى التأمل لايجاد اجابة مقنعة تكمل ايمانه بوجود كل من السماء والأرض ، فابتكرت مخيلته عالماً موجوداً بالضرورة هو العالم السفلي .[١٨]

ولكنه لا يريد أن يقتنع بوجود عالم سفلي دون أن يقترن هذا الوجود بالبرهان الحسي ، وأن يتأكد بنفسه من رؤية هذا العالم بعيني (إله ـ أو إلهة) تهبط الى العالم السفلي ، وتكتشف قوانين ذلك العالم ، ثم تصعد الى الأرض لتوصل الرسالة ، أو لتروي الحكاية كما رأتها فعلًا ، وليس كما تخيلتها . وهذه العملية تقتضي أن يكون الإله (النازل) خاضعاً لعمليات عقلية ، أو نشاط ذهني يعتمد الوحدات (الزمنية) المتتالية ، ويخضع البطل (الإله) لنمط الوظيفة الأساسية التي هي (الموت في العالم السفلي) ومن ثم مقابلة نشاط الهبوط بعمليات صعود تناظر عمليات الهبوط (تساويها في المراحل ، وتعاكسها في الاتجاه)[١٩].

من هنا ، تكتسب عملية الهبوط والصعود من والى العالم السفلي ، مصداقيته تبعث على الدهشة من جهة وعلى الايمان بالاسطورة من جهة اخرى ، لكون العمل خارقاً أولًا ، ولكونه طقساً دينياً ، ثانياً

وهذا المستوى الذي ذكرناه في نظر الباحثة ، هو المستوى الأول من الخروقات التي ارتكبتها إنانا ، وستنقلنا الوحدات الاسطورية اللاحقة الى ثبت منسق من

www.iraqinhistory.com

المحظورات ، يقابلها نسق من الخروقات في عمليات متناظرة الى حد ما

٧ ـ في الوركاء ، هجرت اي ـ انا Eanna ونزلت الى العالم السفلي .

٨ ـ في بادتبيرا Baditbira هجرت اي مشكلاما ونزلت الى العالم السفلي .

٩ ـ في زيالم Zabalam هجرت كيكونا Qigana ونزلت الى العالم السفلي .

١٠ ـ في أدب (Adab) هجرت إي ـ شارا (Eshrra) ونزلت الى العالم السفلي .

١١ ـ في نفر ، هجرت بارا ـ دور ـ كارا Baradurgarra ونزلت الى العالم السفلي .

١٢ ـ في كيش هجرت خرساك كلاما (Hursag Kalama) ونزلت الى العالم السفلي .

١٣ ـ في أكد هجرت اي ـ أولمش (Eulmush) ونزلت الى العالم السفلي .

من العام الى الخاص :

في [التدرج المكاني] يهبط [الراوي] بنظره من [السماء العظيمة] الى الأرض ـ الى خارطة منظمة تبدو كما لو كانت خارطة تعليمية تتصل فيها نقاط العبور على التوالي [الوركاء ـ بادتبيرا ـ زيالم ـ أدب ـ نفر ـ كيش ـ أكد] ومن هذه المدن يلتقط رموز العبادة وأقصد بها المعابد وهي على التوالي : [اي ـ انا / كيكونا / اي مشكلاما / اي ـ شارا / بارا ـ دو ـ كارا / خرساك كلاما / أي اولمش] ، انه يسير ببصره بزوايا نظر متساوية الأبعاد تصل خطوطها الى الاعلى العظيم مثلما تصل نهاياتها الى الأسفل العظيم كما سنرى من تتبعنا لرحلة إنانا في وحدة الاسطورة اللاحقة .

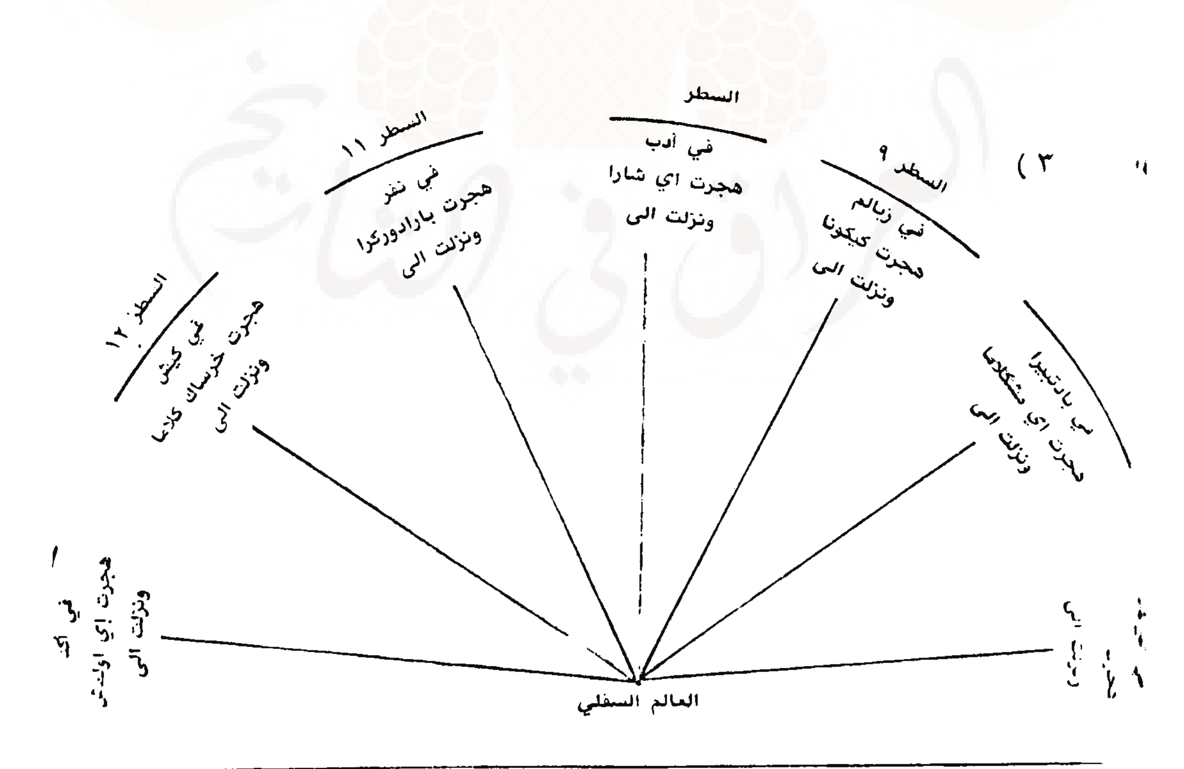
انه ينظر الى الأرض من خلال هذه الرموز [المعابد] لا من حيث كونها موجودات ارضية منقطعة عن السماء ، بل من حيث كونها الموجود الأدنى الذي يتطلع منه الافراد الى الأعلى حيث مكان الآلهة في السماء باعتبارها أبراج العبادة التي يهبط فيها الإله من جهة ، ومن جهة اخرى يؤدي الافراد طقوس التقرب الى الآلهة من خلال هذه المعابد المنتشرة في المدن السومرية ، والتي هي عبارة عن (صلة الوصل بين الأرض والسماء)[٢١] وان كون أساسها في الأرض وان رأسها يكاد يضيع بين السحب يخفي وراءه تصوراً أكثر عمقاً حول الامور غير المادية التي تربط

www.iraqinhistory.com

بين عنصري الكون المنظمين.[٢٢]

وهذا يتفق ـ في رأي الباحثة ـ مع وصف جان بوتيرو للديانة بانها (مرتكزة على شعور غريزي وعميق، ليس باتجاه افقي ـ اذا ساغ التعبير ـ بل باتجاه عمودي، أي ليس نحو شيء حولنا بل فوقنا)[٢٣]. يصف بوتيرو هذا الشعور بأنه (الشعور الغامض بوجود نظام للاشياء هو أسمى منا ومن كل ما يحيط بنا ههنا ونشعر بميلنا الى الخضوع له أو الاتجاه نحوه اذا ما أردنا أن نكمل ذواتنا . ونظام الاشياء هذا هو ما ندعوه في مثل هذا السياق بالفائق للطبيعة والمقدس.[٢٤]

وفي النموذج التالي ، الخطوط المكانية التي اعتمدها الشاعر السومري في رسم صورة هبوط الآلهة إنانا على مراحل واحدتها تتبع الاخرى في تناسق منظور .



من خلال (النموذج رقم ٣) نرصد مع الشاعر السومري سبع مدن سومرية ، في كل منها معبد هجرتها إنانا ونزلت الى العالم السفلي ، ونشير هنا الى استخدام الشاعر السومري للرقم (٧) وما يمثله هذا الرقم من قيمة خاصة في الفكر العراقي القديم ، ويمكن احصاء مناسبات كثيرة يُتبرك فيها بالرقم (٧)[٢٥].

أما ما يخص البنية التركيبية للسطور (٧ الى ١٣) فانها تعتمد تناظراً موزوناً .

ولو تحققنا من المدن السبع التي مرت بها إنانا أثناء نزولها الى العالم السفلي لوجدنا ان خط الرحلة يتجه من الجنوب الى الشمال اعتماداً على المصادر المكتوبة التي اعتمدها جورج رو والتي جعلته يتاكد من تلك المصادر (بأن عدد دويلات المدن التي وجدت خلال عصر فجر السلالات في كل بلاد سومر ، لم تكن لتزيد على ١٣ مدينة وهي من الشمال الى الجنوب :

سپار ـ (كيش) ـ اكشاك ـ لاراك ـ (نفر) ـ (أدب) ـ أوما ـ لكش ـ (بادتبيرا) ـ (أوروك) (الوركاء) ـ لارسا ـ أور ـ أريدو[٢٦].

ولو تتبعنا خط الرحلة باتجاه معاكس أي من الجنوب الى الشمال لكان تسلسل المدن كالتالي ، مع ملاحظة اننا وضعنا بين أقواس تلك المدن :

١ ـ اوروك (الوركاء)
٢ ـ بادتبيرا
٣ ـ
٤ ـ أدب
٥ ـ نفر
٦ ـ كيش
٧ ـ ....

وقد سقطت من التسلسل مدينتان هما (زبالم وأكد) ، ولا نعرف سبباً لذلك (وهما تاخذان التسلسل ٣ و ٧) .

يمكننا أن نلاحظ ان الاسطورة انتقلت من ذكر ألعام الى ذكر الخاص فيما يخص أجزاء نظام الكون ، فقد مر بنا كيف ان الاسطورة بدأت سطورها الاولى بذكر خط الرحلة بين السماء (الاعلى العظيم) ، وبين العالم السفلي ، مروراً بالارض كبعد ثالث من أبعاد الرحلة . ومنذ السطر السابع تبدأ الاسطورة بعرض لتفاصيل

www.iraqinhistory.com

الامكنة من مدن ومعابد وتفاصيل اخرى تتعلق بالآلهة إنانا شخصياً

أما ما يخص البنية التركيبية للسطور (٧ ـ ١٣) فانها تعتمد تناظراً موزوناً لا يقبل الزيادة والنقصان ، كما ان السطر الواحد يضم سبع مفردات هي :

١ ـ حرف الجر في ـ يتكرر ٧ مرات في أول السطر .

٢ ـ اسم المدينة ـ يتكرر ٧ مرات بعد حرف الجر .

٣ ـ الفعل هجرت ـ يتكرر ٧ مرات بعد اسم المدينة .

٤ ـ اسم المعبد ـ يتكرر ٧ مرات بعد الفعل هجرت .

٥ ـ ونزلت ـ يتكرر ٧ مرات بعد اسم المعبد .

٦ ـ الى ـ يتكرر ٧ مرات بعد الفعل نزلت .

٧ ـ العالم السفلي ـ يتكرر ٧ مرات بعد حرف الجر الى .

١٤ ـ لقد تزينت بسبعة « نواميس »

١٥ ـ وجمعت النواميش ووضعتها في يدها

١٦ ـ كل النواميس، كانت موضوعة عند قدمها

١٧ ـ وضعت على رأسها الشوگارا Sugarra تاج السهل

١٨ ـ صففت على جبينها خصل [الشعر]

١٩ ـ أمسكت بيدها ذراعاً ومقياساً من اللازورد

٢٠ ـ شدت حول عنقها خرزات صغيرة من اللازورد

٢١ ـ علقت على صدرها توائم من حجر النونز (Nunus)

٢٢ ـ وضعت حول معصمها سواراً من ذهب

٢٣ ـ شدت حول صدرها درع « يا رجل تعال ! تعال ! »

٢٤ ـ كست جسمها بثوب (Bala) ثوب السيدات

٢٥ ـ زوقت عينيها بدهان ـ « سيأتي (الرجل) سيأتي »

٢٦ ـ ثم سارت إنانا نحو العالم السفلي

٢٧ ـ وسار وزيرها ننشوبر (Ninshubur) الى جانبها

الخـــرق والتحـــريم

لا يمكن أن يكون هنالك خرق إلا إذا وجد التحريم[٢٧]، ويقصد بالتحريم ، القانون بمعناه العرفي أو الوضعي . ولقد وضع التفكير الميثولوجي سلسلة محرمات

www.iraqinhistory.com

على الداخلين للعالم السفلي .

ويبدو من بعض النصوص انه كان محظوراً على أرواح الموتى في العالم السفلي ارتداء الثياب النظيفة أو التطيب بالعطور أو حمل السلاح أو العصا وكان يتوجب عليهم أن يكونوا حفاة ، فلا يحدثوا أي صوت[٢٨]. وهنا يفرض السؤال نفسه

لماذا أقدمت إنانا ـ وهي بملء ارادتها ـ على خرق قوانين العالم السفلي ؟

تبدأ سلسلة خروقات إنانا منذ السطر الأول من الملحمة ، أي باتخاذها قرار النزول من مقرها السماوي الى الأرض السفلى . فالأحياء لا ينزلون الى العالم السفلي ، لأنه (الموطن الخاص بالأموات)[٢٩] ولأنه (كوكو) أي الظلمات[٣٠] وهو أيضاً بموجب التسمية التي يجدها بوتيرو مفضله وهي (كو) (أوكي) . نو . كي / إرصت (أو أشار) لاتاري : بلاد اللاعودة ، أو مكان اللاعودة[٣١].

واستتبع الخرق الأول خروقات اخرى ، يبدو للباحثة انها كانت مقصودة ، فلقد جمعت إنانا النواميس في يدها ، ثم وضعتها عند قدمها ، وبدأت تتزين مثل عروس تتهيأ لزفافها ، وتشتمل النواميس على : تاج السهل ـ الشوگارا (السطر ١٧) ، الذراع والمقياس (السطر ١٩) ، قلادة اللازورد (السطر ٢٠) ، توائم النونز (السطر ٢١) ، سوار من الذهب (السطر ٢٢) ، درع الصدر (السطر ٢٣) ، وأخيراً ثوب السيدات پالا (السطر ٢٤) .

ما يسميه الشاعر السومري زينة تزينت بها إنانا ، إن هي إلا المظهر الألوهي الذي ترمز كل قطعة فيه الى ناموس معين قد يكون المقصود به « مي » الذي يصفه الباحثون بأنه « ميدان ثقافي » وفي الوقت نفسه مكسب للحياة المنظمة والمتمدنة يوجز في سمة أساسية تختصره أو تذكر به[٣٢]. وهذه السمات أو « الميات » أو « النواميس » هي من اختصاص الآلهة بل الآلهة الذين يحتفظون بها فعلًا .

وبهذا المعنى فهي تشكل المحتوى النوعي لتلك التصاميم الإلٰهية (غبش ، خور اوصورتو) ولتلك المصائر (نام ـ شيمتو) التي يعينها الآلهة لجميع الكائنات الحية وغير الحية . ولأن « مي » هذه هي بين أيدي الآلهة وحدهم ، فان كلًا منها يشير الى سلطتهم على ميدان خاص .[٣٣]

فهذه النواميس إذن هي رموز السيادة ، وبفقدانها أو التجرد منها ، بفقد الإلٰه سطوته وقدسيته ولا يعود قادراً على تادية مهماته ووظائفه[٣٤]، مما يستدعي ـ في حال فقدانها ـ أن يعلن الحرب على من سرقها أو استولى عليها بصورة من الصور ،

www.iraqinhistory.com

كما حدث ذلك بالنسبة للإله انليل الذي أعلن الحرب على الطير (زو) عندما اختطف منه نواميس السيادة ، أو كما حدث لـ (آنكي) عندما اختطفت منه إنانا هذه النواميس.[٣٥]

من جانب آخر ، فان الرقم ٧ يظهر مرة ثانية في النواميس ، وعددها (سبعة) (السطر ١٤) والتي وصفت وصفاً دقيقاً صادراً من إعجاب بهذا المظهر الالوهي ، ومقروناً بالدهشة من فعل إنانا وهي تقدم على ارتكاب محرمات العالم السفلي التي تحظر على النازلين اليه ألا يتزينوا وإلا نالتهم لعنة آلهة الموت وقضاة العالم السفلي (وهذا ما يظهر من وصية جلجامش الى انكيدو ، قبل نزول الأخير الى العالم السفلي ، حين خالف انكيدو هذه القواعد ، تمكنت الارواح من تمييزه وأخذوا بالصراخ بوجهه ، كما انهم استنشقوا رائحة العطر الذي تطيب به فتجمعوا حوله تتملكهم الرغبة بالانتقام منه[٣٦]، نقرأ في النص التالي ما جاء على لسان جلجامش وهو يحاور انكيدو:[٣٧]

اذا اعتزمت النزول الى العالم الأسفل
فسأقول لك كلمة فاتبع كلمتي
سارشدك فسرْ وفق ارشادي
لا تكتسِ بالحلة النظيفة الزاهيةِ
فتبدو نزيلًا غريباً عنهم
لا تمسح جسمك بالزيت الفاخر
لئلا يجتمعوا حولك بسبب عطره
لا ترمِ عصا في العالم الأسفل
مخافة أن تصيب بعضهم فيحيطوا بك
لا تأخذ بيدك عصا
وإلا فان الأرواح سترتجف منك
لا تلبس نعلًا في قدميك
ولا تحدث صوتاً في العالم الأسفل

وحيث لم يلتزم انكيدو بنصح سيده جلجامش ، لذلك قررت ملكة العالم الاسفل بأن لا يخرج انكيدو من ذلك العالم ، لأن سنة ذلك العالم ان من دخله لا يرجع منه.[٣٨]

www.iraqinhistory.com

٢٨ ـ فقالت إنانا المقدسة الى ننشوبر :
٢٩ ـ أنت يا عوني الدائم
٣٠ ـ يا وزيري ذا الكلمات الطيبة
٣١ ـ يا رسولي ذا الكلمات الصادقة
٣٢ ـ اني نازلة الى العالم السفلي
٣٣ ـ اني نازلة الى العالم السفلي
٣٤ ـ فاقم عليَّ المناحة في الخرائب
٣٥ ـ واقرع الطبل من أجلي في قاعة المعبد
٣٦ ـ وطف من أجلي في بيوت الآلهة
٣٧ ـ والطم عينيك من أجلي ، والطم فمك من أجلي
٣٨ ـ والطم ... الكبير من أجلي حيث ...
٣٩ ـ وتسربل من أجلي كالمتسول بثوب واحد

شـــعائر الحـــزن

في هذا المستوى من الاسطورة ، تكون إنانا على حافة العالم السفلي وهي في حالة افتراق عن ننشوبر الذي يرمز هنا الى صلة الوصل بالحياة بينما هي في حالة الانطلاق من الحياة الى الموت ، باختيارها هي ، فتوجه حديثها الى ننشوبر الذي هو عونها الدائم ووزيرها ورسولها ، وتصفه بأنه (ذا الكلمات الطيبة والصادقة) وبموجب العلاقة الطيبة بينهما ، فهي لا توجه له الأوامر (من الاعلى الى الأدنى) ، بل ترجوه أن يلتزم بوصيتها لأنها كانت تخشى (ملكة العالم السفلي اختها الكبرى وعدوتها اللدود ارشكيجال .. أن تعدمها في املاكها التي تحكمها).[٣٩]

لذلك فان وزيرها ننشوبر هو الذي سيوصل رسالة إنانا ـ رسالة الموت ، أو الوصية ـ الى العالم الأرضي ، ويكون ذلك ـ حسب أوامر إنانا ـ بوسيلتين :

ـ الوسيلة الاولى ، وتقتضي إظهار الحزن وإعلانه (السطور ٣٤ الى ٣٩) بموجب تقاليد متعارف عليها وتتضمن :

١ ـ اقامة المناحة في الخرائب (السطر ٣٤)

٢ ـ قرع الطبل[٤٠] في قاعة المعبد من قبيل الاشهار والاعلان (السطر ٣٥) .

www.iraqinhistory.com

٣ ـ اللطم على العينين وعلى الفم.[*]

٤ ـ لبس ثوب واحد أشبه بثوب المتسولين، للدلالة على ترك الزينة والانشغال بالحزن الشديد.

لقد كان اظهار الحزن نفسه شعيرة دينية واجتماعية عند السومريين، وان اتخاذ مظهر الحزن والحداد بالفعل هو الذي يشفع لادابا عند دموزي وننجشزيدا بالدخول حيث يطالع وجه آنو المنير فيصفح عنه.[٤١]

ـ أما الوسيلة الثانية التي سيتبعها ننشوبر في انقاذ إنانا، فهي التوسط لدى الآلهة وسيأتي ذكرها في المستوى التالي للاسطورة..

٤٠ ـ ثم اتجه بخطاك وحيداً نحو اي ـ كور (Ekur)، معبد انليل،
٤١ ـ وعندما تدخل اي ـ كور، معبد انليل،
٤٢ ـ ابك أمام انليل (وقل):
٤٣ ـ « أيها الأب انليل ! لا تدع ابنتك الطاهرة تموت في العالم السفلي،
٤٤ ـ لا تدع معدنك الثمين يغطيه تراب العالم السفلي،
٤٥ ـ لا تدع لازوردك الثمين يهشم الى حجر حجّار،
٤٦ ـ لا تدع بقستك تقطع الى خشب خشاب،
٤٧ ـ لا تدع العراء إنانا تموت في العالم السفلي.
٤٨ ـ واذا لم يقف انليل الى جانبك في هذه المسألة فاذهب الى اور.
٤٩ ـ وفي اور عندما تدخل في معبد ... للبلاد،
٥٠ ـ في اي ـ كشنوكال (Ekishnugal)، معبد ننا،
٥١ ـ ابك أمام ننا (وقل):
٥٢ ـ أيها الأول ننا ! لا تدع ابنتك تموت (؟) في العالم السفلي،
٥٣ ـ لا تدع معدنك الثمين يغطيه تراب العالم السفلي،
٥٤ ـ لا تدع لازوردك الثمين يهشم الى حجر حجّار،
٥٥ ـ لا تدع بقستك تقطع الى خشب خشاب،
٥٦ ـ لا تدع العذراء إنانا تموت في العالم السفلي.
٥٧ ـ واذا لم يقف ننا الى جانبك في هذه المسألة فاذهب الى اريدو.
٥٨ ـ وفي اريدو عندما تدخل معبد انكي،

www.iraqinhistory.com

٥٩ ـ ابك أمام انكي (وقل)
٦٠ ـ « أيها الأب انكي ! لا تدع ابنتك ،
٦١ ـ لا تدع معدنك الثمين يغطيه تراب العالم السفلي ،
٦٢ ـ لا تدع لازوردك الثمين يهشم الى حجر حجّار ،
٦٣ ـ لا تدع بقستك تقطع الى خشب خشاب ،
٦٤ ـ لا تدع العذراء إنانا تموت في العالم السفلي ،

الثالـــوث الإلهـــي

ان جميع ضرورات الحياة ، عامة كانت أو فردية ، تستمد قيمتها من كونها تعرب عن ارادة الآلهة الصريحة ، وكانت هذه الالتزامات أو النواهي تشمل جميع الاصعدة[٤٢] ولا يتردد مؤلف القصص من عرض الآلهة وهم يحملون نقاط الضعف الانسانية ، وهو يتركنا نحمل انطباعاً بأن هذه هي الطريقة التي كان ينظر بها اليهم . فبالرغم من انهم كانوا أقوياء ، إلا ان هناك حدوداًلقوتهم[٤٣]،بل وحتى لحياتهم أيضاً والتي يمكن أن تتعرض لخطر ما يستوجب التماس العون من الآلهة القادرة على الاغاثة . وهذا ما يبرر الطلب الذي تقدمت به إنانا لننشوبر لكي يتوسط لدى الآلهة بالبكاء والتوسل أمامهم واستدرار عطفهم عليها لتخليصها من الموت .. فالموت إذن لن يكون مفاجأة لأنانا ، بل هو فعل متحقق تدركه مسبقاً ، وتريد أن تجربه لغاية معينة[٤٤]. وبما انها لا تستطيع الفكاك منه بمفردها فالضرورة تحتم عليها أن تستعين بالآلهة : انليل ـ ننا ـ آنكي ليتخدموا وسائلهم في تخليصها ، ولكن باختيارهم هم وذلك واضح من حوارها مع وزيرها ، حيث تقول له (واذا لم يقف انليل الى جانبك في هذه المسألة ، فاذهب الى أور) (السطر ٤٨) . وفي أور أيضاً (اذا لم يقف ننا الى جانبك في هذه المسألة ، فاذهب الى أريدو) (السطر ٥٧) .

وكون الموت مسألة حتمية على (انانا) يوضح لنا حقيقة مهمة ، وهي ان الموت يتعرض له جميع (الاحياء) سواء كانوا آلهة أم أفراداً عاديين ، فكل الذين ينزلون الى العالم السفلي ، فانهم يتعرضون للنتيجة ذاتها ، وهي الموت . وهذا ـ حسب رأي الباحثة ـ يجعلنا نتفق مع رأي كريمر الذي يقول ان الآلهة السومرية كما هو مبين في الاساطير السومرية ، بشرية الصفات تماماً ، فقد كان أعظمها قوة

www.iraqinhistory.com

وأكثرها علماً يصور في الذهن كبشر في الهيئة والفكر والعمل ، وكانت الآلهة كالانسان تخطط وتعمل وتاكل وتشرب وتتزاوج وتؤسس الأسر . وكانت تصاب بالانفعالات وعوامل الضعف البشري .

ولكن يبقى السؤال هو : لماذا استعانت إنانا بثلاثة آلهة[٤٥] تحديداً هم كما ذكرنا (انليل ـ ننا ـ آنكي) وبذلت لهم ـ بواسطة وزيرها ـ محاولات الاستعطاف لانقاذها من الموت ؟

ويمكن الاجابة عن هذا السؤال بتعليل يتفق ونظرة السومريين للكون ، ولكن ـ قبل ذلك علينا أن نعرف علاقة هذا الثالوث الإلهي بالعالم السفلي .

وصف انليل بأنه الإله الحامي لمدينة « نفر » وأصبح ، بمعنى ما ، الإله الوطني لكل بلاد سومر ، واسم انليل يعني « سيد الهواء » الذي يفيض عظمة وحركة وحياة ... وهو القوة السماوية التي فصلت الأرض عن السماء ، أي القوة التي خلقت العالم . وجعله عباد مدينة نفرسيد البشرية وملك الملوك أيضاً .[٤٦]

وكان الإله ـ الريح « انليل » أهم إله في مجمع الآلهة السومري ، فهو الإله الذي لعب دوراً بارزاً في الشعائر والأساطير والصلوات .... كان يلقب في أقدم السجلات الواضحة بلقب « ابي الآلهة » و « ملك السماء والأرض » و «ملك البلدان جميعها » وكان الإله انليل هو الذي يعلن اسم الملك ويعطيه صولجانه وينظر اليه بعين الرضا .[٤٧]

أما الإله ـ القمر « نانا » ، الذي يعرف أيضاً باسم « سن » ، فكان على ما يرجح من أصل سامي ، وابن « نانا » الإله ـ الشمس « اوتو » وابنة « نانا » الآلهة « انانا » .[٤٨] ونقرأ في اسطورة انليل وننليل عن ولادة (ننا) في العالم الاسفل ، إذ يتقمص إنليل هيئة ثلاثة أشخاص مختلفين يمثلون ثلاثة آلهة من العالم السفلي بعد أن اصطحب ننليل معه الى العالم السفلي ، وجعلها تحمل منه ثلاثة أجنة من ثلاثة آلهة عن العالم السفلي ، اضافة الى إله القمر ننا .[٤٩]

فالإله « انليل » كما ذكرنا ، هو إله الهواء ، و « ننا » إله النور (القمر) وهو ابن الإله انليل الذي تمت ولادته في العالم السفلي ، ولكن بالرغم من اصدار إنانا أوامرها الى ننشوبر بالذهاب الى كليهما ، لكنها كانت على يقين ان كلًا من انليل وننا لن يبادرا الى نجدتها ، بينما الأب آنكي هو الذي سيقوم بمهمة انقاذها من الموت وهي متاكدة من ذلك ، وعلى ننشوبر أن يذهب الى « أريدو » مدينة « آنكي » إله

www.iraqinhistory.com

الحكمة الذي « يعرف طعام الحياة » و « يعرف ماء الحياة » الذي سيهبّ بكل تاكيد لانقاذها .[٥٠]

٦٥ ـ ان الاب آنكي سيد الحكمة

٦٦ ـ الذي يعرف طعام الحياة الذي يعرف ماء الحياة

٦٧ ـ سوف يعيدني بالتاكيد الى الحياة

علينا هنا أن نحدد الاجابة عن سؤال يجب أن يُسال ، وهو ، لِمَ لمْ يبادر « انليل » و « ننا » الى انقاذ إنانا من محنة الموت ، بينما يكون انكي أهلًا لهذه المهمة ؟ وقبل ذلك لا بد أن نعرف من يكون انكي ؟

آنكي / ماء الحياة

تصور السومريون بأن المجموعة الإلٰهية تقوم بوظائفها وتعمل على هيئة مجتمع أو « مجمع » يقوم على رأسه « ملك » . وان أهم أفراده مجموعة قوامها سبعة آلهة هم الذين يقدرون المصابر[٥١]، وقد ميزوا في هذه المجموعة الإلٰهية بين صنف الآلهة « الخالقة » وبين الآلهة غير الخالقة (وهو تصور وصلوا اليه نتيجة لآرائهم المتعلقة بنظام الكون وأصل الأشياء ، وبموجب هذه الآراء كانت العناصر الاساسية التي يتألف منها النظام الكوني هي السماء والأرض والبحر والجو)[٥٢]. وفي النصوص التي تذكر تفاصيل عملية الخلق ، نجد آنكي دائماً مسؤولًا عن الطين الصالح لتكوين الأحياء .[٥٣]

وكان يطلق عليه رب الأرض السفلى التي توصف انها هاوية المياه التي يطفو فوقها العالم الأرضي ولا يطفو فوقها العالم السفلي[٥٤]، وهو الإلٰه الثالث في مجموعة الآلهة السومرية (فهو الإلٰه « انكي » الموكل « بالعمق » أو « مياه العمق » التي تسمى في السومرية « آبسو » . وكان آنكي إلٰه الحكمة)[٥٥] واليه يعزى تنظيم الأرض حسب قرارات « انليل » الذي كان يضع الخطط العامة ويترك لانكي مهمة تنفيذها . فهو المدبر الحكيم والمجدّ الماهر الذي وصفه بوتيرو بأنه حامل لواء التمدن و (ان هذا الإلٰه يقوم بدور وكيل يخطط باتزان الاعمال والتبادلات داخل المناطق العائدة اليه ، وهذه المناطق هي الكون كله ، ومركزه بلاد الرافدين السفلى[٥٦]. ولأن جميع آليات الحياة المعقدة والمهذبة في البلاد كانت تتركز في

www.iraqinhistory.com

آنكي ، وكان هو لها المصدر والمنظم في آن واحد ، فقد عدّوه الإله خارق الذكاء ، رأوا فيه نوعاً من المهندس الفائق الذي وحده يستطيع أن يجابه كل معضلة تقنية وأن يجد لها على الفور الحل الأمثل[٥٧]، فهو ذو الاذان الواسعة الذي يعلم بكل ما له اسم ، وكان أيضاً ملقن وحامي الصناعات والحرف والفنون والآداب ، وهو حامي السحرة والمعلم العظيم والناظر الجبار الذي أخذ على عاتقه ضمان تادية العالم المخلوق من قبل انليل لواجباته بشكل مناسب ، وهو :

الاخ الاكبر للآلهة وخالق الازدهار .

وهو اذن وعقل كل البلدان[٥٨]

وبسبب من تحذيره المسبق بالطوفان ، فانه كان مسؤولًا عن ضمان نجاة زوج من الكائنات البشرية[٥٩]، وعندما اكتشف انليل السفينة (سفينة اوتونبشتم) وغضب لبقاء أحياء ، قال له الإله المحارب ننورتا

ومن غيرُ ايا (انكي) يستطيع وضع الخطط

انه ايا وحده الذي يعرف كل شيء[٦٠]

ويذهب كريمر الى نفي أية محاولة بتقصي اصول الأشياء الأساسية بالنسبة للسومريين ، سواء أكان ذلك بالنسبة للعناصر الطبيعية أم الحضارية (لان وجود كل شيء كان يُعزى الى جهود آنكي الخلاقة ، بمجرد قولهم بما يمكن إجماله بعبارة « انكي هو الذي صنعه » ، واذا ما ذكرنا اسلوب الخلق إجمالًا ، فان ذلك يتكون من كلمة الإله وأمره ولا أكثر من ذلك[٦١]. فهو :

ملك الماء الذي لا يسبر غوره

هو الرب ـ جوهره السهل وزينته

سيد المياه التي لا يسبر غورها ـ الملك آنكي

الذي يعرف كل شيء ـ الأمير القوي[٦٢]

ونسبة الحكمة لإله المياه العذبة لا تبدو عشوائية ، دون علاقة سببية ، فان الماء هو في الوقت ذاته خالق للأشياء التي تنشأ من المياه ، وهي الفكرة التي عنتها الآية القرآنية ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾[٦٣]

وتوصف شخصية الإله آنكي بالغموض والتعقيد ، فاسم آنكي يعني حرفياً « سيد الارض » .. لان الارض لا يمكن أن تثمر بدون الماء ، لذلك نجد « آنكي » يصبح إله المياه العذبة التي تجري في الانهار والقنوات التي تسيل من الينابيع

www.iraqinhistory.com

مبرراً لزيارتها ، وإذا بحارس الباب ـ بأمر سيدته ـ يقتادها من خلال أبواب العالم السفلي السبعة[٧٣] وفي كل باب من هذه الابواب ينتزع منها ثيابها قطعة قطعة رغم احتجاجاتها (حتى اذا دخلت من الباب الأخير جيء بها عارية تماماً جاثية على ركَبتيها بين يدي اريشكيجال والانوناكي « قضاة العالم السفلي » فيثبتون عليها عيونهم ، عيون الموت ، فاذا بها تتحول الى جثة)[٧٤] هامدة معلقة على وتد .

اســتنتاج :

تجد الباحثة ان السطور (٦٨ الى ١٦٨) من الاسطورة تطرح الاسئلة التالية :

١ ـ لماذا لم تصطحب إنانا وزيرها ننشوبر الى العالم السفلي ؟ واذا كان الجواب انها ارادته أن يكون وسيطاً لدى الآلهة لينقذها ، فلِمَ لم تطلب مباشرة من الآلهة ما تحتاجه منهم دون وساطة ؟

٢ ـ عند مثول إنانا أمام ملكة العالم السفلي ، لماذا لم يجر أي حوار بينهما ، كالحوار الذي جرى بين جلجامش واتونبيشتم مثلًا ؟ علماً انهما اختان وإلاهتان ، وسياق الاسطورة يدل على ان كل واحدة منهما تعرف الاخرى حق المعرفة .

٣ ـ السؤال الثالث ، والذي هو بمثابة الاجابة الضمنية عن السؤالين السابقين ، وهو ، كما جاء على لسان (الحارس نيتي) : أسألُكِ ، لماذا جئت الى أرض اللارجعة .

وجواب الباحثة عن هذه الاسئلة جواب افتراضي طبعاً ، ولا علاقة له بالدلالة الرمزية لرحلة إنانا الى العالم السفلي ، وهو ان إنانا كانت تحمل سراً من الأسرار ، لذلك لم تشأ أن تطلع وزيرها ننشوبر عليه ، بل هي أيضاً ، لم ترد أن تطلع حتى الآلهة على سرها ، ولذلك فهي مرغمة على هذا التصرف ، لكي تنتزع سراً من اختها أو ربما لكي تبوح هي بسرّ لاختها اريشكيجال .

يجوز أن يكون قد دار حوار بين الاختين ، ولكن الشاعر التزم الصمت ، لأنه أيضاً لا يريد أن يفشي ذلك السرّ، فاكتفى بذكر موتها

انشــطار الاســطورة

السطور (١٦٨ ـ ٣٤٢) تمثل مستويات جديدة من مستويات الحركة

www.iraqinhistory.com

المعاكسة في الصعود من العالم السفلي الى الارض . وفيها يتشعب الموضوع الواحد الى عناوين فرعية تلتقي كلها في الفكرة الاساسية التي تعالجها الاسطورة ، ويمكن ايجازها كالآتي :

١ ـ الوساطة التي قام بها ننشوبر لدى الآلهة .
٢ ـ اجراءات (آنكي) لانقاذ إنانا بطعام الحياة وماء الحياة.(*)
٣ ـ نهوض إنانا من الموت (السطر ٢٧٢) .
٤ ـ نقطة التحول الاولى في الاسطورة « طلب البديل عن إنانا » (السطور ٢٧٣ ـ ٢٧٤) .
٥ ـ صعود إنانا الى الارض .
٦ ـ تسليم دموزي الى شياطين العالم الاسفل (نقطة التحول الحقيقية) .

في متابعتنا لبنية النص من بداية الاسطورة وحتى (السطر ٣٤٢) ، تجد الباحثة ان النص ينقسم بوضوح الى قسمين : القسم الأول بنزول إنانا الى العالم السفلي وينتهي بموتها ، والقسم الثاني يبدأ بصعودها من العالم السفلي وينتهي بموت دموزي .

القسم الأول من النص يستغرق السطور (١ ـ ١٦٧) أي بمعدل ١٦٧ سطراً الثاني يستغرق السطور (١٦٨ ـ ٣٤٢) أي بمعدل ١٧٤ سطراً

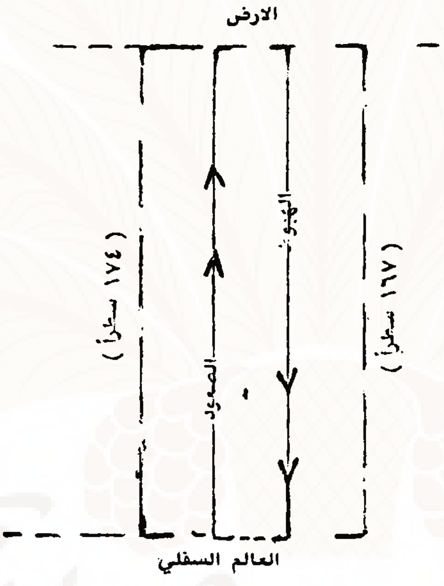
وبمعاينة فاحصة نجد ان عدد السطور ينقسم على الرحلتين بعدد متساوٍ تقريباً ، النصف الأول لرحلة النزول ، والنصف الثاني لرحلة الصعود ، هذا يعني ان هناك علاقة وثيقة بين لغة الاسطورة كشكل ، وبين الموضوع كدلالة ، وان الزمن اللغوي جزء من محتوى القضية .

وهذا يقرب الباحثة من مسألة جديرة بالملاحظة ان الشاعر يستخدم اللغة كما لو انه يستخدم الرياضيات ، هو حريص أن يقيم موازنة حسابية بين الكم اللغوي وبين الزمن المنظور لايقاع النص . فاللغة أداة حسوبية تعكس حسابات المكان والزمان بذلك يجب أن تسير بخط يوازي خط المضمون الحكائي (السردي) للنص الاسطوري .

وقد يكون هذا الاسلوب نمطاً خاصاً في التعبير لدى الانسان العراقي ، وبالاستناد اليه قد نبرر كثرة التكرار في مواضع معينة من النص كالذي نجده في سطور القسم الثاني (١٦٨ ـ ٣٤٢) ، فكان الشاعر أراد أن تكون لغة القسم

www.iraqinhistory.com

الثاني مساوية للغة القسم الأول طالما انهما تعبران عن حركة متساوية هي الخط الموصل بين الأرض والعالم السفلي : صعوداً وهبوطاً كما في المخطط التالي :



لا بد أن نتوقف عند السطور (٢٧٣ ـ ٢٧٧) وهي السطور التي يطلب فيها من إنانا أن تاتي ببديل لقاء خروجها من العالم السفلي ، وهي ـ في نظر الباحثة ـ تمثل انتقالة سببية وبنيوية بالنسبة لمعمار الاسطورة بتركيبتها (الطبقية) من جهة ، وبتركيبتها الحكائية (السردية) من جهة اخرى ، وهذه الانتقالة إن هي إلا الصيغة (الادماجية) لمستويات الاسطورة ، مما يجعل بعض الباحثين يفسرون انشطار الاسطورة بأنه قد يشير الى الأصل الشفاهي لمكونات الاسطورة قبل أن تدون في زمن لاحق .

يفسر حنون فكرة « البديل » على انها ضرورة من ضرورات معالجة فكرة الموت في الاسطورة . وبما ان الآلهة لا يتعرضون للموت (لذلك كان على الاسطورة أن تعالج فكرة « موت الآلهة » وتقرر بالتالي ان الموت الذي لاقته « إنانا » في العالم الأسفل ، لم يكن ليشبه موت البشر ، إذ ان الفارق الكبير بينهما ، هو ان موت البشر ـ كما اعتقد به سكان العراق القدماء ـ كان يعني انفصال الروح (الاطيمو) عن الجسد بينما لم يحدث هذا للآلهة إنانا[٧٥]. وبذلك أضاف الفكر الاسطوري الى

www.iraqinhistory.com

نواميس العالم الاسفل شرطاً جديداً يقضي بالسماح لأنانا بالخروج ، ولكن بعد الاتيان ببديل عنها يحل محلها « دعها تقدم شخصاً بديلًا عنها »[٧٦].

الفكرة التي تعالجها الاسطورة هي فكرة « الموت » عموماً وفكرة « موت الآلهة » بشكل خاص ، كما ذكرنا ، وضمن هذا الاطار ، تتعدد بؤر الصراع وتسير في ثلاثة محاور : الأول هو محور الصراع بين إنانا ـ اريشكيجال . الثاني هو محور الصراع بين إنانا ـ دموزي ، والمحور الثالث هو محور الصراع بين (دموزي ـ وشياطين العالم السفلي) ، أو (دموزي ـ اريشكيجال) .[٧٧]

وكل محور من هذه المحاور على وفق التركيبة التالية

البطل ← الشخصية المانحة (المخلص) ← المساعد (الوسيط)

كما في المخطط التالي :

البطل	الشخصية (المساعدة)المساعد	(الوسيط)
إنانا	انكي (إله الماء)	ننشوير (وزير)
دموزي	أوتو (إله الشمس)	كيشتون ـ انا (أخت)
اريكشيجال	الكالا (آلهة العالم السفلي)	نيتي (حارس)

ويشكل موت دموزي واختفاؤه في العالم السفلي ، نقطة التحول الأساسية في انشطار الاسطورة .

ويدعم هذا الرأي ما يقول كريمر من انه عندما (وصلت إنانا والشياطين الى كولاب في مدينة الوركاء ، وكان ملك هذه المدينة الإله ـ الراعي « دموزي » الذي بدلًا من البكاء على هبوط زوجته الى العالم السفلي ارتدى جبة فخمة وجلس متربعاً على عرش)[٧٨] فاستشاطت « إنانا » غضباً ، ونظرت اليه بـ « عيون الموت » وسلمته الى الشياطين ، فبدأ « دموزي » بالتضرع الى الإله ـ الشمس « أوتو » لكي ينقذه ، ولكن في هذا الموضع من الاسطورة ، تنتهي الالواح ، بيد اننا وقفنا على النهاية المحزنة لدموزي من قصيدة غير معروفة ولم تكن في الواقع جزء من اسطورة (نزول

www.iraqinhistory.com

« إنانا » الى العالم السفلي) ولكنها على صلة وثيقة بها من حيث الجوهر ، ولم يجمع النص الكامل إلا في وقت قريب .[٧٩]

أما كونتينو ، فينفي الموت عن « دموزي » استناداً الى رواية تقول انه كان يقسم حياته بين مرافقة الآلهتين[*]، فيقضي نصفها في العالم السفلي ، حيث تمضي الطبيعة الشتاء نائمة ، ويقضي النصف الآخر « الربيع » على الأرض .[٨٠]

لكن اوبنهايم الذي يصف دموزي بأنه شخصية كهنوتية ، ويرى ان قضية موته لم تحسم حتى الآن (حيث اتصف موته واختفاؤه بالحداد المتميز بمناحات حزينة قامت بها طبقة معينة من سكان بلاد ما بين النهرين الأولى ، وان قضاءه وقدره يعتبران الموضوع الرئيسي لمادة مهمة جاءت من نصوص دينية سومرية ستبقى قيد المناقشة)[٨١].

وذهب آخرون الى ان ذهاب دموزي الى العالم الأسفل كان ضرورياً للافراج عن إنانا[٨٢]، ووصف بأنه (لم يبق في ضمير العباد مجرد ضحية مسكينة ، بل تحول الى بطل ، فهو شريك في ملحمة الفداء ، وطرفاً هاماً لا تكتمل الملحمة دونه)[٨٣].

وهذا ينسجم مع ما يؤكده موسكاتي على ان إنانا كانت هي السبب في موت دموزي ، مستنداً الى ما ورد في ملحمة جلجامش من كلام على لسان جلجامش وهو يعير إنانا بخيانتها لعشاقها (ان تموز حبيب شبابك ، كتبت على الناس بكاءه عاماً بعد عام)[٨٤].

www.iraqinhistory.com

انشطار الاسطورة (بنية مزدوجة)

(رحلة) إنانا الى العالم السفلي	(اختطاف) دموزي الى العالم الاسفل
١ ـ إنانا (تقرر) الهبوط الى العالم السفلي	١ ـ دموزي (يرفض) الهبوط الى العالم السفلي
٢ ـ إنانا تصطحب نفشوبر (الوزير)	٢ ـ دموزي يصطحب كيشتن ـ أنا (اخته)
٣ ـ إنانا (تخرق) قوانين العالم السفلي (ارتداء النواميس السبعة)	٣ ـ دموزي (يخرق) قوانين الحزن على إنانا (يلبس أبهى حلة ويجلس على عرشه)
٤ ـ إنانا (تهبط) سلالم العالم السفلي	٤ ـ دموزي (يهرب) في عدة أماكن
٥ ـ إنانا (تتضرع) لثلاثة آلهة مرة واحدة	٥ ـ دموزي (يتضرع) ثلاث مرات لإله واحد
٦ ـ إنانا (تتعرض للاوبئة) من شياطين العالم السفلي	٦ ـ دموزي (يتعرض للتعذيب) من شياطين العالم السفلي
٧ ـ الإله (آنكي يستجيب) لتخليص إنانا	٧ ـ الإله (أوتو يستجيب) لتخليص دموزي
٨ ـ إنانا تتعرض للموت (الموت اختيار)	٨ ـ دموزي يتعرض للموت (الموت قسري)
٩ ـ الحركة الاخيرة من العالم السفلي باتجاه الأعلى (من الحالة السكونية الى الحالة الحركية / الانبات)	٩ ـ الحركة الاخيرة من الأعلى باتجاه العالم السفلي (من الحالة الحركية الى الحالة السكونية / الحصاد)

www.iraqinhistory.com

هوامش
(إنانا - عشتار/الأسم والدلالة

١ - رايلي، كافين، الغرب والعالم، ترجمة عبدالوهاب المسيري، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت، ١٩٨٨)، ص ٧٧

٢ - جاكوبسن، ما قبل الفلسفة، ص ١٤٧

٣ - م.ن، وينظر عبدالواحد، فاضل، عشتار ومأساة تموز، ص ٩.

٤ - فرانكفورت، ما قبل الفلسفة، ص ١٦

٥ - م.ن، ص ١٦

٦ - م.ن، ص ١٧

٧ - ينظر نفسه، ص ١٧

٨ - حبي، يوسف، الانسان في وادي الرافدين، الموسوعة الصغيرة، منشورات دار الجاحظ، (بغداد، ١٩٨٠)، ص ٩.

٩ - فريزر، جيمس، أدونيس، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، دار الصراع الفكري، (بيروت، ١٩٥٧)، ص ٩.

١٠ - م.ن، ص ٩.

١١ - م.ن، ص ٣٨

١٢ - عبدالواحد، فاضل، عشتار ومأساة تموز، ص ٢١

١٣ - السواح، فراس، لغز عشتار، دار الغربال، ط ٢، (دمشق، ١٩٨٦)، ص ٤١.

١٤ - عبدالواحد، فاضل، عشتار ومأساة تموز، ص ٢٢

١٥ - سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر (القاهرة، بلا)، ص ٢٥٦

١٦ - بوتيرو، بلاد الرافدين، ترجمة الأب البير أبونا، مراجعة د. وليد الجادر، سلسلة المائة كتاب، الثانية، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، ١٩٩٠)، ص ٢٦٣

١٧ - جان بوتيرو، ص ٢٥٦

١٨ - اوبنهايم، بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي عبدالرزاق، دار الشؤون الثقافية، ط ٢، (بغداد، ١٩٨٦)، ص ٤٦.

١٩ - الشوك، علي، من روائع الشعر السومري، منشورات دار الجمل، (بيروت، ١٩٩٢)، ص ٥ - ٦

٢٠ - الشوك، علي، من روائع الشعر السومري، ص ٦

٢١ - كونتينو، جورج، الحياة اليومية، ص ٤١١.

٢٢ - باقر، طه، ملحمة جلجامش، ص ٩٣.

www.iraqinhistory.com

٢٣ ـ السواح ، فراس ، لغز عشتار ، ص ٢٧
٢٤ ـ م . ن ، ص ٢٧
٢٥ ـ كونتينو ، ص ٤١٧ .
(*) كور تعني كور الأرض . وقد وصفت سومر على انها كوركال أي الارض العظيمة وهي تشابه الى حد معين العظيم الأسفل . وهي بهذا المعنى تطابق معنى كلمة (العالم السفلي) (ينظر كريمر / الاساطير السومرية ، ص ١٢٢) .
٢٦ ـ بوتيرو ، جان ، بلاد الرافدين ، ترجمة الأب البير أبونا ، ص ٢٦٣
٢٧ ـ باقر ، طه ، ملحمة جلجامش ، ص ٨٧ .
٢٨ ـ م . ن ، ص ٨٩ .
٢٩ ـ باقر ، طه ، الملحمة ، ص ٩٣ .
٣٠ ـ لابات ، رينيه ، المعتقدات الدينية ، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧
٣١ ـ السواح ، فراس ، لغز عشتار ، ص ٥٣ .
٣٢ ـ م . ن ، ص ٥٣ .
٣٣ ـ م . ن ، ص ٥٣ .
٣٤ ـ الحوراني ، البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الاسيوي القديم ، دار النهار للنشر ، (بيروت ، ١٩٧٨) ، ص ٢١٩
٣٥ ـ م . ن ، ص ٢١٩
٣٦ ـ كونتينو ، ص ٤١٦
٣٧ ـ السواح ، لغز عشتار ، ص ٢٤
٣٨ ـ حنون ، نائل ، انانا ، مجلة سومر ، جـ ١ ـ ٢ ، المجلد ٣٤ ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٧٨
٣٩ ـ م . ن ، نفس الصفحة .
٤٠ ـ حنون ، نائل ، مجلة سومر ، ص ٣٧
٤١ ـ حنون ، نائل ، مجلة سومر ، (مصدر سابق) ، ص ٣٨
٤٢ ـ م . ن ، الصفحة نفسها .
٤٣ ـ كريمر ، طقوس الجنس المقدس عند السومريين ، ترجمة نهاد خياطة ، ط ٢ (سوريا ، ١٩٨٧) ، ص ٨٩ .
٤٤ ـ كريمر ، المصدر السابق ، ص ٨٩ .
٤٥ ـ م . ن ، ص ٨٨ .
٤٦ ـ فريزر ، جيمس ، أدونيس ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، دار الصراع الفكري ، (بيروت ، ١٩٥٧) ، ص ١٠ ـ ١١
٤٧ ـ كريمر ، السومريون ، ص ٢٣٣

www.iraqinhistory.com

٤٨ ـ م . ن ، ص ٢٣٦
٤٩ ـ م . ن ، ص ٢٥٢
٥٠ ـ م . ن ، ص ٢٣٦
٥١ ـ لقد اعتمدنا نقل النص عن كتاب كريمر ، السومريون ، ص ٥٣ ، الذي ترجمه الدكتور فيصل الوائلي ، يلاحظ ان هناك فروقات في الترجمة بينه وبين الاستاذ نائل حنون الذي ترجمه عن المصدر الانكليزي ، ينظر مجلة سومر ، جـ ١ ـ ٢ ، المجلد ٣٤ ، (بغداد ، ١٩٧٨) ، ص ٣٥
٥٢ ـ اوبنهايم ، ص ٢٥٨
٥٣ ـ لاحظ كلمة « Godda » التي تقابلها كلمة (جَدّ) في العربية والتي تعني الحظ . (الباحثة)
٥٤ ـ شمتو / يفسرها اوبنهايم بانها (ما يوهب كل فرد من خلاله ، منذ الولادة ، بشخصية ونصيب يتميز إما بحسن الطالع أو بسوء الطالع .. ويحددا هذا النصيب اتجاه ومزاج حياة الفرد الكلية .. وانه ليس بامكان الفرد الحصول عليه وانما هو في حاجة اليه) وتجد الباحثة في هذا التفسير ما يدفع الى المقارنة بين شمتو ، وبين السمة أو السمات في العربية والتي تؤدي نفس المعنى .
٥٥ ـ اوبنهايم ، ليو ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٢٥٩
٥٦ ـ م . ن ، ص ٢٥٩
٥٧ ـ كونتينو ، الحياة اليومية ، ص ٤٢٠
٥٨ ـ روثن ، مرغريت ، علوم البابليين ، تعريب وايضاحات د. يوسف حبي ، دار الرشيد للنشر ، (بغداد ، ١٩٨٠) ، ص ١٠٠
٥٩ ـ كونتينو ، الحياة اليومية ، ص ٤٢٩
٦٠ ـ روثن ، مرغريت ، علوم البابليين ، ص ٩٧ .
٦١ ـ م . ن ، ص ٩٧ .
٦٢ ـ الحوراني ، يوسف ، البنية الذهنية الحضارية ، ص ٢٢٢
٦٣ ـ م . ن ، ص ٢٢٣
٦٤ ـ كريمر ، الاساطير السومرية ، ص ١١٠
٦٥ ـ كريمر ، أساطير العالم القديم ، ترجمة أحمد عبدالحميد يوسف ، مراجعة د. عبدالمنعم أبو بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة ، ١٩٧٤) ، ص ٩٤
٦٦ ـ م . ن ، ص ٩٤ .
٦٧ ـ كريمر ، الاساطير السومرية ، ص ١٠٩
٦٨ ـ م . ن ، ص ١١١ .

www.iraqinhistory.com

٦٩ ـ م . ن ، ص ١١٢
٧٠ ـ الشوك ، علي ، من روائع الشعر السومري ، ص ٦ ، (التصدير) ديانا ولكشتاين .

هوامش
(رحلة إنانا الى العالم السفلي)

١ ـ فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، فرع بغداد ، ١٩٦٠ ، ص ٢٦٤
٢ ـ م . ن ، ص ٢٦٤
٣ ـ م . ن ، ص ٢٦
٤ ـ ينظر كريمر ، السومريون ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠
٥ ـ م . ن ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥
٦ ـ بوتيرو ، جان ، ص ٣٣٧
٧ ـ م . ن ، ص ٣٣٧
٨ ـ فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٥
٩ ـ ينظر كريمر ، السومريون ، ص ١٥٠
١٠ ـ ينظر فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٧ ـ ٢٨
١١ ـ م . ن ، ص ٢٨
١٢ ـ م . ن ، ص ٢٨
١٣ ـ م . ن ، ص ٢٧ ـ ٢٨
١٤ ـ ان سقوط الاجسام شاقولياً من الاعلى الى الأسفل يشير الى قانون نيوتن في الجاذبية .
١٥ ـ ينظر السواح ، مغامرة العقل الاولى ، ص ٦٣
١٦ ـ بوتيرو ، بلاد الرافدين ، ص ٣٤٢
١٧ ـ م . ن ، ص ٣٤٣
١٨ ـ ينظر كريمر ، السومريون ، ص ١٥٣
١٩ ـ تشير الباحثة هنا الى ان عملية صعود إنانا من العالم السفلي الى الارض كانت في نفس الطريق الذي سلكته في هبوطها من الارض الى العالم السفلي ، وبذلك تكون مسافة الصعود وجغرافيتها ، هي نفس مسافة الهبوط وجغرافيتها أيضاً ، والفارق الوحيد هو اتجاه الحركة من الأعلى الى الأسفل في الهبوط ومن الأسفل الى الأعلى في الصعود .
٢٠ ـ ينظر (الخرق والتحريم) الذي سناتي على ذكره في مبحثنا هذا .
٢١ ـ كونتينو ، الحياة اليومية ، ص ٤٥٩

www.iraqinhistory.com

٢٢ ـ م . ن ، ص ٤٥٩ .
٢٣ ـ بوتيرو ، جان ، بلاد الرافدين ، ص ٢٥٦
٢٤ ـ م . ن ، ص ٢٤٦
٢٥ ـ لم نجد حتى الآن جواباً شافياً حول استخدامات الارقام ودلالاتها ، وترى الباحثة ان كتب الفلك هي التي تجيب عن هذه الالغاز أكثر من غيرها ، أما ما ورد في بعض المصادر من تأويلات حول الرقم ٧ ، والرقم ثلاثة ، فلم نجد فيها ما يقنعنا .
٢٦ ـ رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٨١
٢٧ ـ لا يمكن تصور النظام كفكرة أو كمفهوم إلا اذا كان هناك « خرق » . النظام هو بمثابة القانون الذي يرتب الابجديات بتوافق بين الفرد والطبيعة والكون .
٢٨ ـ حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت ، ص ١٢٠
٢٩ ـ كريمر ، السومريون ، ص ٣٣٧
٣٠ ـ بوتيرو ، جان ، بلاد الرافدين ، ص ٣٩٧
٣١ ـ بوتيرو ، جان ، بلاد الرافدين ، ص ٣٣٧
٣٢ ـ م . ن ، ص ٢٩٢
٣٣ ـ م . ن ، ص ٢٩٢
٣٤ ـ ان شيئاً يدعى (لوح القدر) يلعب دوراً مهماً في أساطير متعددة وان امتلاك هذا اللوح من الشؤون الخاصة بالآلهة ، والإله الذي يمتلك هذه الالواح يملك القوة التي تمكنه من السيطرة على نظام الكون ، ويظهر ان كلمة [مي] السومرية تحمل القوة نفسها التي يتميز بها من يمتلك اللوح الاكدي « لوح القدر » . [ينظر صموئيل هوك ، الاساطير ، ص ١٦] .
٣٥ ـ ينظر كريمر ، الاساطير السومرية ، اسطورة إنانا وآنكي ، نقل فنون الحضارة من اريد الى إرك ، ص ١٠٧ ، ورينيه لابات ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين حول اسطورة زو أو أنزو ، ص ٩٧
٣٦ ـ حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت ، ص ١٢٠
٣٧ ـ باقر ، طه ، ملحمة جلجامش ، اللوح الثاني عشر ، ط ٥ ، ص ١٧٤
٣٨ ـ باقر ، طه ، الملحمة ، ص ١٧٤
٣٩ ـ كريمر ، اساطير العالم ، ترجمة د. أحمد عبدالحميد يوسف ، مراجعة د. عبدالمنعم أبو بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ١٧
٤٠ ـ ينظر ليو اوبنهايم ، ص ٢٢٣
(*) اللطم ، بمعنى الضرب الذي يقترن بحالة الحزن ويكون عادة على الوجه أو العينين أو الرأس أو الصدر أو الفخذين ، ولا تزال هذه العادة موجودة لدى العراقيين وخاصة في حال موت أحد أفراد العائلة أو الاقارب .

www.iraqinhistory.com

٤١ ـ نريل ، عدنان ، برهات تاريخية ، ص ٤٨
٤٢ ـ بوتيرو ، جان ، بلاد الرافدين ، ص ٢٧٧
٤٣ ـ كونتينو ، الحياة اليومية ، ص ٣٤٧
٤٤ ـ كريمر ، السومريون ، ص ١٥٥
٤٥ ـ لا تستبعد الباحثة أن يكون الاستعانة بثلاثة آلهة ، يقع ضمن الفكرة القائلة بقوة العدد ثلاثة والتي اعتقد بها سكان العراق القدماء .
٤٦ ـ رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٣٣
٤٧ ـ كريمر ، السومريون ، ص ١٥٧
٤٨ ـ كريمر ، السومريون ، ص ١٦٣
٤٩ ـ انظر كريمر ، الأساطير السومرية ، ص ٧٠
٥٠ ـ كريمر ، السومريون ، ص ٢٠٥
٥١ ـ كريمر ، صموئيل نوح ، من ألوح سومر ، ص ١٥٥
٥٢ ـ م . ن ، ص ١٥٦
٥٣ ـ الحوراني ، البنية ، ص ٢٠٢
٥٤ ـ كونتينو ، الحياة اليومية ، ص ٣٣٥
٥٥ ـ كريمر ، من الواح سومر ، ص ١٧٨
٥٦ ـ بوتيرو ، بلاد الرافدين ، ص ٢٩٠
٥٧ ـ م . ن ، ص ٢٩٤
٥٨ ـ رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٢٥
٥٩ ـ كونتينو ، الحياة اليومية ، ص ٤١٢ .
٦٠ ـ الحوراني ، البنية ، ص ٢٠٢
٦١ ـ كريمر / السومريون ، ص ١٦٢
٦٢ ـ كريمر / الاساطير السومرية ، ص ١٠٥
٦٣ ـ الحوراني ، البنية ، ص ٢٠٢
٦٤ ـ رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٢٤
٦٥ ـ رو ، جورج ، العراق القديم ، ص ١٢٤
٦٦ ـ م . ن ، ص ١٢٤
٦٧ ـ اوبنهايم ، ص ٢٣٧
٦٨ ـ كونتينو ، الحياة اليومية ، ص ٢٧٧
٦٩ ـ كريمر ، الاساطير السومرية ، ص ١٠٢
٧٠ ـ فراي ، تشريح النقد ، ص ١٨٥

www.iraqinhistory.com

٧١ ـ م . ن ، ص ٣٠٤

٧٢ ـ السواح ، فراس ، مغامرة العقل الاولى ، ص ٣١١

٧٣ ـ كريمر ، اساطير العالم القديم ، ص ٨٧ .

٧٤ ـ م . ن ، ص ٨٧ .

(*) ينظر موضوع (آنكي ماء الحياة) الذي مرّ ذكره في هذا الفصل .

٧٥ ـ فكرة « البديل » ، هي التي يسميها فريزر وبعض الباحثين بـ (اسطورة الإله الميت) أو (الإله المختفي) أو (اسطورة الظهور والاختفاء) ويقابلها في الطبيعة (الموت والانبعاث) أو (الانبات والحصاد) . ينظر فريزر في كتابه (أدونيس) ، مصدر سابق . وينظر اليها السواح في كتابة مغامرة العقل الاولى (سفر الإله الميت) ، وينظر أيضاً (الحوراني) في كتابه البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسط الاسيوي القديم ، في موضوع (الصراع مبدأ وجود) .

٧٦ ـ حنون ، نائل ، عقائد ما بعد الموت ، ص ٥٩ .

٧٧ ـ عبدالواحد ، فاضل ، عشتار ومأساة تموز ، ص ١٩٩ ، السطر ٢٧٧

٧٨ ـ كريمر ، السومريون ، ص ٢٠٦

٧٩ ـ ينظر كريمر ، السومريون ، ص ٢٠٧ و ٢٠٨

(*) إننا واريشكيجال .

٨٠ ـ كونتينو ، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ، ص ٣٣٥

٨١ ـ اوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٢٤٦

٨٢ ـ الحوراني ، يوسف ، البنية الذهنية الحضارية ، ص ٢١٤

٨٣ ـ م . ن . ص ٢١٥

٨٤ ـ ينظر موسكاتي ، ص ٢٥٩ ، وطه باقر ، الملحمة .

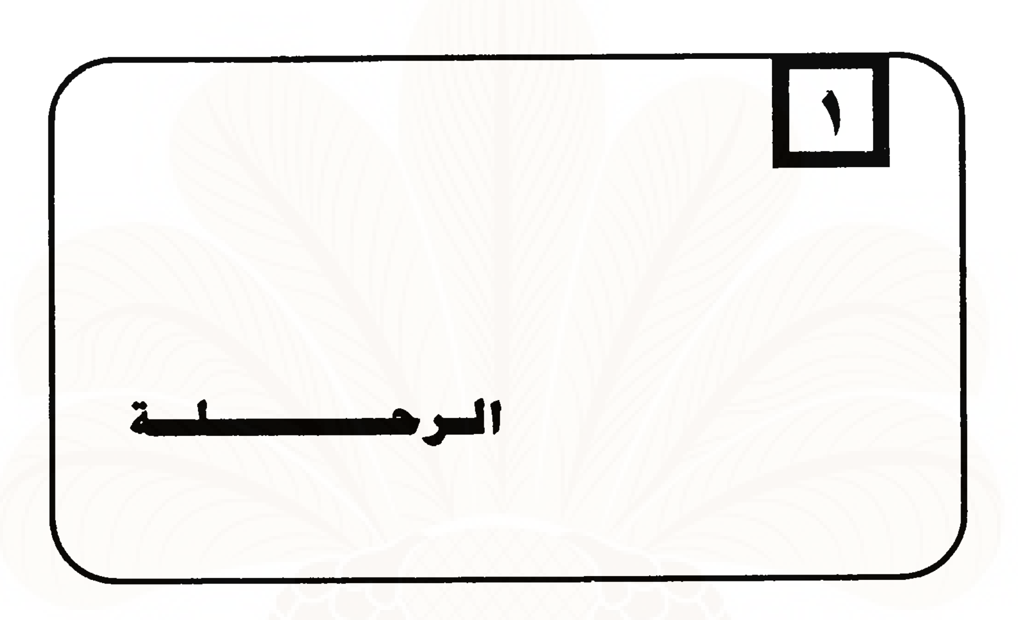
www.iraqinhistory.com



الفصل الرابع

الرحلة والرحلة الخيالية

www.iraqinhistory.com



١

الرحلة

النماذج الأربعة ـ التي اختارتها الباحثة لتكون موضوعة البحث ـ تقع تحت باب « أساطير الرحلات » إذ أخذنا بنظر الاعتبار ان الرحلة ، أو السفر ، أو الاغتراب ، هو القاسم المشترك الذي يضعها في هذا الاتجاه بشكل عام .

هذا التبويب يدفعنا الى تلمّس معنى الارتحال والتعرف على مدلولاته بحيث نكون أكثر قرباً من حقيقة هذه الأسفار والدوافع الكامنة وراءها واتجاهاتها ووسائلها ، وتجسدها في الزمان والمكان ومصائر أبطالها والهدف ، أو الأهداف ، الذي تحقق من كل رحلة ..

اقترن معنى « الارتحال » بـ « الوسيلة » التي تنقل المسافر من مكان الى مكان آخر ، ثم ابتعد المعنى عن الأصل ، وصار يطلق على « السير » و « الانتقال » من مكان الى آخر . يقول ابن منظور :

الرحّالة أكبر من السرج وتغشّى بالجلود ، وتكون للخيل والنجائب من الابل .. والرحّالة سرج من جلود ليس فيه خشب كانوا يتخذونه للركض الشديد ، ولجمع الرحائل . والرّحْل رحل البعير ، وهو أصغر من القتب ، ورحَلَ البعيرَ يرحله رِحلة : شد عليه أداته ، وناقة رحيلة ، قوية شديدة السير ، وارتحل البعير رحلة : سار فمضى ، ثم جرى ذلك في المنطق حتى قيل ارتحل القوم من المكان ارتحالًا ، ورحل عن المكان

www.iraqinhistory.com

يرحل وهو راحل من قوم رِحل : انتقل . والرحلة اسم للارتحال للسير .[١]

وفي المفهوم العام ، تمثل الرحلة (انجازاً أو فعلًا فردياً ، أو جماعياً ، لما يعنيه اختراق حاجز المسافة وإسقاط الفاصل المعين بين المكان والمكان الاخر[٢]. ويرتبط هذا الانجاز بهدف معين (يجاوب هذا الهدف ارادة الانسان ، وحركة الحياة على الأرض ، بشكل مباشر أو غير مباشر[٣]. ويرى بعض الباحثين (ان الرحلة قد رسخت كل العوامل والمفاهيم التي بنيت عليها مسألة وحدة البشر على الأرض ، بل لقد فجرت في الانسان استشعار المصالح المشتركة التي وثقت عُرى هذه الرحلة على الأرض ، ومن غير الرحلة ينفرط عقد هذه الوحدة وتتضرر حركة الحياة ومصيرها المشترك)[٤].

ويرى آخرون ان « اكتشاف آفاق جديدة » هو الذي يدفع الانسان الى البحث الدائب عن نفسه في هذا العالم الكبير (وبذلك تشكل الرحلة لديه جاذبية المكان الآخر دون أن يكون ذلك مرتبطاً بكون الطبيعة أكثر جمالًا ، ولكنه يعود الى ان كل شيء يبدو لنا جديداً ، وانه يفاجئنا ، ويتجلى لنا في ثوب من البكارة)[٥].

وقد تكون الرحلة هواية تشبع حاجة في نفس الانسان ، وقد تكون احترافاً يخدم حاجة الانسان ، ولكنها تكون في الحالتين ـ استجابة مباشرة لحوافز ودوافع محدودة تدعو بكل الالحاح للانتقال والحركة من مكان الى مكان آخر وصولًا الى غاية مباشرة أو تحقيقاً لهدف معين .[٦]

الرحلة الخيالية

لعل الجدير بالذكر في موضوع أساطير الرحلات ، هو ان الرحلة الخيالية ، لا تقل أهمية عن الرحلة الفعلية ، لأن كلتيهما تنتهي الى مقولة ان المعرفة بالذات تتأصل عن طريق المعرفة بالآخر[٧]. ولقد تناول الفلاسفة وعلماء النفس وبعض النقاد هذه الظاهرة . وهي ظاهرة ما أخلقها بعناية الناقدين ، وبدراسة المؤرخين للفن والأدب . تلك الظاهرة ، هي ما أطلق عليها بدوي اسم « الاغتراب الروحي »[٨]. وعنى بالاغتراب الروحي (هذه الحالة الوجدانية العنيفة القوية التي يشعر الأديب فيها ، أو صاحب الفن ، بحاجة ملحة الى الفرار من البيئة التي فيها يعيش ، الى بيئة اخرى جديدة ، فيها يحيا ما فيها من حياة ، ويحس بما يختلج في نفسه من مشاعر وأحاسيس ، ولكن هذا الاحساس ، وتلك الحياة ، ليسا حقيقيين ، وانما متخيلان[٩].

www.iraqinhistory.com

أما عن الكتاب الذين عُنوا بالكتابة في أدب رحلات الخيال ، فان مترجم الكوميديا الإلٰهية يدعوهم بـ (كتاب الرؤيا) أو (المشاهدة)[١٠] ويقول عنهم انهم جماعة (وصفوا الحياة في عالم ما بعد الحياة)[١١].

يؤمن كاوفمان ان هناك عالمين : في الآخر منهما ، يكمن الخلود والحرية والإله . ومثل هذا الايمان بالعالم الآخر هو عادة علامة على الاغتراب عن هذا العالم ، وعن المجتمع الانساني المعين ، وعن ذات الانسان التجريبية[١٢]، والاغتراب في رأيه (ليس مرضاً ، كما انه ليس نفحة علوية ، ولكنه ، شئنا أم أبينا ، سمة جوهرية للوجود الانساني)[١٣]. وان التجارب التي تربط مفهوم الاغتراب بأوسع المعاني (غالباً ما يعتقد انها سمات مميزة لعصرنا ، أو للمجتمعات الرأسمالية ، ولكننا نرى انها بالفعل تصادفنا كثيراً في العصور الغابرة وفي مجتمعات غير رأسمالية)[١٤].

وأكثر العلاقات التي يوليها فروم اهتمامه في مناقشته للاغتراب ، هي علاقة الانسان بنفسه وبالطبيعة وبالمجتمع في أبعاد مختلفة

ويقرر فروم ان « جوهر الانسان .. يتمثل في التناقض الكامن في وجوده (أي) انه جزء من الطبيعة إلا انه يتجاوزها باعتباره يملك ناصية العقل ووعي الذات » . ويشير الى خروج الانسان من حالة الوحدة مع العالم الطبيعي الى الوعي بذاته ككيان منفصل عن الطبيعة والبشر الآخرين المحيطين به[١٥]. ويقول فروم في تقديمه لهذا المفهوم في كتابه « المجتمع السوي » : « يقصد بالاغتراب نوعية من التجارب يعايش فيها المرء ذاته باعتبارها غريبة عنه » ، هكذا يبدو فروم كما لو كان يشير الى ان اغتراب المرء عن ذاته هو خوض لتجربة من نوع معين .[١٦]

منذ ما يزيد على قرن ونصف القرن يقول جوته على لسان برومثيوس متحدياً زيوس :

هل تتخيل من خلال المصادفة
انني قد أمقت الحياة
وأهرع الى الصحراء
لانه لم تتحقق ...
كافة الاحلام الوردية »[١٧]

يشير لويس فيوبر الى ان كلمة « الاغتراب تستخدم لوصف الطابع الذاتي لتجربة مدمرة للذات » ويقرر ان « اصطلاح الاغتراب يستخدم لنقل السمة الانفعالية

التي تصاحب أي سلوك يجبر الشخص وفي اطاره على التصرف بشكل مدمر للذات »[١٨].. ولكن المعنى الاكثر قبولًا لمصطلح الاغتراب ـ في رأي الباحثة ـ هو ما يذهب اليه كينيت كنستون قوله بأن « معظم استخدامات الاغتراب تشترك في افتراض ان علاقة أو ارتباطاً وجد من قبل ويتسم بأنه طبيعي وجيد ومرغوب فيه ، قد يعرض للفقدان »[١٩].

ويمكن القول « ان فكرة الاغتراب هي فكرة بالغة القدم يمكن ردها الى مطلع الفكر المدون »[٢٠]، لكن يبقى « الاغتراب » « أحد السمات الجوهرية للوجود الانساني ـ والنزعة الخلاقة هي أحد ردود الافعال ازاءه » وعلى هذا الاساس يقول شاخت « ان الحياة دون اغتراب ليست جديرة بأن نحياها »[٢١].

وقد مضى الشعور بالاغتراب الى أعماق أبعد غوراً في الديانات الوثنية ، وغير الوثنية ، وارتبط الاغتراب بالحكمة حتى ان الهندوكية والبوذية تسعيان الى تغريب اتباعهما عن الطبيعة وعن المجتمع وعن أجسادهم وعن أي شيء يعتبرونه ذواتهم « إذ الخلاص يمكن أن نجده بعيداً تماماً عن المجتمع في الانسحاب الكامل » طلباً لسمو الروح « الذي يتطلب ارتحالًا كاملًا في الاغتراب »[٢٢].

ويذهب بعض علماء النفس الى تعليل الاغتراب بأنه طاقة نفسية تقوم على تنشيط وتكثيف كل ما هو علوي في اللاوعي ، أو هي ميول تعبّر عن نفسها إذا ما اتيح لها وجود حرّ في الوعي ، وإن لم يتح لها ذلك ، فان الانسان يشعر بنفسه معزولًا في الكون ، لأنه لم يعد مرتبطاً بالطبيعة ، وقد فقد « هويته اللاواعية » الانفعالية مع الطبيعة .[٢٣]

ينقل والتر كاوفمان عن افلاطون قوله (لكي نحقق خلاصنا يتعين أن ندير ظهورنا للطبيعة ، وينبغي ألا نسعى للاحساس بالألفة في هذا العالم ذلك انه يتعين علينا أن نكون مقتنعين بعدم واقعيته وان نضع ثقتنا في عالم آخر يسمو فوق كافة التجارب الحسية ويقع وراء التغير والزمن[٢٤]. ومثل هذا الايمان بالعالم الآخر هو عادة علامة على الاغتراب عن هذا العالم وعن المجتمع الانساني[٢٥]. وهذا القول بدوره يعيدنا الى ما ذكره عبدالرحمن بدوي عن « الاغتراب الروحي » بأنه الفرار من بيئة الى بيئة اخرى ومعايشتها بأحاسيس ومشاعر متخيلين .[٢٦]

بالعودة الى موضوعنا أدب الرحلات في الأساطير العراقية القديمة نضع في متناول بحثنا عدداً من الأبطال الذين (قد) يمكن اعتبارهم الرواد الأوائل في مجال

www.iraqinhistory.com

« الرحلة الخيالية » أو « الاغتراب الروحي » أو الرحلة الى « عالم ما بعد عالم الحياة » ، وهؤلاء الأبطال ، هم إنانا ، جلجامش ، أدابا ، وإيتانا

ليس مهماً اختلاف التسميات أو تعددها ، ولكن المهم هو أن نبحث عن الخيط أو مجموعة الخيوط التي بها يمكننا أن ننظم النصوص الأربعة في عقد واحد بالاستناد الى المعلومات التي سبق أن أشرنا اليها في الفصول السابقة ، بالاضافة الى ما سنشير اليه من مفردات يستدعيها البحث .

الرحلة الى كل من « الفردوس » و « الجحيم » هي الفكرة الأساسية التي تتفرع منها وظائف متعددة تكوّن في مجموعها مضمون الرحلة ، والتي توزعت الأبعاد الكونية الثلاثة : الأرض ـ السماء ـ الأرض السفلى[*]، حيث كانت تقوم في زمن قديم صلة واضحة بين السماء والأرض ، وقد شاء الناس أن يصلوا عبر هذا الطريق من الأرض الى السماء ، ولكن لم تذكر المدونات التاريخية أية وسيلة ـ مادية أو غيرها ـ لعبور هذا الطريق . كذلك كانت تقع الأسفار الى العالم السفلي في نطاق امكانيات الانسان ، وقد صور الادباء هذه الأسفار بطرق مثيرة للغاية[٢٧]، ولكن ـ أيضاً ـ دون أن يشار الى وسيلة تنقلهم الى هناك ، حتى لو كانت هذه الوسيلة رمزية .

يتعين علينا أن نذكر ان « رحلة جلجامش الى دلمون » وضعت ضمن تصانيف « الملاحم » بينما وضعت الرحلات الثلاث الاخرى (رحلة كل من إنانا ـ أدابا ـ إيتانا) ضمن تصانيف « الأساطير »[٢٨].

ورغم تعدد مظاهر هذه الرحلات فان أبطالها يتفقون جميعهم في محاولاتهم القيام بأسفارهم الى « العالم الآخر » ، كي ينتزعوا سراً من سيد ذلك العالم الذي قد يكون قاطناً في الجحيم كـ (اريشكيجال) أو في الفردوس (أوتونبشتم) . و « ربما » يكون السبب الذي من أجله سافر جلجامش ، هو أن يعيد صديقه انكيدو الى الحياة[٢٩]، و (ربما) كانت الرحلة التي من أجلها رحلت (انانا) ، لاسترداد حبيبها وزوجها دموزي[٣٠]، من العالم السفلي ، و « ربما » ـ كذلك ـ كان صعود « أدابا » و « إيتانا » الى السماء ، هو للحصول على ماء الحياة وشجرة الحياة ، بالنسبة لأدابا[٣١]، والحصول على عشبة الانجاب ، بالنسبة لايتانا

ويمكن ان نلخص اتفاقهم هذا ونقصره على مفهوم محدد هو « الخلود » ، وليس المقصود بالخلود ـ في رأي الباحثة ـ أن يكون خلوداً في « العالم الآخر » ، بل المقصود هو أن يكون الخلود استمراراً على الحياة في الدنيا . وفي كل الأحوال ،

www.iraqinhistory.com

يكون التناول من مادة مجسدة ، الحد الفاصل بين الموت والخلود[٣٣]. وهذه المادة هي التي تدعى بـ « خبز الحياة » « طعام الحياة » « نبتة الحياة »

بنيـــة الشـــخصية

لا يمكن التكهن فيما اذا كانت شخصيات الرحلات (جلجامش ، انانا ، أدابا إيتانا) تحمل طابعاً شعبياً ، ولكن الذي نراه أقرب الى الحقيقة ، هو ان مثل هذه الشخصيات لا يمكن أن تكون شخصيات عادية ، إذن لا بد من التوصل الى معايير أو اعتبارات ، تشكلت هذه الشخصيات على أساسها فاتسمت بـ « التفرد » حتى كتب لها أن تخلد في ذاكرة الأجيال رغم مرور الاف من السنين

« القلق » هو السمة الواضحة التي تتسم بها شخصية البطل ، بغض النظر عن كون البطل ينتمي الى عالم الآلهة أو الى عالم البشر ، وإذ نغض النظر عن هذا التفريق فذلك لاعتبارين :

أولهما اعتبار فعل السفر الذي اشتركوا فيه ، ووجهة السفر

وثانيهما اعتبار النتيجة الحتمية التي انتهى اليها كلّ منهم وهو « الموت » كمصير حتمي لا بد من التسليم به .

إنانا / الحـــب والحـــرب

تتبين في شخصية البطل جانبين متضادين : جانب مأمون العاقبة ، وجانب خطر محظور[٣٥]. كانت « إنانا » تعبد في معبد أوروك العظيم (اي .. أنا) جنباً الى جنب مع الإله آنو ، وهي ملكة السماء ، وشخصيتها مبهمة بحكم كونها ربة الحب والحرب[٣٦]، (ويظهر لنا من انشودة ترجع الى حوالي ١٦٠٠ ق.م كيف كان من الممكن أن تكون عشتار كريمة خيّرة) :[٣٧]

هي التي كلها فرح ، انها مفعمة بالحب
مليئة بالاغراء والمفاتن والمتعة
لشفتيها حلاوة العسل ، فمها هو الحياة
بمظهرها تتفتح الضحكات
انها مزينة بأبهة وتستريح الجواهر على رأسها
ألوانها جميلة ، عيناها تدغدغان بألق
يا للآلهة انما المشورة بقربها

www.iraqinhistory.com

تمسك بيديها حظ جميع الأشياء[٣٨]

لكن وجهها لا يلبث أن يتغير، ليصبح المظهر المألوف « لسيدة الأحزان والمعارك » :[٣٩]

أنتِ رهيبة في القتال دون منافس، باسلة في المجابهة الحربية،
نار سماوية تلتهب ضد العدو، أنت التي تسببين دمار المتغطرسين[٤٠]

وهذا التناقض ذاته واضح في سلوك إنانا من خلال رحلتها الى العالم السفلي، بحيث يصعب تفسير موقفها من « دموزي » وتسليمها إياه الى شياطين العالم السفلي بعد أن كان رجل قلبها

« سوف آخذ الى هناك رجل قلبي
سوف يضع يده بيدي،
ويضم قلبه الى قلبي،
وضعه اليد باليد، ينعش الفؤاد
ضمّه القلب الى القلب ـ لذته بالغة الحلاوة »[٤١]

وسرعان ما ينقلب هذا الحب ـ ودون تفسير مسبق ـ الى شؤم على دموزي حين تسلمه الى شياطين العالم السفلي (الكالا) الذين يصاحبونها في خروجها من ذلك العالم الى مدينة (كلاب)، هناك تجد زوجها دموزي الحبيب « مرتدياً فاخر الثياب » و « جالساً فوق عرشه الرفيع » مما أغضبها حتى :[٤٢]

سلطت عليه عينها، عين الموت
نطقت الكلمة بحقه، كلمة الغضب
أطلقت صيحة في وجهه، صيحة التاثيم

ثم ما تلبث، بعد ذلك، أن تبكيه وتخلده بأرق المراثي، ويشاركها أهل اوروك البكاء عليه، لا على خسارتها له وحسب، وانما على مدينتها اوروك ومعبدها إيانا أو كما رأى ذلك الشاعر في عين مخيلته :[٤٣]

تبكي السيدة بكاءً مراً على زوجها
انانا تبكي بكاءً مراً على زوجها
ملكة اوروك تبكي بكاءً مراً على زوجها
انانا تندب عريسها الشاب
ذهبوا بزوجي الحبيب، زوجي الحبيب،

www.iraqinhistory.com

زوجي ذهب يبحث عن طعام ، فتحول الى طعام

هذه الشخصية ـ شخصية انانا ـ لا يمكن إلا أن توصف بانها شخصية انفعالية قلقة ، ولكنها متفردة تتسم بالجرأة والغرور وتمتلك سلطة اتخاذ القرار الذي منحته إياها آلهة السماء ، ودانت لها الملوك والافراد على الارض وكانت « المغامرة » أحد مظاهر شخصيتها والتي تمثلت في « الرحلة الى العالم السفلي » .

أدابا ـ السـقوط الانسـاني

« أدابا » هو الشخصية الرئيسة لاسطورة سميت باسمه ، وجدت هذه الاسطورة محفوظة على لوح من بين الواح تل العمارنة من عهد الفرعون اخناتون « أمنحوتب » ، استخدمه المصريون القدماء لتدريب الكتاب على اللغة الاكدية تصف الاسطورة أدابا بانه « الابن الحكيم لاريدو » و « الاحكم » و « الزعيم بين الناس » « الماهر العاقل جداً » « المعصوم الطاهر اليدين » الذي يمد كل يوم أريدو مدينة « ايا » بالطعام والشراب[٤٤]. كان سماكاً يزود مائدة الآلهة في المعبد بالأسماك[٤٥] ويوصف بانه شخص اسطوري ولقبه هو « ادابا الحكيم » . انه خليفة ايا ، وقد أصبح كبير خدمه في معبده في أريدو .

ويحدثنا كل من رينيه لابات وجان بوتيرو عن حكماء سبعة (ابكالو) هم عبارة عن كائنات اسطورية تخرج من البحر وتمضي أيامها بين الناس وتعلمهم الكتابة ، ومختلف العلوم والتقنيات وتأسيس المدن وتشييد المعابد والقضاء والهندسة وزراعة الحبوب وجني الاثمار ، وتمنحهم كل ما يشكل الحياة المتمدنة

ان هؤلاء (أبكالو)[*] مرتبطون بإيا سيدهم ، وكان أولهم يلقب « أدابا » الحكيم وكان اسمه المعروف « أوعانا » : وانيس[٤٧]. وتروي لنا الاسطورة ـ اسطورة ادابا ـ كيف ان الإله ايا (انكي) قد خلق « ادابا » كـ « انموذج للرجال » فكان كاهن مدينة « أريدو » الذي دأب على انجاز المهام المتنوعة في معبد « ايا » . وبينا « ادابا » يصطاد السمك في « البحر العظيم » هبت فجأة ريح الجنوب بقوة فقلبت قاربه وشارف على الغرق . وفي غمرة انفعاله ، تفوه « ادابا » بلعنة سببت « كسر اجنحة ريح الجنوب » (التي كانت تشخص في هيئة طائر شيطاني) مما أدى الى توقف هبوبها[٤٨] لمدة سبعة أيام .

www.iraqinhistory.com

هذا العمل أثار حفيظة الإله « آنو » فاستدعاه الى السماء لمحاكمته . وينصح من إيا (انكي) لـ « ادابا » (بأن لا يتناول من أي طعام أو شراب يقدم اليه في السماء ، رغم ان إيا يعرف بأن طعام الآلهة يشتهر بالخلود)[٤٩]:

عندما يقدمون لك خبز الموت ،
فاياك أن تأكله
وعندما تعرض عليك مياه الموت ،
فلا تشربها
نصيحتي هذه التي قدمتها اليك ، لا تتجاهلها[٥٠]

ولكن ادابا الذي انصاع لأوامر ايا (انكي) اعتذر عن قبول خبز وماء الحياة التي كانت يمكن أن تهبه الخلود ، بعد هذا ، أمر « آنو » باعادة « ادابا » الى الأرض[٥١]. وبذلك جاءت نهاية القصيدة مخيبة للآمال ، فسواء كان ايا (انكي) صادقاً في نصح مريده ، أو انه صدر منه ذلك عن جهل أو عن حكمة عميقة ، فانه منع أدابا من انتهاز الفرصة التي قدمت له ليصبح خالداً

يرى بعض الباحثين ان اسطورة « أدابا » توازي قصة « آدم وحواء » و « فردوسهما المفقود » وان هذه الاسطورة تروي لنا « سقوط الانسان »[٥٣] لأن خسران أدابا لفرصته في الخلود ، كانت بسبب طاعته العمياء لآلهة ايا (انكي) ، مثلما فقد « ادم » خلوده بسبب عدم اطاعته أوامر ربه . وفي الحالتين ، فان الانسان كان هو الذي حكم على نفسه بالموت[٥٤].

ان معظم الباحثين يرجعون سبب سقوط ادابا وخسرانه الخلود الى طاعته العمياء لايا (انكي) ، والتزامه التعليمات التي أمره بتنفيذها ، كما يميل الباحثون الى تأكيد عدم صدق إيا في نواياه تجاه أدابا

أما ـ الباحثة ـ فتنحو باللائمة على « أدابا » وترى ان تناقضاً ما في شخصيته يجعله سريع التصديق لما يُسدى له من نصح . فالمقدمات تؤكد ـ كما ذكرنا عن شخصيته ـ (انه كان بشراً بنسب إلٰهي)[٥٥]. وانه كان حكيماً ، وكان خليقاً أن يضمن الحياة الابدية لنفسه وللجنس البشري[٥٦]. إذ لا يعقل ان انساناً بهذا النسب ، وهذه الحكمة أن لا يمحص الحقيقة ويتبين الصدق من الكذب ، بحيث يفقد « ادابا » الفرصة الذهبية بأن يضمن الخلود لنفسه وللجنس البشري[٥٧]، وتنقلب النصيحة الإلٰهية الى مأساة على ادابا وعلى الجنس البشري .[٥٨]

www.iraqinhistory.com

ويرى اوبنهايم ان « ادابا » شبيه بـ (جلجامش) حيث انه يفقد الخلود بواسطة تخطيط الآلهة ، لكنه ـ كما حدث لجلجامش ـ يستلم مكافأة وذلك لانه أصبح من أحكم الناس[٥٩]، حيث منحه « آنو » إله السماء (مستحضرات الارواح الشريرة التي هي عبارة عن قوى سحرية خاصة تستخدم لمحاربة العفاريت والامراض)[٦٠].

أما كونتينو فيرى التناقض في شخصية الآلهة ، وليس في شخصية أدابا ـ وبخاصة في شخصية « ايا » الذي انقلبت نبوءته الى كآبة مدمرة ، على الرغم من كونه « رب المعرفة » ، وان المسؤول عن تصوير الآلهة بهذا الشكل ، هو مؤلف القصص الذي (لا يتردد من عرض الآلهة وهم يحملون نقاط الضعف الانسانية) وهم ـ بالرغم من (انهم كانوا اقوياء ، إلا ان هناك حدوداً لقوتهم)[٦١].

إذن ، وكما سبق من آراء ، نجد ان بعض الباحثين ينظر الى « أدابا » وكأنه « ضحية » الإله الذي لم يتورع في الكذب عليه ، لكي لا يفكر البشر في منافسة الآلهة عروشهم الإلهية . أما قلق الانسان وانفعاله وسعيه والتناقض في شخصيته ، فلا ينظر اليه إلا كما لو كان قدراً مرسوماً من الآلهة التي خلقته وجعلته في خدمتها تلك الحكمة التي تعرفنا اليها وهي تتكرر على أكثر من لسان ، في رحلة جلجامش الى الفردوس .

وتخلص الباحثة الى أن « أدابا » شخصية تحمل تناقضاتها التي تمظهرت في

١ ـ عدم استخدام « الحكمة » في كسر أجنحة الريح الجنوبية

٢ ـ عدم استخدام « الحكمة » في الطاعة المطلقة للإله « ايا » « آنكي » فعاد الى الأرض بخيبة أمل لا ينساها له التاريخ .

إيتانا ـ Etana / رمز التعالي

يلتقي إيتانا مع « جلجامش » في انه كان شخصية تاريخية ، يظهر اسمه ضمن قائمة الملوك السومريين ، وتعتبر قصيدة « إيتانا » قصة سلالية محفوظة على كسرتين احداهما بابلية قديمة واخرى اشورية وسيطة ، وواحدة من نينوى ، تلك التي نسج الشاعر عليها تلك الخرافة التي تصور تعايش نسر وأفعى في شجرة[٦٢].

يرى كونتينو ان بطل القصيدة يتحمس لتخفيف آلام المخاض عند زوجته ،

www.iraqinhistory.com

ويلتمس من الإله شمش ـ أن يهبه حجر الولادة الذي سبق أن واجهناه موضوعاً في نطاق عشتار عند هبوطها الى الجحيم[٦٣]، كما يقرر كونتينو ان صعود إيتانا كان الهدف منه بلوغ مقر عشتار الذي يقع بعيداً فوق سماء « آنو » حيث تحفظ ـ رموز الملكية ـ من قبل الإله . في حين يرى آخرون[٦٤] ان « إيتانا » كان عقيماً لا ولد له وهو ـ لذلك يسعى الى طلب « نبات الولادة » الذي ينمو في السماء فقط ، من الإله شمش ، فينصحه الأخير بانقاذ النسر (الذي وقع في فخ الحية) لكي يستخدمه واسطة للطيران الى السماء[٦٥]. وبالفعل ، يحمل النسر إيتانا على جناحيه ويرتفع به الى السموات .

يفترض اوبنهايم ان إيتانا قد حصل على النبات السحري ، وأفلح في الحصول على ابن وريث[٦٦]، بل وافترض أيضاً انه ربما كان إيتانا دينياً ورعاً ، (وبذلك حصل على نصيبه في المغامرة)[٦٧].

لكن الباحثة ترى ان سياق الاسطورة لا يسمح بهذا التأويل ، لأن النسر وهو يصعد بإيتانا عالياً الى السماء في طيران يقطع الانفاس يلاحظ إيتانا الأرض تحته تبدو (بحجم الحقل) والبحر (بحجم سلة الخبز) وعندما تصبح الأرض والبحار غير مرئية ، يصاب « إيتانا » بالهلع ويخاطب النسر قائلًا « يا صديقي ، لن أصعد الى السماء » ويقفز نحو الأرض رأسياً يتبعه النسر ، ولسوء الحظ فان النص ينكسر عند هذه اللحظة رأسياً يتبعه النسر ، ولسوء الحظ فان النص ينكسر عند هذه اللحظة الحرجة[٦٨]. ويبدو ان إيتانا لدى وصوله الى عتبة العالم الإلهي ، يحجم عن الصعود الى أعلى ، ودون البلوغ الى هدفه ، ينزل ثانية على الأرض ، أو بالأحرى يسقط[٦٩]. وبذلك تؤكد لنا الحكاية (عدم جدوى الجهود التي تستطيع خليقة بشرية أن تبذلها في سبيل الارتفاع في الاجواء نحو عالم الآلهة[٧٠]، إذ ليس من قدرة الانسان أن ينافس الآلهة[٧١] لكن قد يكون الأمر قد جرى بشكل آخر .

ان القياس على أنساق اخرى ، كالذي حدث مع جلجامش مثلًا ، أو كالذي حدث مع أدابا ، في مكافاتهما من قبل الآلهة ، وتقديم العون لهما ، تقديراً لروح المغامرة ، وليس تقديراً للتطلع البشري لنيل الخلود ، فان الباحثة تتفق مع رأي لابات القائل بانه ، إذا كان التأويل النهائي للقصيدة صحيحاً ، فان إيتانا حصل في النهاية على ما كان في سبيله قد خاطر ، وان الآلهة الذين ينكرون عليه امكانية تجاوز طبيعته البشرية ، ولكنهم يكافئونه ـ أو كافئوه فعلًا ـ بشكل ما ، على محاولته الجريئة

www.iraqinhistory.com

هذه

جلجامش محاججــة الآلهــة

تصف الملحمة جلجامش بأنه « هو الذي رأى كل شيء حتى نهايات العالم » كان شديد البأس ، شجاعاً ووسيماً[٧٣]، ورد اسمه في اثبات الملوك السومريين من سلالة مدينة الوركاء الأولى ، ويأتي ترتيب حكمه خامس ملك من ملوك تلك السلالة وخصصت له حكماً دام ١٢٦ عاماً[٧٤]، ولا يعلم بالضبط معنى اسم « جلجامش » وقد ذكرت بعض النصوص الأكدية ترجمة له باللغة الاكدية معناها « المحارب الذي في المقدمة » ، كما يحتمل أن يكون معنى اسمه بالسومرية : « الرجل الذي سينبت شجرة جديدة » أي الذي سيولد اسرة[٧٥]. وهو في ثلثيه إله وفي ثلثه الاخر بشر أمه هي الآلهة نفسون ، وقد ورث عنها الجمال الفائق والقوة وانعدام الاستقرار ، وورث عن أبيه الفناء .. وتلك هي عين المأساة : التصادم بين رغبات الإله ، ومصير الانسان .[٧٦]

كان جلجامش يدعو لوجال بندا بصفة الأب . ولوجال بندا هذا هو الذي حكم في اوروك قبل سلف جلجامش ، وهو الملك الثالث في الترتيب من بعد الطوفان ، وهو موسوم في قائمة الملوك بأنه إله .[٧٧]

يعتبر « جلجامش » بطلًا شعبياً في كل العصور التاريخية للبابليين والحيثيين والاشوريين ، ارتبطت بهذا الاسم شخصية البطل المتصارع مع الوحوش ، وهو شخصية مشهورة ومعروفة عن طريق صور الاختام العيلامية والسومرية منذ نهاية الالف الرابع ، واوائل الألف الثالث ق . م ، وفي العصور المتأخرة اعتبر « جلجامش » إلهاً للرخاء ، وحامياً للناس من شر الشياطين ، وهو الحاكم العادل لعالم الموت[٧٨]، قلق الجنان ، لا يستقر له فؤاد أو جسد ، دائب الحركة ليل نهار ، يبحث عن جليل الأعمال يرضي بها خاطره المتعطش للفهم ، طغى وبغى واستبد . لا طغيان الأحمق ولا بغي الجاهل الفرح بالسلطان ، بل طغيان قدرة متوثبة لم تعرف بعد سبل التفريغ ، وذكاء يلهج بالسؤال

ونحن نرى في شخصية جلجامش منذ البداية انشغالًا واهتمامات بالشهرة والصيت يفتتنانه ، وثورة من جانب البشر الفاني ضد قوانين الموت والفراق ، وتمضي خلال أحداث الملحمة جميعاً فكرة واحدة هي أشبه بمصراع بيت الشعر المتردد عند

www.iraqinhistory.com

شاعر العصور الوسطى ، والقائل « ان خشية الموت تربكني » ، وهي في حادث « غابة الارز » ليست إلا حفزاً لطموح البطل لأن يخلف اسماً يبقى من بعده ، لكنها تغدو أكثر الحاحاً بعد فقد الصديق العزيز انكيدو .[٨٠]

ان موت انكيدو يزودنا بنقطة التحوزل في القصة ، فقد أثر عليه بشكل عميق . ان امتزاج الصداقة والرعب من الموت يسبب نوعاً من اللجوء البشري ويحقق اختلافاً وتحولًا في الاسلوب والسياق والمحتوى ، خصوصاً في النصف الثاني من الملحمة .[٨١]

فما إن حل فزع الموت بجلجامش ـ بموت انكيدو ـ حتى تبدلت حالته المزاجية والموضوعية بشكل مفاجىء ، فانطلق في سبيل الحصول على طريق يبعد بواسطتها شبح الموت .[٨٢] (ان السفر هو شأن جلجامش من أجل الشهرة الدائمة والاعمال البطولية ، بل ان السفر يعتبر بالنسبة له منزلته الملكية أو البطولية) . ويصف اوبنهايم هذا السفر (كأنما هو تهرب أكثر من كونه متابعة هدف)[٨٣].

السفر إذن ـ برأي الباحثة ـ يمثل حداً فاصلًا بين نمطين من أنماط الشخصية الواحدة : النمط الأول هو النمط المستبد المعتد بالجسد ، أو القوة التي تتكىء الى الجسد . والنمط الثاني هو النمط المضموني الذي يتجرد مما هو جسدي تحقيقاً لوظائف روحية تعبر عن موقف من الحياة والعالم .

وهذا التقسيم يحيل الى تقسيم آخر يربط الشخصية باطارها الزمني .

كان جلجامش في الشطر الأول من حياته ـ كما تصفه الملحمة ـ جميلًا « حباه (شمش) السماوي بالحسن وخصه (أدد) بالبطولة »[٨٤]. ومخيفاً « لم تنقطع مظالمه عن الناس ليل نهار »[٨٥] « لم يترك جلجامش عذراء طليقة لامها »[٨٦]، باختصار : « هو راعي (اوروك المحصنة) وهو قوي وجميل وحكيم »[٨٧]، ثم هو المغامر الذي يعيب على « انكيدو » خوفه من « خمبابا »

كلا يا صديقي علينا أن نتقدم ونوغل في قلب الغابة
وسيحمي احدنا الآخر ، واذا ما سقطنا في النزال
فسنخلف من بعدنا اسماً خالداً »[٨٨]

وبعد ذلك ، فجلجامش هو الذي يتحدى الآلهة في شخصية « إنانا » ويعدد لها مثالبها لأنها عرضت عليه أن يتزوجها . وكرر التحدي في قتله للثور السماوي الذي خلقه « آنو » بناء على رغبة « إنانا » ..

www.iraqinhistory.com

« يا أبي ان جلجامش سبّني وأهانني
اخلق لي يا أبتِ ثوراً سماوياً
ليغلب جلجامش ويهلكه »[٨٩]

هذا السلوك لا يمكن أن يصدر إلا من شخصية ذات سطوة جسدية تمتلك المهابة إزاء الآلهة والبشر سواء بسواء . ان جانب التسلط الجسدي له علاقة وثيقة بمرحلة مهمة من مراحل عمر الانسان ، ونقصد بها مرحلة الشباب

ان موت انكيدو يرمز الى موت هذه المرحلة ـ مرحلة الشباب عند جلجامش ـ ، ودخول شخصيته في المرحلة التي تليها ، وهي مرحلة الحكمة والعقل ، وفلسفة الحياة والموت ، وهي المرحلة التي سلخت جلجامش من نفسه المتجسدة في انكيدو ومن مجتمع أوروك ، والتماس رحلة روحية الى ذاته الاخرى المتمثلة في اوتونبشتم ، الرمز الإلهي الذي استيقظ في أعماقه مثلما استيقظت في ذاته أيضاً رموز الفردوس المتمثل في جنة « دلمون » .

لقد تحولت شخصية جلجامش من « مبتهجة مقبلة على الحياة » الى شخصية تتسم بالخوف من الموت والتشاؤم وعدم الاستقرار

تقول الملحمة على لسانه « وهام على وجهه في الصحارى (وصار يناجي نفسه) ، إذا ما متُّ أفلا يكون مصيري مثل انكيدو؟، لقد حل الحزن والاسى بجسمي ، خفت من الموت ، وها أنا أهيم في البوادي »[٩٠].

ويبدأ لقاء جلجامش مع أوتونبشتم « القصي » باحدى مقطوعات الحكمة التي يبدو ان الغرض منها ، هو أن يتهادن البشر مع أقدارهم على الأرض[٩١]، مثله مثل حديث المرأة « سيدوري » و « الرجل العقرب » و « شمش » (حيث لا يوجد شيء يدوم ، ولا بد للانسان من أن يموت عندما تخطط الآلهة ذلك)

الجســـد وخارجـــــه

الآن ـ وبعد أن تبيّنا ملامح الشخصية في بنية البطل ـ بطل الرحلة الى العالم الآخر ، نستطيع أن نقول ان قاسماً مشتركاً يجمع بين هذه الشخصيات من حيث تقسيمها الى : وجه ، ووجه آخر . نطلق على أولهما ، الوجه المشرق ، الشاب ، الاقرب الى الواقع ، الذي يتمظهر في « الجسدي » .

أما الوجه الآخر ، فهو : المعتم ، المتشائم ، المغترب ، الذي يبتعد عن الواقع ،

www.iraqinhistory.com

ويتجسد خارج الزمان وخارج المكان ، معبراً عن التطلعات الروحية بعيداً عن نزوات الجسد .

أولًا

الوجه المشرق لاينانا هو كونها آلهة الحب والجنس والخصوبة معبرٌ عنه بزواجها من دموزي ، حبيبها ورجل قلبها

ألقيتُ عيني على جميع الناس
دعوت دموزي [لكي يتقلد ألوهية البلاد]
دموزي المحبوب من انليل
الغالي أبداً عند أمي
المحمود أبداً من أبي(٩٣)

وهذه الرغبة الجسدية ذاتها نجدها عند إنانا حين تعرض حبها على جلجامش وتطلب منه الزواج(٩٤)..

رفعت « عشتار » الجلية عينيها
ورمقت جمال جلجامش (فنادته)
« تعال يا جلجامش وكن حبيب الذي اخترت
امنحني ثمرتك (بذرتك) أتمتع بها
ستكون أنت زوجي وأكون زوجك »

ان هذا الاندفاع الغريزي ، والرغبة الجسدية الجامحة ، لا تحتاجان الى تعليق . على أن ما يقابل هذا النزوع الجسدي والرغبة في الحب ، سرعان ما يقابله وجه مدمر معتم ينزع الى الانتقام المعلن في

١ ـ تسليط الثور السماوي على جلجامش .
٢ ـ تسليم دموزي الى شياطين العالم السفلي .

ومما يجب ملاحظته في ـ الوجه الآخر لاينانا ، هو اختيارها لرحلة الهبوط الى العالم السفلي . وهو ـ وان كانت الدوافع اليه ما تزال غامضة ، فانه يشير ـ بشكل من الاشكال ـ الى ميل واضح لدى إنانا في التجرد من الجسد وملابساته ، والمثول عارية أمام اختها اريشكيجال ملكة العالم السفلي لخوض تجربة الموت باختيارها .(٩٥)

www.iraqinhistory.com

ثانياً

أما في شخصية جلجامش، فقد لمسنا (تبدلًا في الحالة المزاجية والموضوعية بشكل مفاجىء)[٩٦]، فالملك العظيم هو في نهاية الأمر بشر فانٍ عادي، ولا بد من البحث عن حكمة الأسلاف، وهو بحث حمل جلجامش الى أطراف الأرض في رحلة هي ليست تكراراً للرحلة الأولى الى جبل الارز (إذ لا يمكن اسنادها الى حدث تاريخي، ذلك ان طبوغرافية الاماكن فيها متعلقة بالعالم الاخر، ومستويات المغامرات الخيالية والروحية متلاحمة بعضها مع الآخر)[٩٧].

وفي نص الملحمة ما يشير الى التبدل في شخصية جلجامش، باسلوب المقارنة الذي يدفع الى التذكير بحالة اولى من خلال الحالة الاخرى .. فبعد أن شاهدت « سيدوري » جلجامش مقبلًا، أنكرته وأوصدت في وجهه الباب، وبعد تهديده إياها بتحطيم الباب، وتعريفه بنفسه، قالت له

إن كنت حقاً جلجامش الذي قتل حارس الغابة
وغلبت خمبابا الذي يعيش في غابة الارز
فلِمَ ذبلت وجنتاك ولاح الغمّ على وجهك
وعلامَ ملك الحزن قلبك وتبدلت هيئتك[٩٨]

ويأتي جواب جلجامش مشفوعاً باليأس، وهو يسأل بمرارة ان كان بوسعه ألا يرى الموت الذي يخشاه ويرهبه

« ان النازلة التي حلت بصاحبي تقضّ مضجعي
آه، لقد غدا صاحبي الذي احببت تراباً
وأنا سأضطجع مثله فلا أقوم أبد الآبدين
فيا صاحبة الحانة، وأنا أنظر الى وجهك،
أيكون في وسعي ألا أرى الموت الذي أخشاه وأرهبه ؟ »[٩٩]

ان الهاجس الذي يخيف جلجامش هو فناء الجسد، وتحوله الى تراب. الجسد الذي طالما استثمره في تحقيق اللذة : لذة الشعور من جهة، ولذة الانتصار والتفوق الجسدي من جهة اخرى.

ثالثاً

بناء الشخصية في اسطورة أدابا يقع تقريباً في ذات الاطار الذي بنيت فيه شخصيتا إنانا وجلجامش.

www.iraqinhistory.com

يكفي في شخصية أدابا أن يوصف « أدابا الحكيم » وانه كان سماكاً يزود مائدة الآلهة في المعبد بالاسماك[١٠٠]. حيث يبحر في البحر لكي يؤدي عمله كما ينبغي . وكون أدابا سماكاً أو صياداً فان ذلك يستدعي منه استخدام قارب الصيد والتجديف والبحث عن مكان الصيد ، هذا يعني ان مهنة الصيد مثلما ترتبط بالحكمة والتعقل والصبر على الفريسة ، فانها ترتبط أيضاً بالجهد العضلي الذي يستند الى الجسد ..

مع طباخي اريدو ، كان يقوم بالطبخ
كل يوم كان لاريدو يدبر الطعام والشراب
كان يرتب بيديه النقيتين مائدة القرابين
كان يوجه الزورق ويصطاد لأريدو في الماء العذب .[١٠١]

ويبلغ « أدابا » الذروة في استخدامه للجسد ، بمهاجمته الريح الجنوبية حين (هبت عاصفة فغمرته وسفينته)[١٠٢]، وكان أن نطق أدابا الحانق باللعنة عليها - على الريح - فكسر بذلك جناحيها[١٠٣] قائلًا : « يا ريح الجنوب لتكن ملعونة جميع رقاك ليتني احطم جناحك . وحينما لفظ هذه الكلمات إذا بجناح ريح الجنوب قد تحطم » .

هذا الحدث كان هو الفاصل بين مرحلة انقضت ، ومرحلة أعقبتها ، حيث يستدعى أدابا من قبل « آنو » في السماء لكي يمثل أمامه وينال العقاب على فعلته

وتبدأ الشخصية - في اطار بنائها - بالانعطاف بما يناسب الرحلة صعوداً ، من الأرض الى السماء . (إلا ان إيا كان يعلم ما في السموات ، فلمس « ادابا » وجعله يحمل شعراً وسخاً ، وألبسه ثوب الحداد)[١٠٤]، ثم زوده ببعض التعليمات التي تقضي عليه بأن يمتنع عن تناول طعام الموت وخبز الموت .. (واذا أتوك ثوباً إلبسه ، واذا أتوك بزيت ادلك به ذاتك)[١٠٥]

ونفذ ادابا تعليمات إيا (آنكي) بحذافيرها ، وتعرض لسخرية الآلهة في السماء ، لكنه حرم من الخلود بسبب تلك التعليمات ، إذ قال له آنو وهو يضحك (تعال هنا يا ادابا. لماذا لم تأكل ولم تشرب ؟ انك لن تحيا الى الأبد .. إن إيا سيدي هو الذي قال لي : « لا تأكل ولا تشرب » . فليؤخذ إذن ، ويعد الى الأرض)[١٠٦].

رابعاً

ثمة بطل رابع (يلعب دوراً خطيراً في اسطورة اكدية هو ايتانا الذي اشتهر بانه

www.iraqinhistory.com

حاكم قوي من اسرة كيش المالكة وكان مقضياً عليه بلعنة الحرمان من الولد وليس له من يحمل اسمه)[١٠٧] فيقرر الرحلة صعوداً الى السماء ، إلا ان ذلك يتطلب منه طاقة جسدية يستطيع من خلالها أن ينقذ نسراً وقع ضحية في أسر الحية بمساعدة شمش .

لا نتبين بوضوح كيف اجتاز المؤلف عالم الحكاية بعد المقدمة التي انقطعت فجأة من جراء كسر في اللوح . ولسنا مطلعين بكفاية على نهاية المغامرة ، ولكن الذي نعرفه من تسلسل الحكاية التي بين ايدينا هو ان (هذا الملك القديم المؤله الذي يدعى أحياناً « الراعي » اشتهر خاصة لكونه ذاك الذي صعد الى السموات)[١٠٨] على جناحي نسر ، وعندما (اصبحت البلاد غير مرئية)[١٠٩] له ضعف ايتانا ، وخارت قواه ، أو ربما شعر بالخوف (وعند أول فرسخ مضاعف ، سقط ، وعند فرسخين مضاعفين ، سقط ، عند ثلاثة فراسخ مضاعفة ، سقط ، وهوى النسر وتلقاه على ظهره)[١١٠]

التتمة مخرومة ـ حسب لابات ـ بحيث اننا نجهل الأحداث الاخيرة الخاصة بنزول ايتانا على الأرض ، ويعتقد لابات ان ادابا نزل ـ ولا شك ـ سالماً صحيحاً ، بالاستناد الى النتفة الأخيرة المنشورة ، حتى اليوم ، من هذه القصيدة .[١١١]

الامتحـــــان

أولًا

المرحلة الأهم في حياة البطل ، هي المرحلة التي يخضع فيها للامتحان ، وغالباً ، يكون الاختبار من قبل « المانح » ، باستثناء إنانا ، حيث وضعت تحت الاختبار من قبل (عدوتها اللدود اريشكيجال)[١١٢] ملكة العالم السفلي التي أمرت بتجريد إنانا من ملابسها ومن رموز السيادة وعرضتها للموت وعلقتها على وتد لمدة ثلاثة أيام ، لولا تدخل آنكي الذي أعاد اليها الحياة بواسطة (مخلوقين لا جنس لهما زودهما « بطعام الحياة » و « ماء الحياة »)[١١٣].

ثانياً

وصورة الامتحان تبدو أكثر قسوة ومرارة بالنسبة لجلجامش من خلال الحوار الذي تم بينه وبين اوتونبشتم .

ينتقل اوتونبشتم من رواية الطوفان ليستأنف محاورته مع جلجامش ، ولكن

www.iraqinhistory.com

المحاورة قطعت حين تحداه جلجامش شارحاً له كيف انه استطاع أن يهزم الموت[١١٤]. وهنا يدخل جلجامش مرحلة المحاججة العقلية مع الآلهة

ها أنذا انظر اليك يا اوتونبشتم القاصي
فلا أجد هيئتك مختلفة فأنت مثلي لا تختلف عني
لقد تصورك لبي كاملًا كالبطل على أهبة القتال
فاذا بي أجدك ضعيفاً مضطجعاً على ظهرك
فقل لي كيف دخلت في مجمع الآلهة ووجدت الحياة (الخالدة) ؟[١١٥]

ولكن اوتونبشتم أجابه كما فعلت سيدوري من قبل حيث لا يوجد شيء يدوم ولا بد للانسان أن يموت عندما تخطط الآلهة ذلك ، ولا بد من أن يهرب جلجامش ـ بايعاز من اوتونبشتم ـ إلا اذا استطاع البقاء مستيقظاً لمدة ستة أيام و (سبع ليال) فالنوم شبيه بالموت وهو ما يدل على الفرق بين الانسان والآلهة الخالدة ، ولذلك فشل جلجامش[١١٦]..

لكي تنال الحياة التي تبغي
تعال (أمتحنك) ، لا تنم ستة أيام وسبع أمسيات
ولكن وهو لا يزال قاعداً على عجزه إذا سنه من النوم
تأخذه وتتسلط عليه كالضباب.[١١٧]

ويتعرض جلجامش لسخرية اوتونبشتم فيعرضه « الأخير » لامتحان آخر (يحث اوتونبشتم جلجامش بالاستحمام في ينبوع يبدو انه كان ينبوع الشباب الذي هو مصدر نشاطه الازلي الخاص به ـ هذا يحيلنا الى ماء الحياة الذي تحدثنا عنه في موضوع آنكي ـ ويفشل جلجامش مرة اخرى في استغلال وعد الخلود)[١١٨]

ليغسل في الماء أوساخه حتى يصبح نظيفاً كالثلج
لينزع عنه جلود الحيوانات وليرمها في البحر
حتى يتجلى جمال جسمه[١١٩]

ان مراحل السرد تقود من امتحان الى امتحان حتى تتجلى مأساوية البطل في الامتحان الأخير الذي يفقد به سر الخلود وتنقلب بهجة جلجامش الى خذلان وجبروته الى ضعف ..

وعند ذاك جلس جلجامش وأخذ يبكي
حتى جرت دموعه على وجنتيه

www.iraqinhistory.com

وعاد أدراجه الى حيث انطلق ، عاد الى مدينته أوروك بعد أن (رأى كل شيء) .

تالثاً

الصورة أقل مأساوية في حالة تعرض ادابا لامتحان الآلهة في السماء ، لسببين

أولهما هو ان ادابا لم يصعد الى السماء باختياره بل استدعي من قبل الإله آنو .

وثانيهما هو ان ادابا لم يكن ليأمل في الخلود ، ولكنه كان يتفادى الموت ، لذلك وقع تحت تأثير (إيا ـ انكي) والتزم بنصائحه ، فتسبب عن ذلك انه

١ ـ تعرض لسخرية الآلهة في السماء .

٢ ـ خسر طعام الحياة وماء الحياة بناء على نصيحة (ايا ـ انكي) الذي يصور عادة بأنه خير اصدقاء الانسان[.] وبذلك خسر الامتحان

رابعاً

ويبقى ايتانا بعيداً عن الوضوح الى حد ما ، ولكننا يمكن أن نكتشف من متابعة النص انه وقع تحت طائلة الامتحان الذي دفعه شمش اليه متمثلاً في

١ ـ تخليصه النسر من فخ الحية

٢ ـ الطيران على جناحي نسر الى أعالي السموات

أما نتيجة الامتحان ، فما تزال افتراضية ، ومبنية على أنساق مشابهه في أساطير الرحلات .

المانـــح والمســــاعدون

بمتابعة الوحدات السردية التي تكوّن البناء الاسطوري لنصوص الرحلات ـ موضوعة بحثنا ـ نواجه شخصية (يمكن أن تس بالشخصية « المانحة أو بصورة أدق « المزوّدة »)[١٢١]، وغالباً تكون هذه الشخصية من الآلهة ، ويحصل منها البطل على أداة ما (« عادة ما تكون سحرية » تسمح له في النهاية بالتخلص من سوء الطالع)[١٢٢].

والمادة السحرية التي اتفق « المانحون » على تقديمها لأبطال الرحلات (إنانا ـ جلجامش ـ ادابا ـ ايتانا) هي من قبيل المحسوسة التي [illegible]

الرئ الطعام والشراب ، وهي تحديدا ماء الحياة ، وطعام الحياة

ويقوم البطل ، بالاستدلال عليها ، ومن ثم تناولها كما في إنانا ، أو فقدانها كما في جلجامش ، أو عدم تناولها كما في أدابا ، وذلك بواسطة مساعدين ، ليس بالضرورة أن يكونوا آلهة ، وانما قد يكونون من الآلهة أو من البشر .

أولًا

في رحلة إنانا كان (آنكي) إيا هو الشخصية « المانحة » الذي خلق لها كائناً اسطورياً قدم لها طعام الحياة وماء الحياة ، وأنقذها من الموت . بينما كان وزيرها (نفشوبر) هو « المساعد » الفعلي الذي تكلف مشقة التنقل بين الآلهة لطلب العون لسيدته .(*)

ثانياً

الشخصية « المانحة » في رحلة جلجامش هو « اوتونبشتم » وهو الوحيد من بني البشر الذي يحصل على الخلود لانقاذه البشرية من كارثة الموت بسبب الطوفان[١٢٣]. فقد دلّ جلجامش على المكان الذي يجد فيه « عشبة الخلود » والتي سرقتها منه الحية ، قبل أن يتناول هو أو شعب أوروك منها

أما الشخصيات المساعدة لجلجامش في وصوله الى اوتونبشتم فهم

١ ـ صاحبة الحانة (سيدوري) .
٢ ـ الرجل العقرب (وزوجته) .
٣ ـ اورشنابي ـ ملاح اوتونبشتم .

ثالثاً

ويحكم صعود أدابا الى السماء ، فان الشخصية « المانحة » هو الإله (آنو) إله السماء ، الذي قدم لأدابا طعام الحياة وماء الحياة بواسطة مساعدين اثنين هما الإله دموزي والإله ننكيزيدا . أما الشخصية المساعدة الاخرى ـ ونقصد به آنكي (إيا) ، فان مساعدته كانت ذات طابع سلبي تسببت في سقوط أدابا الى الأرض .

رابعاً :

ان الشخصية المانحة بالنسبة لإيتانا ـ حسب افتراض كونتينو ـ[١٢٤] هي الآلهة عشتار ، والشخصية المساعدة هو الإله شمش الذي نصح إيتانا بانقاذ النسر الذي سيطير به الى السماء .

www.iraqinhistory.com

٢

بنيات أسلوبية

أ ـ التكرار

يعد التكرار أحد الأدوات الرئيسة ـ الى جانب المقابلة والوصف والتشبيه ـ التي يستخدمها الشاعر في : الاسطورة والترتيلة والغناء والرثاء ، على هذا النحو أو ذاك ـ لكننا نجدها في الشعر الملحمي مستخدمة في حنق وخيال فائقين .[١]

ونحن لا ندري الى متى ظلت القصيدة ترتل ، لكن الاحتفاظ بتلك (الأدوات) يوحي بوجود مأثورات شفاهية جنباً الى جنب مع المأثورات المدونة[٢]. من جهة اخرى ، اقترنت المرويات الشفاهية بضرورة الارتجال أحياناً ، وظروف الارتجال والانشاد هي التي خلقت نوعاً من الشعر يمكن التعرف عليه باستخدامه للالفاظ والأبيات المكررة .[٣]

وبما ان جذور الشعر السومري المكتوب ، ومعظم الاعمال الادبية السومرية التي جاءتنا في صيغة الشعر ، تمتد الى شاعر البلاط الامي وعصور ما قبل الكتابة ، والى المنشد والموسيقار في المعبد ، لذلك لا عجب أن يكون التكرار هو الأداة الجمالية الشائعة عند المداحين والمغنين الشعبيين ، وأن يكون أحد الملامح الاسلوبية السائدة[٤]. حيث كان المنشد يستعين بالتكرار ، ليستعيد الى ذاكرته ما سينشده من أبيات تالية[٥]، وهي ظاهرة لا ينفرد بها الأدب العراقي القديم ، بل هي عامة في معظم الآداب العالمية القديمة ، وخير مثال على ذلك ، الملاحم اليونانية وفي مقدمتها الالياذة والاوذيسة والمزامير (في التوراة)[٦]، ومرد ذلك ، هو ان الشاعر العراقي القديم (السومري) لم يكن يعرف شيئاً عن القافية والوزن ،

www.iraqinhistory.com

ولذلك كان يلجأ الى التزام مبدأ التكرار ، معتمداً على (الترديد الحرفي للفقرات أو المفردات التي تحدث وقعاً حسناً)[٧]. كما يلجأ الشاعر الى التنويع في نماذج التكرار[٨]، حتى صار مبدأ التكرار أساس القالب الشعري القائم على تتابع عبارات متوازنة ، أو تكرار أفكار معينة ، سواء أكان التوازي عن مساواة ومشابهة أم عن تضاد .[٩]

وظائــف التكــرار

قد يكون التكرار اسلوب الاعادة في لفظة معينة أو باعادة (المفردة) بما يرادفها . أو بما يكون وصفاً لها يغني عن الموصوف . أو ربما تكون اعادة (المفردة) لا بحروفها ، بل بقرينة دالة عليها كما في حالة نزول إنانا الى العالم السفلي :

١ ـ من السماء العظيمة الى الأرض السفلى العظيمة .

٢ ـ (الآلهة) من السماء العظيمة الى الأرض السفلى العظيمة .

٣ ـ (إنانا) من السماء العظيمة الى الارض السفلى العظيمة .

٤ ـ (سيدتي) هجرت السماء هجرت الأرض ونزلت الى العالم السفلي .

٥ ـ (إنانا) هجرت السماء هجرت الارض ونزلت الى العالم السفلي .

٦ ـ هجرت السيادة هجرت الملوكية ونزلت الى العالم السفلي .[١٠]

يبدو للوهلة الاولى ان الشاعر يكرر البيت الواحد أكثر من مرة .. ولكن الباحثة ترى ان التكرار منصب في هذه الابيات على (إنانا) للفت الانتباه اليها ، وبصيغ مختلفة .

في البيت الأول يحجم عن ذكر الاسم ليكون الاسلوب مدعاة لاثارة السؤال . في البيت الثاني يذكر الصفة المقدسة لها وهي (الآلهة) . في البيت الثالث يذكر الاسم الصريح (انانا) . في البيت الرابع يذكر الصفة الشخصية الرابطة بينها كآلهة وبينه كبشر فيقول : (سيدتي) . في البيت الخامس ، يعود الى ذكر اسمها الصريح (انانا) في الخامس يكتفي بذكر المسند وهو الفعل هجرت مشيراً بالضمير المستتر العائد عليها والتقدير (هجرت ـ هي)

أما تكرار (الأرض السفلى العظيمة) و (السماء العظيمة) فهو من قبيل التصوير الجغرافي للفضاء الذي تحركت فيه (انانا) حركة عمودية من الأعلى ، الى الاسفل وحصر هذه الحركة بـ « إنانا » دون غيرها

وقد يكون التكرار باعادة (مفردة) ما بعينها ، كما جاء في ملحمة جلجامش :

www.iraqinhistory.com

ودعوا « اورورو » العظيمة وقالوا لها
يا « اورورو » أنت التي خلقت هذا الرجل
فاخلقي الآن غريماً له
حالما سمعت « اورورو » ذلك ، غسلت يديها
تصورت في لبها صورة لآنو
وغسلت « اورورو » يديها[11]

ان تكرار اسم « اورورو » هو لجزّ عملية « الخلق » الى المقدمة وحصرها في « اورورو » فهي التي خلقت جلجامش من قبل ، وهي التي تستطيع أن تخلق غريماً له في صورة « انكيدو » أيضاً

ولا يمكن تصور « الخلق » إلا مجسداً في حركة « الأم الخالقة » وهي تنفذ مراحل الخلق : (في المرحلة الاولى تأتي عملية (التصور الإلهي) في صورة (آنو) الذي يرمز الى نفخة « الروح » في هذا المخلوق ، تليها عملية (التطهير) بغسل يديها ، ثم تأتي عملية (التجسيد المادي) بأن (أخذت قبضة من طين ورمتها في البرية . وفي البرية خلقت انكيدو القوي ، بعد ذلك يخلق ما على الجسد من شعر الجلد وشعر الرأس ـ واللباس الذي يغطي به جسده ، ثم طريقة طعامه وشرابه ، وأخيراً لقاء الصياد به .

ان تكرار « اورورو » لم يذكر جزافاً ، ولكن أريد به « حصر » عملية خلق دقيقة ومنطقية في تسلسل مراحلها بهذه « الشخصية الخالقة » دون غيرها

التكرار في المثالين السابقين يأتي بصيغة حصر « الصفة » بـ « الموصوف » فالنزول الى العالم السفلي هو الصفة المحصورة بـ « إنانا » وعملية « الخلق » أيضاً صفة تنحصر في « اورورو » وبذلك يعطي « التكرار » للمفردة « المكررة » بعداً حركياً منظوراً أشبه ما يكون بالبعد الجغرافي ، هو الفضاء الاسطوري الممتد عمودياً من السماء العظيمة ، الى الارض العظيمة مروراً بالمدينة أوروك ، في حالة (إنانا) ، وهو الفضاء (الجغرافي) الممتد افقياً من (اوروك) الى (البريه) في حالة (اورورو) مضاف اليه « البعد الذاتي » ـ (الخارقي) متمثلاً في عمليتي « النزول الى العالم الاسفل » و « الخلق » الذي تكون وظيفة التكرار الاساسية ، هو لفت الانتباه الى كل منهما . وهذا يؤكد ما ذهب اليه كريمر ـ وتؤكده الباحثة ـ من ان التكرار ، يؤدي وظيفة جمالية تتعدد مظاهرها في جوانب مختلفة .[12]

www.iraqinhistory.com

النوع الثاني من التكرار هو ما ندعوه « التكرار المقطعي » ويتمثل في التكرار الحرفي لمقطوعات طويلة من السرد والمحاورة وصيغ التحية ، ويرى ساندرز ان ما ذكرنا هو (خصائص مألوفة في الشعر الذي يروى شفاهاً ، وهدفها هو مساعدة الراوي في مهمته ، ومنح السامعين شعوراً بالارتياح)[١٣]، ويشبّه ذلك بما يروى للأطفال من قصص المهد والتي يلجأ الراوية فيها ـ كأمر مألوف ـ (الى الترديد الحرفي للفقرات المعروفة التي تحدث وقعاً حسناً)[١٤].

وإذ يؤدي التكرار وظيفة محددة في المأثورات الشفاهية إلا ان انتقاله الى المأثورات المدونة ، جعل هذه الوظيفة تتشعب في اتجاهات جديدة ، لم يكن الراوي أو المنشد ليفكر بها

لتحديد المقاطع المكررة ووظيفة التكرار فيها نذكر :

أ ـ في مرحلة إنانا الى العالم السفلي تكررت المقاطع التالية :

ـ نص رسالة إنانا التي حملها ننشوبر الى الآلهة .

ـ صيغ المحاورة التي دارت بين إنانا وحارس العالم السفلي (نيتي) أثناء هبوطها (سلالم) العالم السفلي (تكررت سبع مرات) .

ـ اجابات الآلهة للوزير ننشوبر (تكررت أربع مرات) .

ـ صيغ المحاورة بين (الگالا) آلهة العالم السفلي وبين إنانا اثناء رحلة البحث عن دموزي (تكررت خمس مرات) .

ب ـ في رحلة جلجامش :[*]

ـ بكاء جلجامش على صديقه انكيدو ، هو المقطع الأهم الذي تكرر على لسان جلجامش أكثر من مرة .

ـ صيغ التحية التي دارت بين جلجامش وبين كل من سيدوري (صاحبة الحانة) وأورشنابي (فلاح اوتونبشتم) و (اوتونبشتم) القصي والخالد الذي يسكن عند ملتقى الأنهار .

ـ الحكمة والنصيحة التي اسديت لجلجامش ، كانت ذاتها تتكرر على لسان الشخصيات الذين ذكروا في الفقرة السابقة .

ان هذا النوع من التكرار الذي يعتمد إعادة مقاطع كاملة بتراكيبها كالحوار الذي

www.iraqinhistory.com

يدور بين وزير (إنانا) مع الالهة ومع إنانا نفسها ، والاجابات التي يتلقاها الوزير ننشوبر من ننا (سين) و (انليل) ، وكالحوار الذي جرى بين جلجامش مع الشخصيات المختلفة التي يقابلها اثناء بحثه عن اوتونبشتم واجاباته الطويلة عليها ، فان تأثيرها تأثير (تراكمي) ، وكل اعادة فيها تذكي الاحساس بالاجهاد والاحباط وعناد المحاولة ، ومن ثم الاحتفاظ بها ، وترسم حركة انفعالية تبدو في ظاهرها بطيئة ، لكنها في الحقيقة مشحونة بالعواطف التي يفجرها الخوف من المصير المحتوم ، الموت الذي لا بد منه .

وهناك نوع ثالث من التكرار المتضمن اعادة بعض الصياغات ذات الطبيعة الوصفية ، أو ذات الطبيعة السردية الخالية من الوصف .

وأقرب الأمثلة الى الوضوح ، تلك الصياغات التي تصف إنانا وهي ترتدي ملابسها وحليها ، أو تلك التي تصف جلجامش واستبداده وانه (لم يترك عذراء لأبيها ، ولا ابنة المقاتل ولا خطيبة البطل)[١٥] والاستمرار في ترديد هذه النغمة أكثر من مرة ، ثم الصيغة التي تصف انكيدو بأنه (رجل انحدر من التلال ، انه اقوى من في البلاد وذو بأس شديد ، وهو في شدة بأسه وقوته مثل عزم آنو .... الخ)[١٦].

نجد التكرار في هذه الصيغ الوصفية يؤدي أكثر من وظيفة كالتاكيد على المضامين الجمالية (في حالة انانا) والمضامين النفسية (في حالة جلجامش) والمضامين الاستفزازية (في حالة انكيدو) .

أما تكرار الصيغ السردية الخالية من الوصف ، فان الباحثة تنتقي نموذجين ، تجد فيهما وظيفة واحدة ، وايقاعاً متماثلاً في فضائين مختلفين :

الفضاء الأول هو ذلك الجبل الكبير الذي يطلقون عليه « ماشو » الجبل الذي يحرس الشمس في شروقه وغروبه ، ويحرس بابه « الرجال العقارب الذين يبعثون الرعب والهلع ونظراتهم الموت »[١٧].

انه فضاء مغلق ، ومحفوف بالمخاطر ، ولكن جلجامش عازم على عبوره بموافقة « الرجل العقرب » ..

ولما ان سمع جلجامش ، اتبع كلمة « الرجل العقرب » ـ اتبع طريق مسير الشمس
ولما قطع ساعة مضاعفة كان الظلام دامساً ولا يوجد نور
فلم يستطع أن يبصر ما أمامه ولا ما خلفه

www.iraqinhistory.com

وسار ساعتين مضاعفتين
ولم يزل الظلام حالكاً ولا نور هناك
فلم ير ما أمامه وما خلفه

وتستمر رحلة جلجامش على هذا الايقاع :

ويعد أن قطع تسع ساعات مضاعفة أحس بالريح الشمالية
تلطم وجهه ولكن الظلام لم يزل دامساً
فلم يستطع أن يبصر ما أمامه وما خلفه
ثم سار عشر ساعات مضاعفة ، وبعد احدى عشرة ساعة بزغ الفجر.
وبعد أن قطع اثنتي عشرة ساعة مضاعفة عم النور
وأبصر أمامه أشجاراً تحمل الاحجار الكريمة(*)

انه ايقاع رتيب مشحون بالترقب إزاء الصورة القاتمة التي تصور « السير » في هذه البيئة المخيفة ساعات مضاعفة ـ توتر مضاعف يتصاعد إزاءه قرار ببلوغ النهاية ـ ظلام يتضاعف ، حتى يأخذ المشهد بنية متوالية نفسية تبعث على الترقب لتلمّس نتيجة ما

ان التكرار في هذه الصيغ المذكورة ، يحيلنا الى صورة تشبه الى حد « ما » مشاهد الرعب في الافلام الحديثة ايقاع الخطوات ـ الظلام الذي يتكاثف ـ المجهول ـ المديات غير المنظورة من الأمام ومن الخلف في فضاء مغلق . بمضي البطل داخل الظلام الذي يمثل نوعاً من الموت .

أدى التكرار وظيفة تجسيد المشاعر الانسانية ، كالعناد مثلًا ، وروح المغامرة في تخطي كابوس الخوف والظلام ، والتطلع البشري الى الانتصار على رموز الطبيعة وكشف ألغازها وصولًا الى حل اللغز الذي يشغل جلجامش ، مثلما يشغل البشر في وقتنا الحاضر وبعد مرور آلاف من السنين .

هناك نموذج آخر يوازى النموذج السابق في بنيته الى حد ما ، يجري في فضاء آخر مفتوح ، ولكنه محفوف بالخطر أيضاً

عندما قرر إيتانا انقاذ النسر من أسر الحية ، قرر الأخير أن يكافئه :

تعال يا صديقي سأحملك الى سماء عشتار
فان نبتة الولادة هي عند عشتار السيدة

www.iraqinhistory.com

وارتقى به النسر الى فرسخ مضاعف / يا صديقي انظر كيف هي البلاد ؟

ـ من البلاد ... (   ) / والبحر الفسيح هو مثل حظيرة

أصعده الى فرسخين مضاعفين

« يا صديقي انظر كيف هي البلاد

ـ أضحت البلاد بستاناً (   )

والبحر الفسيح هو مثل وعاء خشب صغير

أصْعدَهُ الى ثلاثة فراسخ مضاعفة

انظر يا صديقي كيف هي البلاد ؟

ـ مهما أنظر فقد اصبحت البلاد غير مرئية

يا صديقي ، لست اريد الصعود بعد الى السموات

وجه المسيرة لكي اعود الى الأرض[١٨]

ان تتابع المسافة باتجاه السماء وعلى جناحي نسر ، معبراً عنها بتكرار مراحل بلوغ النهاية ، كل هذا يؤكد لنا الاشارة الى (رموز التعالي) وهي الرموز التي تمثل كفاح الانسان لاحراز الهدف ، وفي هذه الحالة يكون الطير الرمز الاعظم ملاءمة للتعالي .. انه يمثل الطبيعة الخصوصية للحدس عاملاً عبر فرد قادر على الحصول على معرفة بالوقائع البعيدة .[١٩]

تعتقد الباحثة ان « مراحل بلوغ النهاية » هي مراحل « اللاوعي » التي تنشأ عن وضع حرج يجتازه « إيتانا » لوجود نقص قد يمحو اسمه من دنيا الخلود ، لأن الطير ما إن يبلغ السماء أو ما يقاربها ، حتى تستيقظ القوة الواعية لدى إيتانا فيبدأ بالسقوط عوداً الى حالته الأولى

يضعنا سياق الاسطورة امام هذا الاستنتاج ، كما ان سياق التكرار (التالي) هو الذي يؤشر هذه الحقيقة

وعند أول فرسخ مضاعف سقط

فهوى النسر وتلقاه على ظهره

عند فرسخين مضاعفين سقط

و[illegible] النسر وتلقاه على ظهره

عند ثلاثة فراسخ مضاعفة سقط

وهوى النسر وتلقاه

التتمة مخرومة للاسف ، ولا يسعنا تحميل النص أكثر من طاقته

ب الاستفهام الانكاري

الاستفهام ـ في معناه العام ـ سؤال يقتضي جواباً ، ويكون عادة ، بين مرسِل ومرسَل اليه ، وفي تقصينا لنصوص الرحلات ، توفرنا على صيغ استفهامية تتوزع هذه النصوص وتتماثل في تراكيبها الى حدّ لافت للانتباه . لأنه يشكل سمة أ « بنية » اسلوبية تقتضي الاشارة .

بعد أن أوصدت سيدوري الباب بوجه جلجامش ناداها قائلًا

ما الذي انكرت فيّ يا صاحبة الحانة ؟

ثم يقدم لها نفسه ، ويعدد انتصاراته ، تجيبه :

إن كنت حقاً جلجامش الذي قتل حارس الغابة ..

فلِمَ ذبلت وجنتاك ...؟

وعلام ملك الحزن قلبك ...؟

ولِمَ صار وجهك أشعث ...؟

وكيف لفح الحر وجهك ...؟

وعلامَ تهيم في الصحاري ...؟

فأجاب جلجامش صاحبة الحانة :

كيف لا تذبل وجنتاي وقد أدرك مصير البشر صاحبي ؟

فيا صاحبة الحانة ، وأنا أنظر الى وجهك

أيكون في وسعي ألا أرى الموت ...؟

فاجابت صاحبة الحانة :

الى أين تسعى يا جلجامش ؟(٢٢)

وتتكرر هذه الصيغ الاستفهامية بمضامين مختلفة ، وعلى لسان معظم الشخصيات في الملحمة ، إن لم نقل جميعهم :

قال « اوتونبشتم » لجلجامش

ان الموت قاس لا يرحم

هل بنينا بيتاً يقوم الى الأبد ؟

هل ختمنا عقداً يقوم الى الأبد ؟

www.iraqinhistory.com

وهل تبقى البغضاء ...؟

وهل يرتفع النهر ...؟[٢٣]

وحتى في حالة تقرير حقيقة ما فان ذلك يكون باسلوب الاستفهام

وياما أعظم الشبه بين النائم والميت ،

ألا تبدو عليهما هيئة الموت ؟[٢٤]

بل ووصل الأمر بجلجامش حدّ المحاججة مع الإله وانكار ضعفه

لقد تصورك لبي كاملًا كالبطل على أهبة القتال

فاذا بي أجدك ضعيفاً مضطجعاً على ظهرك

فقل لي : كيف دخلت في مجمع الآلهة ووجدت الحياة الخالدة ؟

ان الاستفهام الذي أوردناه ، يخدم ـ في معظمه ـ نهجاً فكرياً قائماً على الانكار والشك ، وعدم التسليم بالحقائق على انها حقائق نهائية ، فالافكار مطروحة في نسق مفتوح يتسع للاضافات يوسع دائرة الحوار ، ويمنحه استمرار الحركة . نقرأ في رحلة إنانا الى العالم السفلي في حوار مع البواب نيتي حارس العالم السفلي

أرجوك من أنتِ ؟

أنا إنانا من الأرض حيث تشرق الشمس

اذا كنت إنانا من الأرض حيث تشرق الشمس

أسألك ، لماذا جئت الى أرض اللارجعة ؟

وكيف قادتك نفسك الى طريق لا رجعة منه لمسافر ؟[٢٦]

وتبقى إنانا في حالة استفهام متكرر ، وهي تنزل درجات العالم السفلي محتجة على تجريدها من ملابسها : « أرجوك ، ما هذا ؟ » وينصحها نيتي أن تسكت ، لكنها ما تلبث أن تستفهم ثانية .. وهي التي يفترض أن تكون عارفة بتقاليد العالم السفلي .

وحينما صعد ادابا الى السماء ، كان دموزي وكيزيدا يقفان على باب آنو ، حينما رأياه صرخا « واعجبا !

يا رجل لمن ارتديت بهذا الشكل يا أدابا ؟[٢٧]

لمن ارتديت ثوب الحداد هذا ؟

ـ لأن إلٰهين اختفيا في بلادنا

من هما هذان الإلٰهان ...؟

www.iraqinhistory.com

وحينما مثل ادابا أمام الملك أنو إذ رآه هذا صرخ
تعال هنا يا أدابا لماذا حطمت جناح ريح الجنوب
وعلى لسان دموزي وكيزيدا
لماذا كشف ايا لبشر غير مستحق أمور السماء والأرض ؟
فنحن ماذا سنعمل له ؟
ويقول آنو لآدابا
تعال هنا يا ادابا لماذا لم تأكل ولم تشرب ؟
مِنْ بين آلهة السماء والأرض مهما كان عددهم
مَنْ كان من شأنه أن يتكلم هكذا ؟ مَنْ بوسعه أن يجعل أمره عظيماً هكذا ؟(٢٨)

ولا نستثني (رحلة ايتانا الى السماء) في تبنيها لاسلوب الاستفهام وبخاصة في الحوار الذي يدور بينه وبين النسر وهما في أعالي الفضاء ، حيث يكرر النسر سؤاله لايتانا « انظر يا صديقي كيف هي البلاد » ؟.

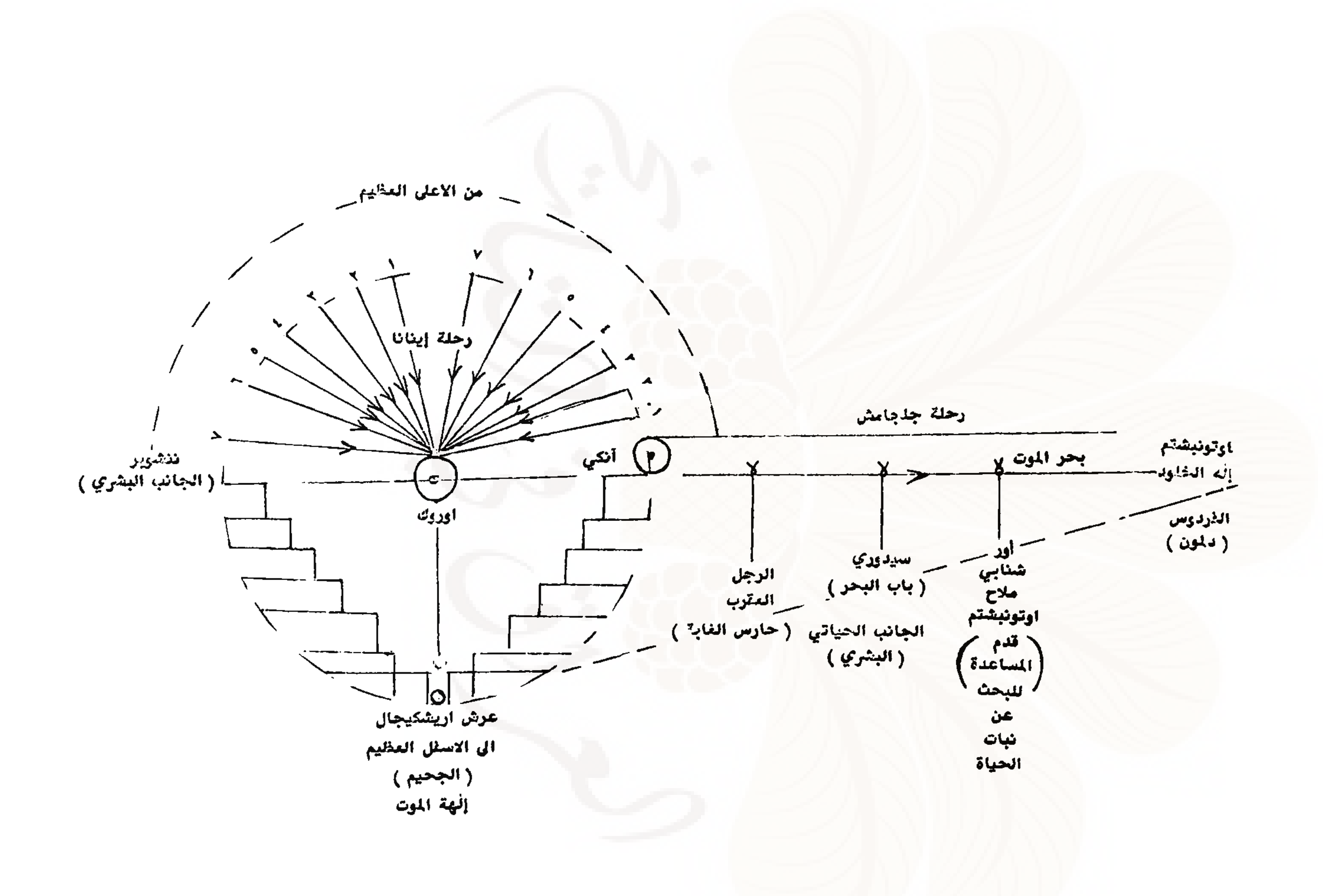
ترى الباحثة ان الاستفهام ـ وإن استخدم بكثرة ـ في أساطير الرحلات ، إلا انه لم يكن أداة جمالية بل كانت وظيفته احداث التوتر ، ويميل في معظمه الى التأنيب أو التشفي أو السخرية . وقد نلمس فيه « طابعاً تعليمياً » يهدف الى تقرير الحقيقة عن طريق تكرار الاسئلة ذاتها من قبل السامع ، واشراكه في وضع اجابات

www.iraqinhistory.com

دائـــرة فعـــل البطـــــل

جلجامش / هو الذي رأى كل شيء	إنانا / هي التي رأت كل شيء
١ ـ يقرر الرحلة الى عالم الاحياء (الفردوس)	١ ـ تقرر الرحلة الى العالم السفلي (الجحيم)
٢ ـ يبحث عن سر الخلود	٢ ـ تبحث عن سر الموت
٣ ـ يصارع العدو (الثور السماوي) الذي يمثل سبع سنين عجاف (يرمز للموت)	٣ ـ تصارع العدو (اريشكيجال) التي ترمز الى الموت
٤ ـ يحزن على موت انكيدو	٤ ـ تحزن على موت دموزي
٥ ـ يعبر ماء الموت بـ(١٢٠) مردياً بمصاحبة اورشنابي (فلاح اوتونبشتم)	٥ ـ تعبر بوابات العالم السفلي (بوابات الموت) بمصاحبة نيتي (حارس اريشكيجال)
٦ ـ يتجرد من الملابس (بامر اوتونبشتم) ويغتسل بماء الحياة	٦ ـ تجرد من ملابسها بأمر من اريشكيجال
٧ ـ يرتدي ملابس جديدة	٧ ـ تعاد لها ملابسها من جديد
٨ ـ يقع تحت تاثير النوم (ستة أيام)	٨ ـ تقع تحت تاثير الموت (ثلاثة أيام)
٩ ـ جلجامش يُمنح عشبة الخلود بتدخل (زوجه اوتونبشتم) / جنس مؤنث	٩ ـ ترش بماء الحياة وطعام الحياة بواسطة مخلوقين لا جنس لهما
١٠ ـ جلجامش يستخرج عشبة الخلود من مجرى الماء	١٠ ـ ماء الحياة وطعام الحياة عند إله الماء
١١ ـ يصطحب (اورشنابي) في رحلة العودة	١١ ـ يصطحبها (الگالا) في رحلة الصعود (العودة)
١٢ يتعرض لسخرية (اوتر شتم) (سخرية الآلهة من البشر)	١٢ ـ تتعرض لشماتة اريشكيجال (سخرية الآلهة من الآلهة)
١٣ ـ الانطلاق والعود من / الى (أ [illegible]ك) ـ [المدينة]	١٣ ـ الانطلاق والعودة من / الى (اوروك) [المدينة]
١٤ ـ الر[illegible]ـة شمسية [illegible] من الافق الى الافق وبالعكس (افقية)	١٤ ـ الرحلة قمرية من الأعلى الى الاسفل وبالعكس (دائرية)
١٥ ـ يخسر الخلود	١٥ ـ تخسر دموزي
١٦ ـ ثلثه بشر وثلثاه إله	١٦ ـ إلاهة

www.iraqinhistory.com


من الاعلى العظيم
رحلة إينانا
رحلة جلجامش
نفشور
(الجانب البشري)
اوروك
آنكي
بحر الموت
اوتونبشتم
إله الخلود
الفردوس
(دلمون)
الرجل
العقرب
(حارس الغابة)
سيدوري
(باب البحر)
الجانب الحياتي
(البشري)
أور
شنابي
ملاح
اوتونبشتم
قدم
المساعدة
للبحث
عن
نبات
الحياة
عرش اريشكيجال
الى الاسفل العظيم
(الجحيم)
إلهة الموت

رحلتا أدبا وإيتانا الى السماء

ادابا	إيتانا
يستدعى للرحلة الى السماء	١ ـ يقرر الرحلة الى السماء
٢ ـ يستمع الى تحذير (إيا ـ آنكي) من طعام الموت وماء الموت (بحثاً عن الخلود)	٢ ـ يبحث عن نبات الولادة (الخلود الممكن)
٢ ـ يصارع العدو (الريح الجنوبية) المغرقة رمز الموت)	٣ ـ يصارع الحية
٤ يعبر بوابة السماء بمساعدة دموزي وكيشزيدا	٤ ـ يصل الى ارتفاع معين قريباً من السماء
٥ ـ يتشح بملابس السواد ويطلق شعره بأمر (إيا ـ آنكي)	٥ ـ الحلول افتراضية
٦ ـ يرفض طعام الحياة وماء الحياة	٦ ـ الحلول افتراضية بسبب نقص في النص
٧ ـ يمنح الحكمة من (آنو) إله السماء	٧ ـ الحلول افتراضية
٨ ـ يتعرض لسخرية (آنو) سخرية الآلهة من البشر	٨ ـ الحلول افتراضية
٩ ـ الانطلاق والعودة من ـ الى أريدو [المدينة]	٩ ـ الانطلاق والعودة من ـ الى (لجش) ـ [مدينة]
١٠ ـ الرحلة عمودية ـ من الأرض الى السماء ، وبالعكس	١٠ ـ الرحلة عمودية من الأرض الى السماء وبالعكس
١١ ـ يخسر الخلود	١١ ـ يكمل مهمته سلباً أو ايجاباً (افتراضية) ..؟
١٢ ـ بشر بنسب إلهي	١٢ ـ بشر بنسب إلهي

www.iraqinhistory.com

خرق المحظور

الشخصية	المحظور	الامتحان	النتيجة	التعويض
جلجامش	١ ـ يستبد في اوروك ٢ ـ يصرع الثور السماوي ٣ ـ يعبر بحر الموت	يمتحن بالنوم	لم يقاوم النوم (الفشل)	حيازة المعرفة (هو الذي رأى كل شيء في عالم الاحياء)
إنانا	١ ـ تتزين خلافاً لمحرمات العالم السفلي ٢ ـ تترك معبدها ٣ ـ تقتحم العالم السفلي	١ ـ تمتحن بالتجريد والموت ٢ ـ تمتحن بطلب البديل	لم تقاوم الموت وتسلم البديل ليموت (الفشل)	حيازة المعرفة (هي التي رأت كل شيء في عالم الاموات)
أدابا	١ ـ يكسر جناح الريح الجنوبية	يمتحن بالطعام والشراب	لم يختر الطعام والماء (الفشل)	حيازة الحكمة والشفاء
إيتانا	يطير على أجنحة طير الى السماء	يمتحن بمقاومة الفضاء	لم يقاوم في الصعود	؟

المانحون

البطـل	المانح للبطل	طبيعته	مسكنه	هديته للبطل
جلجامش	اوتونبشتم	إله بنسب بشري	ملتقى الانهار	سر الخلود (عشبة)
إنانا	آنكي ـ ايا	إله	في الماء	طعام الحياة وماء الحياة (الخلود)
ادابا	آنو	إله	في السماء	طعام الحياة وماء الحياة (الخلود)
ايتانا	عشتار	إلاهة	في السماء	عشبة الولادة (الخلود الممكن)

www.iraqinhistory.com

المساعدون

في رحلة جلجامش	أ ـ الرجل العقرب ب ـ سيدوري جـ ـ اورشنابي (وسيط ومساعد)	حارس (بوابة الجبل) صاحبة الحانة (عند البحر) ملّاح (شاطىء الموت)	يفتح بوابة الجبل للبطل تدل البطل على الطريق الى المانح يصطحب البطل الى المانح
في رحلة إنانا	أ ننشوبر (وسيط ومساعد) ب ـ كالاتور وكورجارا	وزير (بوابة العالم السفلي) لا جنس لهما (في العالم السفلي)	يتوسط للبطل لدى الآلهة ياتيان بطعام وماء الحياة للبطل من المانح
في رحلة ادابا	(وسيط ومساعد) أ ـ دموزي وكيشزيدا ب ـ إيا / آنكي (المساعد سلباً)	حارسان (عند بوابة السماء) إله (يسكن الماء)	يتوسطان للبطل لدى المانح ينصح البطل بعدم قبول الهدية من المانح
في رحلة ايتانا	أ ـ النسر ب شمس (وسيط ومساعد)	أسير (في كمين) عند الجبل عند بوابة الشروق	يحمل البطل الى سماء المانح يدل البطل على الوسيط الذي يحمله الى المانح

www.iraqinhistory.com

الهوامش

١ - ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد الأول ، دار لسان العرب ، بيروت ، مادة رحل .

٢ - الشامي (صلاح الدين) ، الرحلة العربية في المحيط الهندي ، مجلة عالم الفكر ، المجلد ١٣ العدد الرابع ، (الكويت ، ١٩٨٣) ، ص ١٣

٣ - م . ن . ، ص ١٣

٤ - انظر فهيم (حسن محمد) ، أدب الرحلات ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت ، ١٩٨٦) ، ص ٢١ - ٢٢

٥ - عبدالله (نادية محمود) ، الرحلة بين الواقع والخيال ، مجلة عالم الفكر ، (مصدر سابق) ، ص ٩٧

٦ - الشامي (صلاح الدين) ، الرحلة العربية في المحيط الهادي ، مجلة عالم الفكر ، (مصدر سابق) ، ص ١٣

٧ - فهيم (حسين محمد) ، أدب الرحلات ، (مصدر سابق) ، ص ٤٣

٨ - بدوي (عبدالرحمن) ، الديوان الشرقي للمؤلف الغربي ، مكتبة النهضة المصرية ، سلسلة الروائع المائة ، (القاهرة ، ١٩٤٤) ، تقرير عام ، ص ١

٩ - م . ن ، ص ١

١٠ - عثمان (حسن) ، الكوميديا الإلٰهية (الجحيم) ، دانتي ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، ص ٥٧

١١ - م . ن ، ص ٥٧

١٢ - كاوفمان (والتر) ، حتمية الاغتراب ، تصدير كتاب (الاغتراب) ، تأليف ريتشارد شاخت ، ترجمة كامل يوسف حسين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت ، ١٩٨٠) ، ط ١ ص ٢٥

١٣ - كاوفمان ، (مصدر سابق) ، ص ٥٧

١٤ - م . ن ، ص ٥٧

١٥ - شاخت (ريتشارد) ، الاغتراب ، (مصدر سابق) ، ص ١٧٦

١٦ - م . ن ، ص ١٨٩

١٧ - كاوفمان ، (مصدر سابق) ، ص ٥٤

١٨ - شاخت ، الاغتراب ، (مصدر سابق) ، ص ٦١

١٩ - م . ن ، ص ٦١

٢٠ - م . ن ، ص ٦٠

٢١ - كاوفمان ، حتمية الاغتراب ، ص ٥٥

www.iraqinhistory.com

٢١ ـ م . ن ، ص ٥٣

٢٢ ـ يونغ (كارل غوستاف) وجماعة من العلماء ، الانسان ورموزه ، ترجمة سمير علي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، سلسلة الكتب المترجمة (١٣٠) ، (بغداد . ١٩٨٤) ، ص ١٢١

٢٤ ـ كاوفمان ، حتمية الاغتراب ، ص ٢٣

٢ ـ م . ن ، ص ٢٥

٢ ـ ينظر بدوي (عبدالرحمن) ، الديوان الشرقي ، ص ١

*) ينظر الفصل الاول ، الموضوع الخاص بالابعاد الكونية الثلاث للرحلة الى الفردوس والجحيم

٢٧ ـ ديرلاين ، فردريش فون ، الحكاية الخرافية ، ترجمة نبيلة ابراهيم ، دار القلم ، (بيروت ت بلا) ، ص ١١٨

٢٨ ـ ينظر كريمر ، الاساطير السومرية وينظر كذلك السومريون ، وينظر كذلك المصدر السابق ، ص ١٦١

٢٩ ـ ينظر ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ٢٣

٣ ـ ينظر الشوك ، علي ، من روائع الشعر السومري ، ص ٦

٣١ ـ ينظر كريمر ، أساطير العالم القديم ، ص ١٠٣ وينظر كذلك كونتينو ، الحياة اليومية ، ص ٢٤٦

٣٢ ـ ينظر لابات ، رينيه ، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ص ٢٤٩ وينظر كذلك كريمر ، اساطير العالم القديم ، ص ١٠٤

٣٢ ـ فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة ، ص ٢٧

٣٤ ـ م . ن ، ص ٢٧

٣٥ ـ ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ٢٥

٣٦ ـ م . ن ، ص ٢٥

٣٧ ـ م . ن ، ص ٢٥

٣٨ ـ لابات ، رينيه ، معتقدات ، ص ٢٨٦

٣٩ ـ ساندرز ، ملحمة ، ص ٢٥

٤ ـ لابات ، معتقدات ، ص ٣٠٤

٤١ ـ كريمر ، طقوس الجنس المقدس ، ص ١١٢

٤٢ ـ م . ن ، ص ١٧٠

٤٣ ـ م . ن ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤

٤٤ ـ كريمر ، اساطير العالم ، ص ١٠٣

٤٥ ـ كونتينو ، الحياة اليومية ، ص ٣٤٦

www.iraqinhistory.com

٤٦ - انظر لابات في كتابه المعتقدات الدينية ، ص ٣٤٣ وينظر أيضاً بوتيرو ، بلاد الرا
(الكتابة ، العقل ، الآلهة) ، ص ٣٠٦
(*) أبكالو : ينظر بوتيرو ، ص ٣٠٦
٤٧ - بوتيرو ، جان ، بلاد الرافدين ، ص ٣٠٦
٤٨ - رو (جورج) ، العراق القديم ، ص ١٥٣
٤٩ - اوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٣٤٤
٥٠ - رو (جورج) ، العراق القديم ، ص ١٥٤
٥١ - م . ن ، ص ١٥٤
٥٢ - لابات (رينيه) ، المعتقدات ، ص ٣٤٣
٥٣ - رو (جورج) ، العراق القديم ، ص ١٥٣
٥٤ - م . ن ، ص ١٥٥
٥٥ - اوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٣٤٣
٥٦ - كريمر ، اساطير العالم القديم ، ص ١٠٢
٥٧ - م . ن ، ص ١٠٣
٥٨ - م . ن ، ص ١٠٣
٥٩ - اوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٣٤٣
٦٠ - م . ن ، ص ٣٤٤
٦١ - كونتينو ، الحياة اليومية ، ص ٣٤٧
٦٢ - اوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٣٤٣
٦٣ - كونتينو ، الحياة اليومية ، ص ٣٤٧
٦٤ - ينظر الفصل الاول من بحثنا في المبحث الخاص بايتانا
٦٥ - رو (جورج) ، العراق القديم ، ص ١٦٥
٦٦ - اوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٣٤٣
٦٧ - م . ن ، ص ٣٤٣
٦٨ - رو (جورج) ، العراق القديم ، ص ١٦٥
٦٩ - لابات (رينيه) ، المعتقدات ، ص ٣٥٠
٧٠ - م . ن ، ص ٣٥٠
٧١ - كونتينو ، الحياة اليومية ، ص ٣٤٧
٧٢ - لابات (رينيه) ، المعتقدات ، ص ٣٥٠
٧٣ - رو (جورج) ، العراق القديم ، ص ١٦٨
٧٤ - طه باقر ، ملحمة جلجامش ، ص ٤٩ ، ط ٥ .

www.iraqinhistory.com

٧٥ ـ م . ن ، ص ٥٢

٧٦ ـ ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ٢١

٧٧ ـ م . ن ، ص ٢٢

٧٨ ـ دياكانوف ، جماليات ملحمة جلجامش،ترجمة عزيز حداد ، منشورات مكتبة الصياد ، (بغداد ، ١٩٧٣) ، ص ٢٥

٧٩ ـ السواح (فراس) ، ملحمة جلجامش ، دار الكلمة للنشر ، ط ٢ (بيروت ، ١٩٨٣) ، ص ٨ .

٨٠ ـ ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ٢٢

٨١ ـ اوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٣٣٦

٨٢ ـ م . ن ، ص ٣٣٧

٨٣ ـ م . ن ، ص ٣٣٧

٨٤ ـ باقر (طه) ، الملحمة ، ص ٥١

٨٥ ـ م . ن ، ص ٧٧

٨٦ ـ م . ن ، ص ٧٧

٨٧ ـ م . ن ، ص ٧٧

٨٨ ـ م . ن ، ص ١٠٥

٨٩ ـ م . ن ص ١١٤

٩٠ ـ باقر (طه) ، الملحمة ، ط ٥ ص ١٢٨

٩١ ـ ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ٣٦

٩٢ ـ اوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٣٣٨

٩٣ ـ كريمر ، طقوس الجنس المقدس ، ص ١٠٢

٩٤ ـ باقر (طه) ، الملحمة ، ط ٥ ص ١٠٨

٩٥ ـ ينظر الفصل الثالث من بحثنا حول نزول إنانا الى العالم السفلي وتعرضها للموت هناك .

٩٦ ـ اوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٣٣٧

٩٧ ـ ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ٣٣

٩٨ ـ باقر (طه) ، الملحمة ، ص ١٣٤

٩٩ ـ م . ن ، ص ١٣٤

١٠٠ ـ كونتينو ، الحياة اليومية ، ص ٣٤٦

١٠١ ـ لابات ، رينيه ، المعتقدات الدينية ، ص ٣٤٤

١٠٢ ـ كريمر ، اساطير العالم القديم ، ص ١٠٣

١٠٣ ـ كريمر ، اساطير العالم القديم ، ص ١٠٣

www.iraqinhistory.com

١٠٤ ـ لابات (رينيه) ، المعتقدات ، ص ٣٤٥
١٠٥ ـ م . ن ، ص ٣٤٥
١٠٦ ـ م . ن ، ص ٣٤٥
١٠٧ ـ كريمر ، اساطير العالم القديم ، ص ١٠٤
١٠٨ ـ لابات (رينيه) ، المعتقدات ، ص ٣٥٠
١٠٩ ـ م . ن ، ص ٣٦٢
١١٠ ـ م . ن ، ص ٣٦٢
١١١ ـ م . ن ، ص ٣٦٢
١١٢ ـ كريمر ، اساطير العالم القديم ، ص ٨٧ .
١١٣ ـ كريمر ، اساطير العالم القديم ، ص ٨٨ .
١١٤ ـ اوينهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٣٣٨
١١٥ ـ باقر (طه) ، ملحمة جلجامش ، ص ١٥٠
١١٦ ـ اوينهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٣٣٨
١١٧ ـ باقر (طه) ، ص ١٦٢
١١٨ ـ اوينهايم ، بلاد ما بين النهرين ، ص ٣٣٨
١١٩ ـ باقر ، طه ، ملحمة جلجامش ، ص ١٦٤
١٢٠ ـ كريمر ، اساطير العالم القديم .
١٢١ ـ بروب (فلاديمير) ، مورفولوجيا الحكاية الخرافية ، ترجمة ابو بكر أحمد باقادر وأحمد عبدالرحيم نصر ، النادي الادبي الثقافي في جدة ، ط ١ ١٩٨٩ ص ١٠٠
١٢٢ ـ م . ن ، ص ١٠٠
(*) ينظر الفصل الثالث من بحثنا حول هبوط انانا الى العالم الاسفل .
١٢٣ ـ ينظر ذريل (عدنان) ، ص ٥٨
١٢٤ ـ كونتينو ، ص ٣٤٦

هوامش
(بنيات أسلوبية)

١ ـ كريمر ، طقوس الجنس المقدس ، ص ٥٩
٢ ـ ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ٤٣
٣ ـ شعراوي (عبدالمعطي) ، مقدمة الالياذة / فرجيليوس ، ترجمة كمال ممدوح ومجموعة من الباحثين ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، (القاهرة ، ١٩٧١) ، جـ ١ ص ٦٥ .
٤ ـ كريمر ، طقوس الجنس المقدس ، ص ٤١

www.iraqinhistory.com

٥ باقر (طه) ، الملحمة ، ص ٢٨
٦ م . ن ، ص ٢٨
٧ ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ٤٣
٨ كريمر ، السومريون ، ص ٢٥٥
٩ ـ موسكاتي (سبينو) ، ص ٨٣ .
١ ـ ينظر الفصل الثالث من بحثنا حول نزول إنانا الى العالم السفلي
١١ ـ باقر (طه) ، الملحمة ، ص ٧٩
١٢ ـ انظر كريمر ، طقوس الجنس المقدس ، ص ٤١
١٣ ـ ساندرز ، ملحمة جلجامش ، ص ٤٣
١٤ ـ م . ن ، ص ٤٣
(*) لا يمكن احصاء عدد التكرارات المقطعية في الملحمة بشكل محدد كالذي وجدناه في اسطورة نزول إنانا الى العالم السفلي ، لوجود تشوهات ونقص في امكنة متعددة لها علاقة بهذه المقاطع
١٥ ـ باقر ، طه ، ملحمة جلجامش ، ص ١٨٠
١٦ ـ باقر ، طه ، ملحمة جلجامش ، ص ٨١ .
١٧ ـ م . ن ، ص ١٢٠
(*) ينظر نص اسطورة ايتانا في آخر الرسالة
١٨ ـ لابات ، ص ٣٦٢
١٩ ـ يونغ ، الانسان ورموز ، ترجمة سمير علي ، دائرة الشؤون الثقافية ، (بغداد ، ١٩٨٤) ، ص ٢٠٢
٢٠ ـ لابات ، المعتقدات ، ص ٣٦٢
٢١ ـ م . ن ، ص ٣٦٢
٢٢ ـ ينظر باقر (طه) ، الملحمة ، الصفحات ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦
٢٣ ـ بخصوص النصوص الخاصة بجلجامش ، ينظر الملحق (اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش في آخر الرسالة)
٢٤ ـ ينظر : باقر (طه) ، الملحمة ، ص ١٤٧
٢٥ ـ م . ن ، ص ١٤٧
٢٦ ـ ينظر : فاضل (عبدالواحد) ، عشتار ومأساة تموز ، ص ١٩٤
٢٧ ـ ينظر : لابات (رينيه) ، المعتقدات ، ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨
٢٨ ـ ينظر الملحق (اسطورة ادابا) في آخر الرسالة .
٢٩ ـ ينظر : لابات (رينيه) ، المعتقدات ، ص ٣٦١

www.iraqinhistory.com

الخـــاتمـــة

ذكرنا في مقدمة البحث كيف ان اساطير الرحلات عامة وبضمنها اساطير الرحلات الى الفردوس والجحيم، لم تجد طريقها الى التصنيف والمعالجة في مصنفات الباحثين في أساطير العالم القديم، أو أساطير العراق القديم، على حد سواء.

كما ذكرنا كيف اننا اخترنا أربعة نصوص اسطورية وملحمية لتكون نماذج لدراسة هذا اللون من الأساطير، مهتدين بما يناسب الموضوع من مناهج مختلفة بما فيها المناهج الحديثة لدراسة الاسطورة.

أما الأساطير التي اخترناها فهي اسطورة هبوط إنانا الى العالم السفلي ـ اسطورة أدابا ـ اسطورة إيتانا ـ ملحمة جلجامش.

من خلال دراستنا للاسطورة والملحمة والخرافة في الفصل الأول استطعنا أن نضيف (أساطير الرحلات الى الفردوس والجحيم) أو (أساطير البحث عن الخلود) لتكون أحد أنواع الأساطير التي تأخذ حيزاً في الأهمية، لكونها تلقي الضوء على الجذور الأولى لمثل هذا النوع من الأساطير في الآداب القديمة في العالم باعتبار ان الاساطير السومرية هي أقدم النماذج المكتشفة حتى الآن، في حضارات العالم القديم

وفي تناولنا للأبعاد الكونية الثلاثة للرحلات الى الفردوس والجحيم، وجدنا ان « الرحلات » يتحرك أبطالها في ثلاثة اتجاهات، تشترك في كونها أبعاداً ميتافيزيقية غير منظورة، وهي السماء العظيمة، الأرض السفلى العظيمة، الأرض القصية، أي

www.iraqinhistory.com

باتجاه الاعلى ، وباتجاه الأسفل ، وباتجاه الافق . ووجدنا كذلك ان كلًا من هذه الأبعاد الثلاثة مفصول عن الكون المرئي بحاجز طبيعي محسوب الأبعاد ، تتناسب طبيعته وطبيعة الجهة الكونية التي يتوجه اليها البطل في رحلته ، وتتميز بكونها فضاءات عازلة وقصية ، غير مأمونة العواقب ، يدخلها بطل الرحلة مدفوعاً بالجرأة وحب المغامرة ، ولكنه لا يستبعد عنه القلق والخوف والحذر الشديد كي يصل الى هدفه المرسوم بأقل الخسائر.

وهذه الفضاءات أشبه ما تكون بسلاسل : جبلية ـ مائية ـ وفضائية ، تقاس بالفراسخ أو « المرادي » (مفردها مردي) أو السلالم ، يثقل فيها الزمن ويتأزم الصراع مع الذات من أجل الخلاص .

أما عن « الفردوس » الذي درسناه في الفصل الثاني ، فاننا لم نعثر على مكان للجنة ، سوى « دلمون » التي تعتبر أقدم جنة في حضارات العالم القديم ، وان السومريين هم أول من أسس فكرة نشوء الجنة في « اسطورة العصر الذهبي » أولًا وفي اسطورة « دلمون » ثانياً

ولم تعطنا اسطورة دلمون فكرة واضحة عن الجنة أصلها ـ طبيعتها ـ جغرافيتها ـ سبب اختيارها ـ أو حتى المقيمين فيها ، لكن المصادر التاريخية تحدثنا عن مدينة في جزيرة البحرين كان لها وجود تاريخي يرقى الى العصر السومري ، وهي مدينة « دلمون » كانت تعيش حياة الرخاء ، ولها علاقات تجارية ، تصب فيها تجارة افريقيا والهند من جهة ، وتجارة التجار السومريين من جهة اخرى ، يتوفر فيها العاج والذهب والنحاس والخشب واللؤلؤ ، وكل بضاعة نفيسة .

أما « الجحيم » أو « العالم السفلي » الذي كان موضوع الفصل الثاني ، فهو عالم غيبي يقوم وصفه على التصور والخيال ، ويعتمد المحظورات التي لا يجرؤ أحد على خرقها ، سواء من البشر كأنكيدو ، أو من الآلهة كإنانا ، ومن يخرق هذه المحرمات يتعرض للموت لا محالة . كما ان من ينزل الى ذلك العالم ، لا يستطيع الخروج أبداً منه

وهذا ما يفسر كيف ان اختفاء الآلهة إنانا في العالم السفلي اقتضى توسط إله الماء انكي ، الذي لولاه ، لبقيت إنانا أسيرة العالم السفلي .

السماء بالنسبة لأدابا غير واضحة المعالم أيضاً سوى وجود بوابة السماء التي يحرسها إلهان هما (دموزي ، وننكيزده) ، وسوى وجود الإله آنو الذي يحكم

www.iraqinhistory.com

السماء . أما كيف وصل أدابا الى السماء ، وما هي الوسيلة التي حملته من الارض الى هناك ؟ فتلك مسألة ما تزال يكتنفها الغموض ، رغم وصول نص الاسطورة كاملًا وسالماً حسب رواية الباحثين .

أما عن النسر الذي حمل إيتانا الى السماء ، فلنا رأي في ذلك ، وهو ان النص الذي بين أيدينا ، والحوار الذي دار بين إيتانا والنسر أثناء ارتفاعهما الى أعلى ، كل ذلك يوحي بأن أدابا قد صعد فعلًا الى ارتفاعات شاهقة في الفضاء ، بدليل اجاباته التي لا يمكن إلا أن تكون منطقية ومقبولة . فهو قد بدأ يرى الأرض من أعلى (وقد أضحت مثل بستان) (والبحر الفسيح مثل وعاء خشب صغير) ، وبعد الصعود الى مسافات أعلى ، لم يعد إيتانا يرى الأرض ، فانتابه الخوف والقلق حتى طلب من النسر أن يعيده الى الأرض قبل أن يدرك غرضه .

تميزت أساطير الرحلات بأنها تدور حول « بطل » تتمحور الحكاية حوله ، وكل الشخوص والأحداث توظّف باتجاه معاونته على انجاز الرحلة التي قرر القيام بها طوعاً ، مثل جلجامش ، إنانا ، وإيتانا ، أو قسراً مثل أدابا . حتى لتبدو الرحلة مظهراً من مظاهر تفرد البطل وتميزه ، باعتبارها تحقيقاً للذات من خلال اكتشاف عالم جديد ، بمفاهيم جديدة ، لا يستطيع البشر العاديون اكتشافه ، أو الوصول اليه .

إذن ، أبطال الرحلات يحملون سمات خاصة ، فهم ليسوا أشخاصاً عاديين ـ كما رأينا في الفصل الرابع ـ ولكنهم شخصيات ذات طابع جسدي وروحي مميزين .. يحملون في أعماقهم روح الجرأة والمغامرة ، متسلطون ، مقتدرون ، ينتمون الى الآلهة ، أو الملوك ، أو يجمعون بين صفة الآلهة والبشر .

ولكل بطل مانح ومساعدون ووسطاء ، ومن اللافت للانتباه ان معظم الذين يساعدون البطل يقفون في حراسة إحدى البوابات : بوابة الجبل ، بوابة البحر ، بوابة السماء ، بوابة العالم السفلي ، وهم الذين يدلون البطل على الطريق ، ويقدمون له النصح ، أو يشرحون له المحاذير ، أو ربما يصاحبونه كما فعل أورشنابي مع جلجامش ، أو ننشوبر مع إنانا

وكل بطل من أبطال الرحلات ، يقابله في الطرف الآخر من الرحلة شخصية (إلٰهية) تفوقه في الفهم والمعرفة ، وهي هدف البطل للوصول اليها

أما الهدف الأهم الذي وراء الرحلة ، فهو البحث عن « الخلود » عن طريق الحصول على مادة مجسدة تدعى طعام الحياة ، نبات الحياة ، عشبة الخلود . وفي كل

www.iraqinhistory.com

الاحوال تكون هذه المادة المجسدة والتناول منها ، هو العلامة الفارقة بين الآلهة والبشر .

في اساطير الرحلات الى الفردوس والجحيم لم نتوفر على ذكر وسيلة نقل حملت البطل الى السماء ، أو الى الفردوس الارضي ، أو الى العالم السفلي ، باستثناء إيتانا الذي حمل على جناحي نسر .

يلتقي أبطال الرحلات في وجود نقطة تحول في حياة كل منهم تكون دافعاً للرحلة وفي كل مرة ، تكون نقطة التحول عبارة عن ارتكاب أحد المحرمات التي تستدعي عقاباً من الآلهة (قتل الثور السماوي الذي تسبب في موت انكيدو ـ كسر أجنحة الريح الجنوبية التي تسببت في توقف هبوبها ـ خرق محظورات العالم السفلي في الهبوط والتزيّن)

يشترك أبطال الرحلات في أن رحلاتهم الى الفردوس والجحيم ، انتهت نهاية مأساوية ولم يتحقق لأحد منهم أن يبلغ ما أراد تحقيقه ، وكأن هذه النهاية المأساوية مرسومة سلفاً في تصورات العراقيين القدماء ، لتؤكد على حتمية الموت على البشر ، وان الخلود من نصيب الآلهة فقط .

ومن خلال دراستنا لأبطال الرحلات ، وجدنا ان هناك تقارباً ، في تركيب الشخصية ومنطق الأفعال ، واضحاً بين كل من جلجامش وإنانا ، الى الحد الذي يمكن أن نميز بين رحلتيهما بأن نسمّي الأولى « رحلة الذكر » ، والثانية « رحلة الانثى » ويمكن ملاحظة ذلك من خلال المخططات الملحقة بالفصل الرابع .

ومن قواعد المخطط المتصور للرحلة الى الفردوس ، أو الجحيم ، هو ان نقطة الانطلاق في العادة تكون من المدينة التي ينتمي اليها البطل جلجامش وإنانا انطلقا من مدينتهما « أوروك » . أدابا انطلق من مدينته « أريدو » بينما انطلق إيتانا من مدينته « لجش » .

« المدينة » تعني « الأرض » التي تكون عادة مركز النشاطات التي يقوم بها البشر والآلهة ويضمنها رحلاتهم باتجاه الابعاد الكونية الثلاث التي وجهوا جهودهم للوصول نحوها . كما ان المدينة ذاتها كانت هي نقطة العودة التي تنتهي عندها رحلة البطل ، باعتبارها المكان الطبيعي للسكن وممارسة الفعاليات اليومية .

من البنيات الاسلوبية التي تميزت بها أساطير الرحلات رأينا أن نركز على بنيتين هما : التكرار بأشكاله ليؤدي أغراضاً منها ما هو جمالي ، ومنها ما هو بنائي يقتضيه

www.iraqinhistory.com

زمن الحكاية ، أو ايقاعها

كذلك تميزت أساطير الرحلات باستخدام اسلوب الاستفهام الانكاري ، والذي رأينا فيه انه لا يؤدي أغراضاً جمالية بقدر ما يقوم على تأدية مهام تعليمية ، مما يوحي بأنه ربما كانت هذه النصوص معتمدة في المدارس السومرية أو البابلية لأغراض التعليم .

المخططات الملحقة بالفصل الرابع ، تتضمن خلاصات استنتاجية تستند الى اسلوب منهجي أشرنا اليه في مقدمة بحثنا ، وعليه ، يمكن قراءتها من اليمين الى الشمال ، مثلما يمكن قراءتها من الأعلى الى الأسفل ، الأولى بصيغة « أفعال » أو « أحداث » ، والثانية بصيغة « علاقات »

أخيراً ، يمكن للقارىء أن يستعين بملحق الرسالة الذي تضمن أربعة نصوص هي رحلة إنانا الى العالم « النسخة السومرية » ، اسطورة أدابا ، اسطورة إيتانا ، اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش « الطوفان »

www.iraqinhistory.com



ملحق البحث

www.iraqinhistory.com

١

اسطورة هبوط
انانا الى العالم السفلي
« النص السومري »(*)

١ - من السماء العظيمة الى الأرض السفلى العظيمة ،
٢ - الآلهة ، من [السماء العظيمة] الى [الأرض السفلى العظيمة] ،
٣ - انانا ، من [السماء العظيمة] الى [الأرض السفلى العظيمة] ،
٤ - سيدتي هجرت السماء ، هجرت الأرض ونزلت الى العالم السفلي ،
٥ - انانا هجرت السماء ، هجرت الأرض ونزلت الى العالم السفلي ،
٦ - هجرت السيادة ، هجرت الملوكية ونزلت الى العالم السفلي .
٧ - في الوركاء هجرت اي - انا (Eanna) ونزلت الى العالم السفلي ،
٨ - في بادتبيرا (Bạdtibira) هجرت اي - مشكلاما ونزلت الى العالم السفلي ،
٩ - في زبالم (Zabalam) هجرت كيكونا (Giguna) ونزلت الى العالم السفلي ،
١٠ - في أدب (Adab) هجرت اي - شارا (Esharra) ونزلت الى العالم السفلي ،
١١ - في نفر هجرت بارا - دور - كارا (Baradurgarra) ونزلت الى العالم السفلي ،

(*)اعتمدنا نص الدكتور فاضل عبدالواحد ، عشتار ومأساة تموز .

www.iraqinhistory.com

١٢ - في كيش هجرت خرساك كلاما (Hursagkalamma) ونزلت الى العالم السفلي ،
١٣ - في أكد هجرت اي - اولمش (Eulmush) ونزلت الى العالم السفلي
١٤ - لقد تزينت بسبعة « نواميس » ،
١٥ - وجمعت « النواميس » ووضعتها في يدها ،
١٦ - كل « النواميس » كانت موضوعة (؟) عند قدمها .
١٧ - وضعت على رأسها الشوكارا (Sugarra) ، تاج السهل ،
١٨ - صففت (؟) على جبينها خصل [الشعر] ،
١٩ - أمسكت بيدها ذراعاً ومقياساً من اللازورد .
٢٠ - شدت حول عنقها خرزات صغيرات من اللازورد ،
٢١ - علقت على صدرها « توائم » من حجر النونز (Nunuz)
٢٢ - وضعت حول معصمها سواراً من الذهب ،
٢٣ - شدت حول صدرها درع - « يا رجل تعال ! تعال ! » ،
٢٤ - كست جسمها بثوب - بالا (Pala) ، ثوب السيدات ،
٢٥ - زوقت عينيها بدهان - « سيأتي (الرجل) ، سيأتي » ،
٢٦ - ثم سارت انانا نحو العالم السفلي .
٢٧ - وسار وزيرها ننشوبر (Ninshubur) الى جانبها .
٢٨ - فقالت انانا المقدسة الى ننشوبر :
٢٩ - « أنت يا عوني الدائم ،
٣٠ - يا وزيري ذا الكلمات الطيبة ،
٣١ - يا رسولي ذا الكلمات الصادقة ،
٣٢ - انني نازلة الآن الى العالم السفلي ،
٣٣ - وعندما أصل الى العالم السفلي ،
٣٤ - فأقم عليَّ المناحة في الخرائب (؟) ،
٣٥ - واقرع الطبل من أجلي في قاعة المعبد ،
٣٦ - وطف من أجلي في بيوت الآلهة ،
٣٧ - والطم (؟) عينيك من أجلي ، والطم (؟) فمك من أجلي ،
٣٨ - والطم (؟) ... الكبير من أجلي حيث ....

www.iraqinhistory.com

٣٩ ـ وتسربل من أجلي كالمتسول بثوب واحد ،
٤٠ ـ ثم اتجه بخطاك وحيداً نحو اي ـ كور (Ekur) ، معبد انليل ،
٤١ ـ وعندما تدخل اي ـ كور ، معبد انليل ،
٤٢ ـ ابك أمام انليل (وقل) :
٤٣ ـ « أيها الآب انليل ! لا تدع ابنتك الطاهرة تموت في العالم السفلي ،
٤٤ ـ لا تدع معدنك الثمين يغطيه تراب العالم السفلي ،
٤٥ ـ لا تدع لازوردك الثمين يهشم الى حجر حجّار ،
٤٦ ـ لا تدع بقستك تقطع الى خشب خشاب ،
٤٧ ـ لا تدع العذراء انانا تموت في العالم السفلي ،
٤٨ ـ واذا لم يقف انليل الى جانبك في هذه المسألة فاذهب الى اور .
٤٩ ـ وفي اور عندما تدخل في معبد ... للبلاد ،
٥٠ ـ في اي ـ كشنوكال (Ekishnugal) ، معبد ننا ،
٥١ ـ ابك أمام ننا (وقل) :
٥٢ ـ أيها الآب ننا ! لا تدع ابنتك تموت (؟) في العالم السفلي ،
٥٣ ـ لا تدع معدنك الثمين يغطيه تراب العالم السفلي ،
٥٤ ـ لا تدع لازوردك الثمين يهشم الى حجر حجّار ،
٥٥ ـ لا تدع بقستك تقطع الى خشب خشاب ،
٥٦ ـ لا تدع العذراء انانا تموت في العالم السفلي ،
٥٧ ـ واذا لم يقف ننا الى جانبك في هذه المسألة فاذهب الى اريدو .
٥٨ ـ وفي اريدو عندما تدخل معبد انكي ،
٥٩ ـ ابك أمام انكي (وقل)
٦٠ ـ « أيها الآب انكي ! لا تدع ابنتك ،
٦١ ـ لا تدع معدنك الثمين يغطيه تراب العالم السفلي ،
٦٢ ـ لا تدع لازوردك الثمين يهشم الى حجر حجّار ،
٦٣ ـ لا تدع بقستك تقطع الى خشب خشاب ،
٦٤ ـ لا تدع العذراء انانا تموت في العالم السفلي ،
٦٥ ـ ان الآب انكي ، سيد الحكمة ،
٦٦ ـ الذي يعرف طعام الحياة ، الذي يعرف ماء الحياة ،

www.iraqinhistory.com

٦٧ - سوف يعيدني بالتاكيد الى الحياة.
٦٨ - ثم سارت انانا نحو العالم السفلي،
٦٩ - وهي تقول الى وزيرها ننشوبر:
٧٠ - « اذهب يا ننشوبر،
٧١ - ولا تهمل ما أمرتك به ».
٧٢ - وعندما وصلت انانا الى القصر، جبل اللازورد،
٧٣ - فانها تصرفت بخبث عند بوابة العالم السفلي،
٧٤ - وتكلمت خبثاً عند بوابة العالم السفلي:
٧٥ - « افتح البيت أيها البواب، افتح البيت،
٧٦ - افتح البيت يا نيتي (Neti)، افتح البيت، سادخل وحدي ».
٧٧ - فأجاب نيتي، كبير البوابين في العالم السفلي، (قائلًا الى)
٧٨ - الآلهة انانا
٧٩ - « أرجوك مَن أنت؟ »
٨٠ - « أنا انانا من الأرض حيث تشرق الشمس ».
٨١ - « اذا كنت انانا من الارض حيث تشرق الشمس،
٨٢ - أسالك، لماذا جئت الى أرض اللارجعة،
٨٣ - وكيف قادتك نفسك الى طريق لا رجعة منه لمسافر؟ ».
٨٤ - فأجابته انانا المقدسة:
٨٥ - « اختي الكبرى ايرشكيجال (Ereshkigal)
٨٦ - لان زوجها السيد كوكال - انا (Gugalanna) قد قتل،
٨٧ - ومن أجل مشاهدة مراسيم دفنه،
٨٨ - فقد ...،
٨٩ - فأجاب نيتي، كبير البوابين في العالم السفلي (قائلًا)
٩٠ - الى انانا
٩١ - انتظري يا انانا ساكلم ملكتي،
٩٢ - ساكلم ملكتي ايرشكيجال، ساكلمها ».
٩٣ - فدخل نيتي، كبير البوابين في العالم السفلي،
٩٤ - الى بيت ملكته ايرشكيجال وقال لها

www.iraqinhistory.com

٩٥ - « سيدتي ، ان (هناك) فتاة ،
٩٦ - مثل الاله ..
٩٧ - الباب ...
٩٨ - ...
٩٩ - في (معبد) انانا ...
١٠٠ - لقد تزينت بالنواميس السبعة ،
١٠١ - جمعت النواميس ووضعتها في يدها ،
١٠٢ - جعلت كل (؟) النواميس ... قدمها ،
١٠٣ - ووضعت على رأسها الشوكارا ، تاج السهل ،
١٠٤ - صففت (؟) على جبينها خصل الشعر ،
١٠٥ - وأمسكت بيدها ذراعاً ومقياساً من لازورد .
١٠٦ - شدت حول عنقها خرزات صغيرات من لازورد ،
١٠٧ - علقت على صدرها « توائم » من حجر النونز ،
١٠٨ - وضعت حول معصمها سواراً من ذهب ،
١٠٩ - شدت حول صدرها درع - « يا رجل ! تعال ، تعال ! » ،
١١٠ - زوقت عينيها بدهان - « سيأتي (الرجل) ، سيأتي » ،
١١١ - وكست جسمها بثوب - كالا ، ثوب السيدات ،
١١٢ - وعندئذ عضت (؟) ايرشكيجال على فخذ ....
١١٣ - وقالت الى نيتي ، بوابها الكبير :
١١٤ - « تعال يا نيتي ، يا بوابي الكبير للعالم السفلي ،
١١٥ - واستمع الى الكلمة التي سأقولها لك :
١١٦ - ارفع المزالج عن البوابات السبع للعالم السفلي ،
١١٧ - وافتح (؟) أبواب قصر واحد ، جنزير (Genzir) [وجه العالم السفلي] ،
١١٨ - وعندما تدخل ،
١١٩ - انحن ... »
١٢٠ - وأصغى نيتي كبير البوابين للعالم السفلي ،
١٢١ - الى كلمات ملكته :
١٢٢ - فرفع المزالج عن البوابات السبع للعالم السفلي

www.iraqinhistory.com

١٢٣ ـ وفتح (؟) أبواب قصر واحد ، جلزير « وجه العالم السفلي » .
١٢٤ ـ وقال الى انانا الطاهرة :
١٢٥ ـ تعالي يا انانا ، ادخلي !
١٢٦ ـ وعندما دخلت
١٢٧ ـ رفع عن رأسها الشوكارا ، تاج « السهل » .
١٢٨ ـ « أرجوك ! ما هذا ؟ »
١٢٩ ـ « اسكتي يا انانا (لا بد من) نواميس العالم السفلي كاملة ،
١٣٠ ـ يا انانا لا تدعي فمك يستهجن طقوس العالم السفلي » .
١٣١ ـ وعندما دخلت البوابة الثانية ،
١٣٢ ـ أخذ منها الذراع والمقياس من اللازورد .
١٣٣ ـ « أرجوك ! ما هذا ؟ »
١٣٤ ـ « اسكتي يا انانا (لا بد من) نواميس العالم السفلي كاملة ،
١٣٥ ـ يا انانا لا تدعي فمك يستهجن طقوس العالم السفلي » .
١٣٦ ـ وعندما دخلت البوابة الثالثة ،
١٣٧ ـ رفع عن عنقها الخرزات الصغيرات من اللازورد .
١٣٨ ـ « أرجوك ! ما هذا ؟ »
١٣٩ ـ اسكتي يا انانا (لا بد من) نواميس العالم السفلي كاملة ،
١٤٠ ـ يا انانا لا تدعي فمك يستهجن طقوس العالم السفلي » .
١٤١ ـ وعندما دخلت البوابة الرابعة
١٤٢ ـ رفع عن صدرها « التوائم » من حجر نونز .
١٤٣ ـ « أرجوك ! ما هذا ؟ »
١٤٤ ـ اسكتي يا انانا (لا بد من) نواميس العالم السفلي كاملة ،
١٤٥ ـ يا انانا لا تدعي فمك يستهجن طقوس العالم السفلي » .
١٤٦ ـ وعندما دخلت البوابة الخامسة ،
١٤٧ ـ رفع عن معصمها سوار الذهب .
١٤٨ ـ « أرجوك ! ما هذا ؟ »
١٤٩ ـ « اسكتي يا انانا (لا بد من) نواميس العالم السفلي كاملة ،
١٥٠ ـ يا انانا لا تدعي فمك يستهجن طقوس العالم السفلي » .

www.iraqinhistory.com

١٥١ ـ وعندما دخلت البوابة السادسة ،
١٥٢ ـ رفع عن صدرها درع ـ « يا رجل ! تعال ، تعال ! » .
١٥٣ ـ « أرجوك ! ما هذا ؟ »
١٥٤ ـ « اسكتي يا انانا (لا بد من) نواميس العالم السفلي كاملة ،
١٥٥ ـ يا انانا لا تدعي فمك يستهجن طقوس العالم السفلي » .
١٥٦ ـ وعندما دخلت البوابة السابعة ،
١٥٧ ـ خلع عن جسدها ثوب ـ بالا ، ثوب السيدات .
١٥٨ ـ أرجوك ! ما هذا ؟
١٥٩ ـ « اسكتي يا انانا (لا بد من) نواميس العالم السفلي كاملة ،
١٦٠ ـ يا انانا لا تدعي فمك يستهجن طقوس العالم السفلي »
١٦١ ـ ...
١٦٢ ـ وكانت ايرشكيجال الطاهرة تجلس على عرشها
١٦٣ ـ وكان انوناكي (Anunaki) ، القضاة السبعة ينطقون بالاحكام أمامها ،
١٦٤ ـ فصوبت نظراتها اليها نظرات موت ،
١٦٥ ـ ونطقت بكلمة ضدها كلمة سخط ،
١٦٦ ـ وأطلقت صرخة ضدها صرخة اثم ،
١٦٧ ـ فحولت [الفتاة] العليلة الى جثة هامدة
١٦٨ ـ وعلقتها بوتد .
١٦٩ ـ وبعد أن مضت ثلاث ليالي
١٧٠ ـ أقام عليها وزيرها ننشوبر ،
١٧١ ـ وزيرها ذو الكلمات الطيبة ،
١٧٢ ـ ورسولها ذو الكلمات الصادقة ،
١٧٣ ـ المناحة عند الخرائب (؟) ،
١٧٤ ـ وقرع الطبل من أجلها في قاعات المعبد ،
١٧٥ ـ وطاف من أجلها في بيوت الآلهة ،
١٧٦ ـ ولطم (؟) عينيه من أجلها ، ولطم (؟) فمه من أجلها ،
١٧٧ ـ ولطم (؟) ... الكبير من أجلها
١٧٨ ـ وتسربل من أجلها كالمتسول بثوب واحد ،

www.iraqinhistory.com

١٧٩ ـ ثم اتجه بخطاه وحيداً نحو معبد انليل .
١٨٠ ـ وعندما دخل اي ـ كور ، معبد انليل ،
١٨١ ـ أخذ يبكي أمام انليل (ويقول) :
١٨٢ ـ « أيها الأب انليل ، لا تدع ابنتك تموت في العالم السفلي ،
١٨٣ ـ لا تدع معدنك الثمين يغطيه تراب العالم السفلي ،
١٨٤ ـ لا تدع لازوردك الثمين يهشم الى حجز حجّار ،
١٨٥ ـ لا تدع بقستك تقطع الى خشب خشاب ،
١٨٦ ـ لا تدع العذراء انانا تموت في العالم السفلي » .
١٨٧ ـ فأجاب الأب انليل (قائلًا) الى ننشوبر :
١٨٨ ـ لقد طلبت ابنتي « السماء العظيمة » ، لقد طلبت « الأرض السفلى العظيمة » ،
١٨٩ ـ لقد طلبت انانا « السماء العظيمة » ، لقد طلبت « الأرض السفلى العظيمة » ،
١٩٠ ـ ووصلت (؟) الى حيث نواميس العالم السفلي ونواميس ... ،
١٩١ ـ فمن الذي ...؟.
١٩٢ ـ (لذلك) لم يقف الأب انليل الى جانبه في هذه المسألة ، فذهب الى اور .
١٩٣ ـ وفي اور ، عندما دخل الى المعبد ... للبلاد ،
١٩٤ ـ (الى) اي ـ كشنوكال (Ekishnugal) ،
١٩٥ ـ أخذ يبكي أمام ننا (ويقول)
١٩٦ ـ « أيها الأب ننا ، لا تدع ابنتك تموت في العالم السفلي ،
١٩٧ ـ لا تدع معدنك الثمين يغطيه تراب العالم السفلي ،
١٩٨ ـ لا تدع لازوردك الثمين يهشم الى حجر حجّار ،
١٩٩ ـ لا تدع بقستك تقطع الى خشب خشاب ،
٢٠٠ ـ لا تدع العذراء انانا تموت في العالم السفلي » .
٢٠١ ـ فأجاب الأب ننا (قائلًا) الى ننشوبر :
٢٠٢ ـ لقد طلبت ابنتي « السماء العظيمة » ، لقد طلبت « الأرض السفلى العظيمة » ،
٢٠٣ ـ لقد طلبت انانا « السماء العظيمة » ، لقد طلبت « الأرض السفلى

www.iraqinhistory.com

العظيمة » ،

٢٠٤ ـ ووصلت (؟) الى حيث نواميس العالم السفلي ونواميس ... ،

٢٠٥ ـ فمن هو الذي ...؟.

٢٠٦ ـ (ولذلك) لم يقف الأب ننا الى جانبه في هذه المسألة ، فذهب الى اريدو .

٢٠٧ ـ وفي اريدو ، عندما دخل الى معبد انكي ،

٢٠٨ ـ أخذ يبكي أمام انكي (ويقول) :

٢٠٩ ـ « أيها الأب انكي لا تدع ابنتك تموت في العالم السفلي ،

٢١٠ ـ لا تدع معدنك الثمين يغطيه تراب العالم السفلي ،

٢١١ ـ لا تدع لازوردك الثمين يهشم الى حجر حجّار ،

٢١٢ ـ لا تدع بقستك تقطع الى خشب خشاب ،

٢١٣ ـ لا تدع العذراء انانا تموت في العالم السفلي » .

٢١٤ ـ فأجاب الأب انكي (قائلاً) الى ننشوبر :

٢١٥ ـ ماذا جرى لابنتي ؟ انني قلق !

٢١٦ ـ ماذا جرى لانانا ؟ انني قلق !

٢١٧ ـ ماذا جرى لملكة البلدان ؟ انني قلق !

٢١٨ ـ ماذا جرى لكاهنة السماء ؟ انني قلق !

٢١٩ ـ ثم استخرج من تحت ظفره (؟) وسخاً خلق منه كوركارا (Kurgarra)

٢٢٠ ـ واستخرج من تحت ظفره (؟) الملون بالأحمر (؟) وسخاً وخلق منه كالاتور (galatur)

٢٢١ ـ ومن ثم أعطى الى كوركارا طعام الحياة ،

٢٢٢ ـ واعطى الى كالاتور ماء الحياة ،

٢٢٣ ـ وقال انكي الى كوركارا و كالاتور :

(ينخرم الرقيم في هذا الموضع بمقدار سبعة عشر سطراً)

٢٤١ ـ وسيقدمون لكما النهر هدية ـ ماء فلا تقبلاها ،

٢٤٢ ـ وسيقدمون لكما الحقل هدية ـ حنطة فلا تقبلاها ،

٢٤٣ ـ ولكن قولا لها « أعطنا الجثة المعلقة بالوتد ،

٢٤٤ ـ ولينثر أحدكما طعام الحياة والآخر ماء الحياة

٢٤٥ ـ وستنهض انانا بالتأكيد .

www.iraqinhistory.com

(ينخرم الرقيم في هذا الموضع بمقدر ثمانية عشر سطراً)

٢٦٤ ـ فقدموا لهما النهر هدية ـ ماء فلم يقبلاها ،

٢٦٥ ـ فقدموا لهما الحقل هدية ـ حنطة فلم يقبلاها ،

٢٦٦ ـ (لكنهما) قالا لها « اعطنا الجثة المعلقة بالوتد » .

٢٦٧ ـ فاجابت ايرشكيجال المقدسة (قائلة) الى الكالاتور و الكوركارا :

٢٦٨ ـ « ان الجثة جثة ملكتكم »

٢٦٩ ـ فقالا لها « ما دامت (؟) الجثة جثة ملكتنا فاعطينا اياها » ،

٢٧٠ ـ فاعطوهم الجثة المعلقة بالوتد ،

٢٧١ ـ فنثر أحدهم عليها طعام الحياة ، والآخر ماء الحياة ،

٢٧٢ ـ ثم نهضت انانا .

٢٧٣ ـ (ولما) كانت انانا على وشك الخروج من العالم السفلي ،

٢٧٤ ـ أمسك بها انوناكي (قائلين) :

٢٧٥ ـ « مَنْ من اولئك الذين نزلوا قد خرج سالماً ؟

٢٧٦ ـ فاذا كانت انانا تريد أن تخرج من العالم السفلي ،

٢٧٧ ـ دعها تقدم شخصاً بديلًا عنها » .

٢٧٨ ـ (ولما) خرجت انانا من العالم السفلي ،

٢٧٩ ـ كان الشياطين الصغار مثل قصب ـ شوگور (Shugur)

٢٨٠ ـ وكان الشياطين الكبار مثل قصب ـ جي دُبا (gidubba)

٢٨١ ـ يحيطون بها

٢٨٢ ـ وكان الذي يتقدمها يحمل صولجاناً في يده (على الرغم من انه) لم يكن وزيراً .

٢٨٣ ـ وكان الذي (يسير) الى جانبها يحمل سيفاً شد الى خصره (على الرغم من انه) لم يكن فارساً

٢٨٤ ـ أما الذين صاحبوها

٢٨٥ ـ الذين صاحبوا انانا ،

٢٨٦ ـ (فقد كانوا مخلوقات) لا تعرف الطعام ، لا تعرف الماء ،

٢٨٧ ـ فهي لا تاكل طحيناً مبثوثاً ،

٢٨٨ ـ ولا تشرب ماءً مسكوباً ،

www.iraqinhistory.com

٢٨٩ ـ وكانت تأخذ الزوجة من حجر زوجها ،
٢٩٠ ـ والطفل من صدر مرضعته .
٢٩١ ـ وخرجت انانا من العالم السفلي ،
٢٩٢ ـ وعند خروج انانا من العالم السفلي ،
٢٩٣ ـ ألقى وزيرها ننشوبر بنفسه عند قدميها
٢٩٤ ـ راكعاً في التراب ، لابساً ثوباً وسخاً
٢٩٥ ـ فقالت الشياطين الى انانا المقدسة :
٢٩٦ ـ « يا انانا واصلي أنت السير الى مدينتك ونحن سنأخذ هذا معنا » .
٢٩٧ ـ فأجابت انانا المقدسة (قائلة) الى الشياطين :
٢٩٨ ـ (أتأخذون) وزيري ذي الكلمات الطيبة !
٢٩٩ ـ رسولي ذي الكلمات الصادقة !
٣٠٠ ـ من لم يتخل عن وصاياي !
٣٠١ ـ ومن لم يهمل أمري !
٣٠٢ ـ من أقام المناحة عليَّ في الخرائب (؟) !
٣٠٣ ـ وقرع الطبل من أجلي في قاعة المعبد !
٣٠٤ ـ وطاف من أجلي في بيوت الآلهة !
٣٠٥ ـ ولطم عينيه من أجلي ، ولطم فمه من أجلي !
٣٠٦ ـ ولطم على ... الكبير من أجلي حيث ... !
٣٠٧ ـ وتسربل من أجلي كالمتسول بثوب واحد !
٣٠٨ ـ (ومن ذهب من أجلي) الى اي ـ كور معبد انليل !
٣٠٩ ـ وفي اور ، الى معبد ننا !
٣١٠ ـ وفي اريدو ، الى معبد انكي !
٣١١ ـ ليعيدني (؟) الى الحياة .
٣١٢ ـ (ثم قال الشياطين) دعينا (اذاً) نرافقك الى سيجكورشاجا (Sigkurshagga)
٣١٣ ـ ومن سيجكورشاجا في اوما (Umma)
٣١٤ ـ ألقى شارا (Shara) بنفسه عند قدميها ،
٣١٥ ـ راكعاً في التراب ، لابساً ثوباً وسخاً

www.iraqinhistory.com

٣١٦ ـ فقال الشياطين الى انانا المقدسة :
٣١٧ ـ « يا انانا واصلي أنت السير الى مدينتك ونحن سنأخذ هذا معنا » .
٣١٨ ـ فأجابت انانا المقدسة (قائلة) الى الشياطين :
٣١٩ ـ ... شارا !
٣٢٠ ـ حلاقي ... و ... !
٣٢١ ـ لا
٣٢٢ ـ (فقال الشياطين) : « دعينا نرافقك الى اي ـ موشكلاما (Emushkalamma) في بادتبيرا
٣٢٣ ـ ومن اي ـ موشكلاما في بادتبيرا ،
٣٢٤ ـ ألقى لاتراك (Latarak) بنفسه عند قدميها ،
٣٢٥ ـ راكعاً في التراب لابساً ثوباً وسخاً .
٣٢٦ ـ فقال الشياطين الى انانا المقدسة :
٣٢٧ ـ « يا انانا واصلي أنت السير الى مدينتك ونحن سنأخذ هذا معنا » .
٣٢٨ ـ فأجابت انانا المقدسة (قائلة) الى الشياطين :
٣٢٩ ـ (أتأخذون) لاتراك ! القائد الذي كان يقف عن يميني وعن شمالي !
٣٣٠ ـ لا تأخذوه (؟) بديلًا عني (؟) !
٣٣١ ـ (فقال الشياطين) : « دعينا نرافقك الى ... شجرة خشخور hash-hur في كولاب ،
٣٣٢ ـ فتبعوها الى ... شجرة خشخور في كولاب .
٣٣٣ ـ (وهناك) كان دموزي يجلس بجلال في مجلسه ، مرتدياً ثياباً جليلة ،
٣٣٤ ـ فامسك به الشياطين من ...
٣٣٥ ـ وصبوا
٣٣٦ ـ وهجم عليه السابع مثل ...
٣٣٧ ـ فلم يعد الراعي يعزف الناي ولا المزمار
٣٣٨ ـ وصوبت (انانا) نظراتها اليه (دموزي) نظرات موت ،
٣٣٩ ـ ونطقت بكلمة ضده : كلمة سخط ،
٣٤٠ ـ وأطلقت صرخة ضده صرخة اثم (وقالت) :

www.iraqinhistory.com

٣٤١ ـ خُذوه ...
٣٤٢ ـ (وهكذا) أعطت انانا المقدسة دموزي الراعي بأيديهم .
٣٤٣ ـ (أما) الذين صاحبوه
٣٤٤ ـ صاحبوا دموزي ،
٣٤٥ ـ (فقد كانوا مخلوقات) لا تعرف الطعام ، لا تعرف الماء ،
٣٤٦ ـ فهي لا تاكل طحيناً مبثوثاً ،
٣٤٧ ـ ولا تشرب ماءً مسكوباً ،
٣٤٨ ـ ولا تملأ بالسعادة (؟) حجر زوجة ،
٣٤٩ ـ ولا تُقَبل طفلًا (شب على ؟) دلال (؟)
٣٥٠ ـ وكانت تاخذ الابن من على ركبة الأب ،
٣٥١ ـ وتخطف الكنة من بيت الحمي .
٣٥٢ ـ بكى دموزي واخضر وجهه ،
٣٥٣ ـ ثم رفع يديه نحو السماء الى اوتو (قائلًا)
٣٥٤ ـ « يا اوتو ! أنت أخ لزوجتي ، وأنا زوج لاختك .
٣٥٥ ـ أنا من يحمل السمن الى بيت أمك ،
٣٥٦ ـ أنا من يحمل الحليب الى بيت ننكال ،
٣٥٧ ـ فحول يديَّ الى « يدي » أفعى ،
٣٥٨ ـ وحول قدميّ الى قدمي أفعى ،
٣٥٩ ـ ودعني أهرب من الشياطين ولا تدعهم يمسكونني » ..
(ينخرم النص كلياً بمقدار ستة عشر سطراً)
٣٧٥ ـ ... كل البلدان ...
٣٧٦ ـ ... مستوطناتهم ...
٣٧٧ ـ حملوا ...
٣٧٨ ـ ضربوا ...
٣٧٩ ـ وقرأوا مناحة ...
٣٨٠ ـ ونثروا
٣٨١ ـ الى ...
٣٨٢ ـ ... يدها

www.iraqinhistory.com

٣٨٣ ـ رفعت عينها (؟) البلاد
٣٨٤ ـ انهم ... ملكتي العزيزة (؟)

(الجزء الختامي من الاسطورة كما جاء مدوناً على رقيم سومري منفصل)
١ ـ فتح الكالا الصغار أفواههم (قائلين) الى الكالا الكبار :
٢ ـ « تعالوا نواصل السير الى حجر انانا المقدس » .
٣ ـ فدخل الكالا مدينة الوركاء والقوا القبض على انانا المقدسة (قائلين) :
٤ ـ « تعالي ! هيا بنا يا انانا طريقك ـ انزلي الى العالم السفلي ،
٥ ـ اذهبي الى حيث قادك قلبك ـ انزلي الى العالم السفلي ،
٦ ـ اذهبي الى بيت ايرشكيجال ـ انزلي الى العالم السفلي ،
٧ ـ لا تلبسي بدلة « ما » (ma) ـ المقدسة (ولا) بدلة « بالا » (Pala) ـ بدلة الملوكية ،
٨ ـ ارفعي عن رأسك التاج المقدس الذي هو أهل للتحية ـ انزلي الى العالم السفلي ،
٩ ـ لا تزيني وجهك باغراء ـ انزلي الى العالم السفلي ،
١٠ ـ لا قدمك على ... كلب ،
١١ ـ انزلي ... انزلي ... سوف لا
١٢ ـ واقتربوا جداً (؟) من الآلهة انانا المقدسة ، انهم ... .
١٣ ـ فتملك انانا الرعب فأعطت انانا دموزي بأيديهم .
١٤ ـ الفتى ـ وضعت قدماه في القيود (؟) ،
١٥ ـ الفتى ـ القيت عليه الحبال (؟) ، وضعت رقبته في طوق (؟) ،
١٦ ـ شهرت في وجهه الصنارات (؟) والمخارز (؟) والابر (؟) الطويلة (؟) .
١٧ ـ وانهالوا عليه بالفؤوس الكبيرة .
١٨ ـ الفتى ـ أقاموه وأقعدوه ،
١٩ ـ ... على ... سنجعله يقوم ،
٢٠ ـ الفتى ـ ربطوا يديه و ...
٢١ ـ وغطوا وجهه « بثوب الرعب » .
٢٢ ـ فرفع الفتى يده نحو السماء الى اوتو (قائلًا)

www.iraqinhistory.com

٢٣ ـ « يا اوتو ! أنا صديقك ، أنا الذي تعرفني (؟) !
٢٤ ـ لقد تزوجت اختك ،
٢٥ ـ وانها نزلت الى العالم السفلي ،
٢٦ ـ ولأنها نزلت الى العالم السفلي ،
٢٧ ـ فقد سلمتني الى العالم السفلي بديلًا عنها
٢٨ ـ يا اوتو ! أنت الحاكم العادل فلا تجعلهم يأخذونني ،
٢٩ ـ غير يدي ويدل صورتي ،
٣٠ ـ ودعني أهرب من أيدي الكالا ولا تدعهم يمسكونني ،
٣١ ـ دعني أقطع المروج العالية مثل حية « ساك كال » ،
٣٢ ـ ولتحمل روحي الى بيت اختي كشتن ـ انا » .
٣٣ ـ فتقبل اوتو بكاءه ،
٣٤ ـ وغيّر يديه ويدل صورته .
٣٥ ـ فقطع المروج العالية مثل حية « ساك كال »
٣٦ ـ دموزي ـ فارقته روحه مثل صقر ينطلق نحو طير .
٣٧ ـ وحملت روحه الى بيت اخته كشتن ـ انا
٣٨ ـ ونظرت كشتن ـ انا الى أخيها ،
٣٩ ـ فلطمت خديها ولطمت فمها ،
٤٠ ـ وزاغ بصرها ، وشقّت ثيابها ،
٤١ ـ وراحت تردد المناحة على الفتى المعذب
٤٢ ـ « أخي ! أخي الفتى الذي لم ... أيامه ،
٤٣ ـ أخي ! أيها الراعي اما أشمكل ـ انا ، أيها الفتى الذي لم ... أيامه
٤٤ ـ أخي !، أيها الفتى الذي ليس له زوجة ، يا من ليس له ولد ،
٤٥ ـ أخي ! أيها الفتى الذي ليس له صديق ،
٤٦ ـ أخي ! أيها الفتى الذي لم يجلب راحة الى قلب أمه »
٤٧ ـ وكان الكالا يبحثون عن دموزي ، فأحاطوا به ،
٤٨ ـ وقال الكالا الصغار الى الكالا الكبار :
٤٩ ـ « أنتم أيها الكالا ، يا من ليس لهم أم ، ليس لهم أب ، أخت ، أخ ، زوجة (ولا) ولد ،

www.iraqinhistory.com

٥٠ ـ من كان ... جندي ...
٥١ ـ أنتم أيها الكالا الذين لا تفارقون (؟) جانب انسان ،
٥٢ ـ الذين لا يقومون بمعروف ولا يميزون بين الصالح والطالح ،
٥٣ ـ الذين (لو) رأوا روحاً (تعيش) بسلام لاي ... تخاف .
٥٤ ـ لا حاجة لنا للذهاب الى بيت صديقه ، لا حاجة لنا للذهاب الى بيت صهره ،
٥٥ ـ دعونا نواصل السير (للبحث) عن الراعي الى بيت كشتن ـ انا » .
٥٦ ـ فصفق الكالا بأيديهم وانطلقوا يبحثون عنه .
٥٧ ـ وبصراخ لم ينقطع من أفواههم ،
٥٨ ـ واصل الكالا سيرهم الى بيت كشتن ـ انا
٥٩ ـ وقالوا لها « ارينا أين أخوك ؟ » (لكنها) لم تخبرهم .
٦٠ ـ وجيء بالسماء (؟) على مقربة منها ، وجيء بالأرض في حجرها (لكنها) لم تخبرهم ،
٦١ ـ وجيء بالأرض (؟) على مقربة منها ، والـ ... لكنها لم تخبرهم ،
٦٢ ـ وجيء ... على مقربة منها ، ومزقوا (؟) ثوبها لكنها لم تخبرهم .
٦٣ ـ وصبوا الزفت (؟) في حجرها لكنها لم تخبرهم .
٦٤ ـ (ولما) لم يجدوا دموزي في بيت كشتن ـ انا ،
٦٥ ـ قال الكالا الصغار الى الكالا الكبار :
٦٦ ـ تعالوا نواصل السير الى الحظيرة المقدسة للأغنام
٦٧ ـ فألقوا القبض على دموزي في (؟) الحظيرة المقدسة للاغنام
٦٨ ـ لقد أحاطوا به ، وقبضوا عليه ، و ... وراحوا يحدقون فيه ،
٦٩ ـ وشهروا ضد الفتى الـ ... والفأس .
٧٠ ـ وجرحوا حجره بالسكاكين (؟) ، لقد أحاطوا به .
٧١ ـ وراحت الأخت ، بسبب أخيها ، تجوب في المدينة (؟) مثل (؟) طير (؟) (وتقول)
٧٢ ـ أخي ! دعني ... الشر ، دعني أجلب ... .

www.iraqinhistory.com

۲

اسطورة الطوفان

« اللوح الحادي عشر »(*)

« ركب جلجامش و « أور- شنابي » في السفينة
أنزلا السفينة في الامواج وهما على ظهرها
وفي اليوم الثالث قطعا في سفرهما ما يعادل شهراً وخمسة عشر يوماً من السفر العادي
وبلغ « أور - شنابي » مياه الموت
وعندئذ نادى « أور- شنابي » جلجامش وقال له
« هيا يا جلجامش اسرع وخذ مرديا وادفع به »
وحذار أن تمس يدك مياه الموت
اسرع يا جلجامش وتناول « مرديا » ثانياً وثالثاً ورابعاً
يا جلجامش خذ « مرديا » خامساً وسادساً وسابعاً
خذ يا جلجامش « مرديا » ثامناً وتاسعاً وعاشراً
خذ مرديا حادي عشر وثاني عشر

(*) اعتمدنا نص الاستاذ طه باقر، ملحمة كلكامش.

www.iraqinhistory.com

ويمائة وعشرين دفعة « مردي » استعمل جلجامش كل « المرادي »
ثم نزع جلجامش ثيابه
ونشرها بيديه كانها الشراع
وكان « أوتو ـ نبشتم » قد أبصر السفينة من بعيد
فأخذ يخاطب قلبه ويناجي نفسه ويقول :
« علام دمرت « صور الحجر » الخاصة بالسفينة ؟
ولم يركب عليها شخص غير ملاحها ؟
فان الآخر الآتي فيها ليس من اتباعي

(بقية النص من العمود الرابع وبداية الخامس مخرومة ولكن يتضح من السياق ان جلجامش يلتقي بجده « أوتو ـ نبشتم » فيسأله هذا عن سبب مجيئه ، وهي نفس الاسئلة التي وجهتها اليه صاحبة الحانة والملاح ، وقد حذفناها من الترجمة لتكررها مرتين ، كما ان جلجامش يجيبه بالاجوبة نفسها تقريباً وقد أثبتنا ترجمتها لأن فيها بعض التغيير والزيادة) :

« أجاب جلجامش « أوتو ـ نبشتم » وقال له :
يا « أوتو ـ نبشتم » ، كيف لا تذبل وجنتاي
ويمتقع وجهي ويغمر الحزن قلبي وتتبدل هيئتي
ويصير وجهي أشعث كمن أنهكه السفر الطويل
ويلفح وجهي الحر والقر
وأهيم على وجهي في البراري ،
وان خلي وأخي الأصغر
الذي طارد الوحش في البرية
واصطاد النمور في الصحارى . انه « انكيدو » الذي تغلب على جميع الصعاب
وارتقى أعالي الجبال
الذي أمسك بثور السماء وقتله ، وغلب « خمبابا » الذي يسكن غابة الارز
صاحبي وخلي الذي أحببته حباً جما
الذي رافقني في جميع الصعاب قد أدركه مصير البشرية
فبكيته ستة أيام وسبع ليال ولم أسلمه للقبر

www.iraqinhistory.com

حتى خرج الدود من أنفه
لقد أفزعني الموت فهمت على وجهي في الصحارى
فالنازلة التي حلّت بصاحبي قد جثمت بثقلها على صدري
وأقضّت مضجعي حتى همت مطوفاً في الصحارى
إذ كيف أهدأ ويقر لي قرار،
وان صاحبي الذي أحببت صار تراباً
وأنا الا ساكون مثله فاهجع هجعة لا أقوم من بعدها أبد الدهر؟
ثم أريف جلجامش وخاطب « أوتو- نبشتم » قائلاً :
ولذا تراني قد جئت لأرى « أوتو- نبشتم » الذي يدعونه القاصي
لقد طوفت في كل البلاد واجتزت الجبال الوعرة
وعبرت كل البحار
لم يغمض لي جفن ولم أنق طعم النوم
أنهكني السفر والترحال وحل بجسمي الضنى والتعب
ولم أكد أبلغ بيت « صاحبة الحانة »
حتى خلقت ثيابي وتمزقت،
قتلت الدب والضبع والاسد والفهد والنمر
والضبي والايل والوعل وكل حيوان البر ودوابه
أكلت لحومها واكتسيت بفروها

(يأتي نقص يبلغ نحو ٤٢ سطراً)

« قال « اوتو- نبشتم » لجلجامش :
« ان الموت قاسٍ لا يرحم (؟)
هل بنينا بيتاً يقوم الى الأبد؟
وهل ختمنا عقداً يدوم الى الأبد؟
وهل يقتسم الأخوة ميراثهم ليبقى الى آخر الدهر؟
وهل تبقى البغضاء في الأرض الى الأبد
وهل يرتفع النهر ويأتي بالفيضان على الدوام؟

www.iraqinhistory.com

والفراشة لا تكاد تخرج من شرنقتها فتبصر وجه الشمس حتى يحل أجلها
ولم يكن دوام وخلود منذ القدم
ويا ما أعظم الشبه بين النائم والميت
ألا تبدو عليهما هيئة الموت ؟
ومن ذا الذي يستطيع أن يميز بين العبد والسيد اذا وافاهما الاجل ؟
ان « الانوناكي » الآلهة العظام تجتمع مسبقاً
ومعهم « ماميتم » ، صانعة الاقدار تقدر معهم المصائر
قسموا الحياة والموت
ولكن الموت لم يكشفوا عن يومه »

ـ اللوح الحادي عشر ـ

فقال جلجامش لـ « اوتو ـ نبشتم » القاصي :
ها أنذا أنظر اليك يا « اوتو ـ نبشتم »
فلا أجد هيئتك مختلفة ، فأنت مثلي لا تختلف عني
أجل ! أنت لم تتبدل بل انك تشبهني
لقد تصورك لبي كاملًا كالبطل على أهبة القتال
فاذا بي أجدك ضعيفاً مضطجعاً على ظهرك
فقل لي كيف دخلت في مجمع الآلهة ووجدت الحياة (الخالدة) ؟
فأجاب « اوتو ـ نبشتم » جلجامش وقال له :
« يا جلجامش سأفتح لك عن سر خفي محجوب
سأطلعك على سر من أقدار الآلهة
« شروباك » ، المدينة التي تعرفها أنت
الواقعة على شاطىء نهر الفرات
ان تلك المدينة قد عتقت وكان الآلهة فيها
ان الآلهة العظام قد حملتهم قلوبهم (آنذاك) على إحداث الطوفان
وكان معهم أبوهم « آنو »
و « انليل » ، البطل ، مستشارهم
و « ننورتا » ، مساعدهم

www.iraqinhistory.com

و « انوكي » ، حاجبهم والموكل بالري والمياه
وكان حاضراً معهم « نن ـ ايكي ـ كو » ، أي « ايا »
فنقل هذا كلامهم الى كوخ القصب وخاطبه
« يا كوخ ! يا كوخ القصب ! يا جدار ، يا جدار !
اسمع يا كوخ القصب وافهم يا حائط
أيها الرجل « الشروباكي » يا ابن « اوبار ـ توتو »
قوض البيت وابن لك فلكاً (سفينة)
تخل عن مالك وانشد النجاة
انبذ الملك وخلص حياتك
واحمل في السفينة بذرة كل ذي حياة
والسفينة التي ستبني
عليك أن تضبط مقاسها
ليكن عرضها مساوياً لطولها
واختمها جاعلًا اياها مثل مياه الـ « أپسو » (العمق) »
ولما وعيت ذلك قلت لربي ، « ايا » :
« سمعاً يا سيدي ، ان ما أمرت به سأصدع به وأعمل به
ولكن ما عسى أن أقول للمدينة ؟
وبم سأجيب الناس والشيوخ ؟
ففتح « ايا » فاه ، وقال لي ، مخاطباً اياي ، أنا عبده :
« قل لهم هكذا « اني علمت أن انليل يبغضني
فلا أستطيع العيش في مدينتكم بعد الآن
ولن أوجه وجهي الى أرض انليل وأسكن فيها
بل سأرد (أنزل) الى الـ « أپسو »
وأعيش مع « ايا » ،
وأنتم سيمطركم بالوفرة والفيض
ومن مجاميع الطير ، وعجائب الاسماك
وستملأ البلاد بالغلال والخيرات
وفي المساء سيمطركم الموكل بالزوابع بمطر من قمح »

www.iraqinhistory.com

ولما نورت اولى بشائر الصباح تجمع البلد حولي
حملوا اليَّ أضاحي الاغنام الغالية
وأحضروا اليَّ أضاحي من ماشية مراعي البراري
(انخرام من أربعة أسطر)
جلب اليَّ الصغار منهم القير
وحمل الكبار كل الحاجات الاخرى
وفي اليوم الخامس أقمت بنيتها (هيكلها)
وكان سطح أرضها « ايكو » واحداً
وعلو جدرانها مائة وعشرين ذراعاً
وطول كل جانب من جوانب سطحها الأربعة مائة وعشرون ذراعاً
حددت شكلها الخارجي وبنيتها هكذا
جعلت فيها ستة طوابق (تحتانية)
وبهذا فرزتها (قسمتها) الى سبعة أقسام (طوابق)
وفرزت (قسمت) أرضيتها الى تسعة أقسام
وحشوتها وغرزت فيها أوتاد الماء
ووضعت فيها « المرادي » وجهزتها بالمؤن
سكبت ستة « شارات » من القير في الكورة

وسكبت أيضاً ثلاثة « شارات » من القطران
وجلب حاملوا السلال ثلاثة « شارات » من السمن
بالاضافة الى « شار » واحد من السمن لحشو أوتاد الماء
و « شارين » من السمن اختزنهما الملاح
(ثم) نحرت البقر وطبختها للناس
ونحرت الاغنام كل يوم
وقدمت عصير الكرم والخمر الاحمر والابيض والسمن
الى الصناع ليشربوها بكثرة كماء النهر
ليقيموا الاعياد كما في أيام عيد رأس السنة
ومسحت يدي بسمن الزيت

www.iraqinhistory.com

وتم بناء السفينة في اليوم السابع
وكان انزالها (الى الماء) أمراً صعباً
فكان عليهم أن يبدلوا الاثقال في الطوابق العلوية والسفلية
الى أن غطس في الماء ثلثاها
وحملت فيها كل ما أملك
وكل ما عندي من فضة حملته فيها
وحملت فيها كل ما أملك من ذهب
أركبت في السفينة جميع أهلي وذوي قرباي
وحملت فيها كل ما كان عندي من المخلوقات الحية
أركبت فيها حيوان الحقل وحيوان البر
وجميع الصناع أركبتهم فيها
وضرب لي الإله « شمس » موعداً معيناً بقوله ؛
« حينما ينزل الموكل بالعواصف في المساء مطر الهلاك
فادخل في السفينة وأغلق بابك »
وحل أجل الموعد المعين
وفي الليل أنزل الموكل بالعاصفة مطراً مهلكاً
وتطلعت الى حالة الجو فكان مكفهراً مخيفاً للنظر
فولجت في السفينة وأغلقت بابي
وأسلمت قياد السفينة الى الملاح « بوزرُ ـ أموري »
أعطيته « البناء العظيم » وما يحويه من متاع
ولما ظهرت أنوار السحر
علت من الافق البعيد (من أسس السماء) غمامة ظلماء
وفي داخلها أرعد الإله « أدَدْ »
وكان يسير أمامه « شُلَّات » و « خانيش »
وهما ينذران أمامه في الجبال والسهول
ونزع الإله « إيراكال » الاعمدة
ثم أعقبه الإله « ننورتا » الذي فتق السدود
ورفع الـ « انوناكي » المشاعل

www.iraqinhistory.com

وجعلوا الأرض تلتهب بوهج أنوارها
وبلغت رعود الآلهة « أدد » عنان السماء
وبلغ الخوف من الإله أدد الى السموات
فأحالت كل نور الى ظلمة
وتحطمت البلاد الفسيحة كما تتحطم الجرة
وظلت زوابع الريح الجنوبية تهب يوماً كاملًا
وازدادت شدة في مهبها حتى غطت الجبال
وفتكت بالناس كأنها الحرب العوان
وصار الأخ لا يبصر أخاه

ولا الناس يميزون في السماء
وحتى الآلهة ذعروا من عباب الطوفان
فهربوا وعرجوا الى سماء « آنو »
لقد استكان الآلهة وربضوا كالكلاب حذاء الجدار
وصرخت « عشتار » (كما تصرخ) المرأة في الولادة
انتحبت سيدة الآلهة وناحت بصوتها الشجي نادبة
« واحسرتاه ! لقد عادت الايام الاولى الى طين
لأنني نطقت بالشر في مجمع الآلهة
فماذا دهاني إذ نطقت بالشر
لقد سلطت الدمار على أناسي (خلقي)
وأنا التي ولدت أناسي هؤلاء
لقد ملأوا اليم كبيض السمك » .

وبكى معها آلهة الـ « انوناكي »
أجل ! جلس الآلهة منكسي الرؤوس يندبون
وقد يبست شفاههم
ومضت ستة أيام وست أمسيات

www.iraqinhistory.com

ولم تزل زوابع الطوفان تعصف وقد غطت الزوابع الجنوبية البلاد
ولما حلّ اليوم السابع خفت وطأة زوابع الطوفان في شدتها
وقد كانت تفتك كالجيش في الحرب العوان
ثم هدأ البحر وسكنت العاصفة وغيض عباب الطوفان
وتطلعت الى الجو ، فوجدت السكون عاماً
ورأيت البشر وقد عادوا جميعاً الى طين
وكالسقف كانت الأرض مستوية
فتحت كوة طاقتي فسقط النور على وجهي
سجدت وجلست أبكي
فانهمرت الدموع على وجهي
وتطلعت الى حدود سواحل (البحر)
وفي كل ناحية من النواحي الاربع عشرة
ظهر جبل (جزيرة)
واستقر الفلك على جبل « نصير »
لقد ضبط (مسك) جبل نصير السفينة ولم يدعها تجري
ومضى يوم ويوم ثان وجبل « نصير » ممسك بالسفينة فلم تجر
ومضى يوم ثالث ورابع وجبل « نصير » ممسك بالسفينة فلم يدعها تجري
وكان يوم خامس وسادس وجبل نصير مسك بالسفينة
ولما حل اليوم السابع أخرجت حمامة وأطلقتها (تطير)
طارت الحمامة ولكنها عادت
رجعت لأنها لم تجد موضعاً تحط فيه
وأخرجت السنونو وأطلقته
ذهب السنونو وعاد لأنه لم يجد موضعاً يحط فيه
ثم أخرجت غراباً وأطلقته
فذهب الغراب ، ولما رأى المياه قد قرت وانحسرت
أكل وحام وحط ولم يعد
وعند ذاك أخرجت كل ما في السفينة الى الرياح الاربعة
وقربت قرباناً

www.iraqinhistory.com

وسكبت الماء المقدس على زقورة (قمة) الجبل
ونصبت سبعة وسبعة قدور للقرابين
وكدست أسفلها القصب وخشب الارز والآس
فتنسم الآلهة شذاها
أجل تشمم الآلهة عرفها الطيب
فتجمع الآلهة على صاحب القربان كأنهم الذباب
ولما حضرت الآلهة العظيمة (عشتار)
رفعت عقد الجواهر الذي صاغه لها « أنو » ، وفق هواها ، وقالت :
« أنتم أيها الآلهة الحاضرون : كما انني لا أنسى عقد اللازورد هذا الذي في جيدي
سأظل أتحسس (أذكر) هذه الايام ولن أنساها أبداً
ليتقدم الآلهة الى القرابين
أما « انليل » فحذار أن يقترب من القرابين
لانه لم يترؤ فأحدث عباب الطوفان
واسلم اناسي (خلقي) الى الهلاك »
ولما أن جاء انليل وأبصر الفلك غضب
وامتلأ حنقاً على آلهة الـ « ايگيگي » وقال :
« عجباً كيف نجت نفس واحدة ،
وكان المقدر ألا ينجو بشر من الهلاك ؟
ففتح الإله « ننورتا » فاه وقال مخاطباً البطل « أنليل » :
من ذا الذي يستطيع أن يدبر مثل هذا الأمر غير (إيا) ؟
أجل ان « إيا » هو الذي يعرف خفايا الأمور
وعند ذاك فتح « إيا » فاه وقال مخاطباً « انليل » البطل :
« أيها البطل ! أنت أحكم الآلهة
فكيف لم تترو فأحدثت عباب الطوفان ؟
حمل المخطيء وزر خطيئته
وحمل المعتدي إثم اعتدائه
ولكن ارحم (في العقاب) لئلا يهلك ،
وتشدد لئلا يمعن في الشر

www.iraqinhistory.com

ولو انك بدلًا من احداثك الطوفان
سلطت السباع على الناس فقللت من عددهم
ولو انك بدلًا من احداثك الطوفان
سلطت الذئاب فقللت من عدد الناس
وبدلًا من الطوفان لو انك أحللت القحط في البلاد
وبدلًا من الطوفان لو أن « إِيُرا » ، فتك بالناس
أما أنا فلم أفشِ سر الآلهة العظام
ولكنني جعلت « أترا ـ حاسِس » يرى رؤيا
فادرك سر الآلهة
والآن تدبر أمره وقرر مصيره »
« ثم علا (صعد) « أنليل » فوق السفينة
وأمسك بيدي وأركبني معه في السفينة
وأركب معي أيضاً زوجي وجعلها تسجد بجانبي
ووقف ما بيننا ولمس ناصيتينا وباركنا قائلًا
« لم يكن « أوتو ـ نبشتم » قبل الآن سوى بشر.
ولكن منذ الآن سيكون « أوتو ـ نبشتم » وزوجه مثلنا نحن الآلهة
وسيعيش « أوتو ـ نبشتم » بعيداً عند « فم الأنهار »
ثم أخذوني بعيداً وأسكنوني عند « فم الأنهار »
والآن من سيجمع الآلهة من أجلك في مجلسهم (يا جلجامش)
لكي تنال الحياة التي تبغي ؟
تعال (أمتحنك) ! لا تنم ستة أيام وسبع أمسيات »
ولكن وهو لا يزال قاعداً على عجزه إذا بسنة من النوم
تأخذه وتتلسط عليه كالضباب
فالتفت « أوتو ـ نبشتم » الى امرأته وخاطبها قائلًا
« انظري (وتأملي) هذا الرجل البطل الذي ينشد الحياة !
لقد أخذته سنة من النوم وتسلطت عليه كالضباب »
فأجابت زوج « أوتو ـ نبشتم » زوجها وقالت له
« المس الرجل كيما يستيقظ

www.iraqinhistory.com

ويعود أدراجه سالماً في الطريق الذي جاء منه
ليعد الى وطنه من الباب الذى خرج منه »
فأجاب « أوتو ـ نبشتم » امرأته وقال لها
« لما كان الخداع من طبيعة البشرية فانه سيخدعك
« فهلمي اخبزي له أرغفة من الخبز وضعيها عند رأسه
والايام التي ينام فيها أشريها في الجدار »
فخبزت له أرغفة من الخبز ووضعتها عند رأسه
وأشرت في الجدار الايام التي نامها
فصار الرغيف الأول يابساً وتلف الرغيف الثاني
والثالث لم يزل رطباً
وأبيضت قشرة الرغيف الرابع
والخامس لم يزل طرياً والسادس قد تم خبزه في الحال
ولما كان الرغيف السابع لا يزال على الجمر لمسه فاستيقظ
(ولما استيقظ) جلجامش قال لـ « أوتو ـ نبشتم » ، القاصي :
« لم تكد تأخذني سنة من النوم حتى لمستني فأيقظتني »
فأجاب « أوتو ـ نبشتم » جلجامش قائلًا
« يا جلجامش عد أرغفتك
فينبئك المؤشر على الحائط عدد الايام التي نمت فيها
فقد يبس رغيفك الاول والثاني لم يعد صالحاً
والثالث لا يزال رطباً وأبيضت قشرة الرابع والخامس لا يزال طرياً
والسادس خبز في الحال . والسابع ـ اذا بك تستيقظ في الحال »
فقال « جلجامش » لـ « اوتو ـ نبشتم » ، القاصي :
« ماذا عساي يا « اوتو ـ نبشتم » أن أفعل والى أين أوجه وجهي ؟
وها ان « المتكل » قد تمكن من لبي وجوارحي
أجل ! في مضجعي يقيم الموت
وحيثما أضع قدمي يربض الموت »
ثم قال « اوتو ـ نبشتم » الى « اور ـ شنابي » الملاح :
« يا « اور ـ شنابي » ، عسى أن لا يرحب بمقدمك المرفأ

www.iraqinhistory.com

وبيرأ منك موضع العبور!
ولتذهب مطروداً من الشاطىء
والرجل الذي قدته الى هنا،
والذي يغطي جسمه الوسخ
وشوهت جمال أعضائه أردية الجلود
خذه يا « أور- شنابي » ، وقده الى موضع الاغتسال
ليغسل في الماء أوساخه حتى يصبح نظيفاً كالثلج
لينزع عنه جلود الحيوانات وليرمها في البحر حتى يتجلى جمال جسمه
ودعه يجدد عصابة رأسه
وليلبس حلة تستر عريه
والى أن يصل مدينته،
وحتى ينهي طريق سفره
لا تدع آثار العتق تبدو على جلته
بل لتحافظ على جدتها
فأخذه « اور- شنابي » الى موضع الاغتسال
وغسل أوساخه في الماء حتى بدا نظيفاً كالثلج
وخلع عنه لباس الجلود فجرفها البحر
حتى تجلى جمال جسمه
وجدد عصابته (عمامته) حول رأسه
وألبسه حلة كست عريه
والى أن يصل الى مدينته وينهي طريق سفره
جعل ثيابه جديدة على الدوام »
ثم ركب جلجامش و « اور- شنابي » في السفينة
وأنزلا السفينة في الامواج وتهيئا للابحار
(وإذ ذاك) خاطبت امرأة « اوتو- نبشتم » زوجها وقالت له
« لقد جاء جلجامش الى هنا وقاسى التعب واشتطت به النوى
فماذا عساك أن تعطيه وهو عائد الى بلاده ؟ »
وكان جلجامش في تلك اللحظة قد رفع المردي

www.iraqinhistory.com

ليقرب السفينة الى الشاطىء
(فأدركه) « اوتو ـ نبشتم » وخاطبه قائلًا
لقد جئت يا جلجامش الى هنا وقاسيت التعب
فما عساني أن أعطيك حتى تعود الى بلادك ؟
سأفتح لك ، يا جلجامش ، سراً خفياً
أجل ! سأكشف لك عن سر من أسرار الآلهة !
يوجد نبات مثل الشوك ينبت في المياه
وشوكه يخز يديك كما يفعل الورد
فاذا ما حصلت يداك على هذا النبات وجدت الحياة (الجديدة) »
وما أن سمع جلجامش هذا القول
حتى فتح المجرى الذي أوصله الى المياه العميقة
وربط بقدميه أحجاراً ثقيلة
ونزل الى أعمق المياه حيث أبصر النبات
فأخذ النبات الذي يخز يديه
وقطع الاحجار الثقيلة من قدميه
فخرج من عمق البحر الى الشاطىء
ثم قال جلِجامش لـ « اور ـ شنابي » ، الملاح :
« يا « أور ـ شنابي » ، ان هذا النبات عجيب
يستطيع المرء أن يعيد به نشاط الحياة
وسيكون اسمه « يعود الشيخ الى صباه كالشباب »
لاحملنه معي الى « أوروك » ، المحصنة
وأشرك معي (الناس) ليأكلوا منه
وأنا سآكله (في آخر أيامي) حتى يعود شبابي »
ثم سارا وبعد أن قطعا عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بلقمة من الزاد
وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليبيتا الليل
وأبصر جلجانش بئراً باردة الماء
فورد (نزل) فيها ليغتسل في مائها
فشمت الحية شذى (نَفَس) النبات

فتسللت واختطفت النبات
ثم نزعت عنها جلدها
وعند ذاك جلس جلجامش وأخذ يبكي
حتى جرت دموعه على وجنتيه
وكلم « اور ـ شنابي » ، الملاح قائلًا :
« من أجل مَنْ يا « اور ـ شنابي » كلت يداي ؟
ومن أجل من استنزفت دم لبي (قلبي) ؟
لم أحقق لنفسي مغنما
أجل ! لقد حققت المغنم الى « أسد التراب »
أفبعد عشرين ساعة مضاعفة
ياتي هذا المخلوق فيخطف النبات مني ؟
وقد سبق لي اني لما فتحت منافذ الماء
وجدت أن هذا نذيراً لي أن أتخلى (عن مطلبي)
وأترك السفينة في الساحل »
وبعد مسيرة عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بلقمة من الزاد
وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليبيتا الليل
ثم وصلا الى « أوروك » ، ذات الاسوار
فقال جلجامش لـ « اور ـ شنابي » ، الملاح :
اعلُ ياَ أور ـ شنابي ، وتمشَّ فوق أسوار « اوروك »
وافحص قواعد أسوارها وانظر الى آجر بنائها ،
وتيقن أليس من الآجر المفخور
وهلا وضع الحكماء السبعة أسسها
ان « شارا » واحداً خصص للسكن
و « شارا » واحداً لبساتين النخل
و « شارا » واحداً لسهل الري ، بالاضافة الى حارة معبد « عشتار »
فتتضمن اوروك ثلاثة « شارات » والحارة .
تذييل ! « اللوح الحادي عشر من « هو الذي رأى
كل شيء » ، من « سلسلة ، جلجامش »

www.iraqinhistory.com

استنسخ طبق الاصل وحقق
مكتبة (قصر) آشور بانيبال ، ملك العالم ، ملك بلاد آشور

www.iraqinhistory.com

٣

اسطورة أدابا (*)

بداية هذه القصيدة ناقصة ، ولا بد انه فيما كان يروى كيف ان الإله ايا كان يزوّد الحكيم الذي اقامه بين الناس بالقوى الضرورية

(شاء) أن تكون كلمته مثل كلمة (انو) ،
اتحفه بعقل واسع لكي يكشف مصائر البلاد .
اعطى هذا الانسان الحكمة ، ولكنه لم يمنحه الحياة الابدية .
في ذلك الزمان ، في تلك السنين ، كان الحكيم قد ولد في اريدو .
فقد خلقه ايا نموذجاً بين الناس
حكيماً ـ لا يستطيع أحد أن ينبذ كلمته ،
عالماً ـ انه الاذكى بين الانوناكي ،
قديساً ـ يداه طاهرتان ، انه كاهن ممسوح ، ودقيق في الرتب ،
مع الطباخين ، كان يقوم بالطبخ ،
مع طباخي اريدو ، كان يقوم بالطبخ .
كل يوم ، كان لأريدو يدبّر الطعام والشراب ،

(*) اعتمدنا نص رينيه لابات .

www.iraqinhistory.com

كان يرتب بيديه النقيتين مائدة القرابين ،
وبدونه لم تكن المائدة تخلى .
كان يوجّه الزورق ، ويصطاد لاريدو في الماء العذب .
في ذلك الزمان ، ادابا الذي ولد في اريدو ،
حينما كان الملك ايا يستلقي على سريره
كل يوم ، كان يراقب الموضع المقدس في اريدو .
ذات يوم ، في المرسى المقدس ، في مرسى القمر ـ الجديد ،
ابحر على سفينة شراعية .
واذ هبّت (الرياح) ، كان زورقه سائراً الى المتاهة ،
وكان يوجّه زورقه بالمردي فقط ،
(حينما وصل الى وسط) البحر الواسع ،
(اخذ يصطاد ، وكان البحر مثل مرآة) ...
إلا ان ريح ـ الجنوب شرعت تهبّ (وسببت له الغرق)
والغطس في مسكن (الاسماك) .
فصرخ : « يا ريح ـ الجنوب ، لتكن (ملعونة) جميع رقاك .
ليتني احطّم جناحك » وحينما لفظ هذه الكلمات ،
اذا بجناح ريح ـ الجنوب قد تحطّم .
طوال سبعة أيام ، لم تعد ريح ـ الجنوب تهب على البلاد .
دعا انو رسوله ايلابرات (وقال له)
« لماذا منذ سبعة أيام لم تهب ريح ـ الجنوب على البلاد ؟ »
فأجابه رسوله ايلابرات : « يا سيدي ،
ان ادابا ، ابن ايا ، قد حطم جناح ريح ـ الجنوب » .
حينما سمع انو هذه الاقوال ،
صرخ : « مهلًا ! » وقام من كرسيه ،
(وقال) « ليؤتَ به الى ههنا ! »
إلا ان ايا كان يعلم ما في السموات ،
« فلمس » (ادابا) وجعله يحمل شعراً وسماً ،
(وألبسه) ثوب الحداد ،

www.iraqinhistory.com

ثم زوّده بهذه التعليمات
« (ادابا) ، ستذهب شخصياً (امام انو) الملك ،
(ستتخذ طريق السموات ، وحينما) الى السموات
(تكون قد صعدت) ، ستد (نو من باب انو) ،
على باب انو ، (دوموزي و؟؟؟؟
سيقفان ، سيرانك (وسيمطرانك) بأسئلة
« يا رجل لمن ارتديت بهذا الشكل ؟
ادابا ، لمن تحمل ثوب الحداد « هذا ؟ »
ستقول : « لأن إلٰهين قد اختفيا في بلادنا ،
لذا فقد ارتديت بهذا الشكل - من هما هذان الالهان
اللذان اختفيا في البلاد ؟ دوموزي وكيزيدا
وهما حينئذٍ ، إذ ينظر أحدهما الآخر ،
سيكونان كلهما ابتسامات ، وستكون أقوالي لصالحك
سيقولانها لانو ، ووجه انو المحبوب
الذي سيمنحانك أن تراه . وحينما تمثل أمام انو
ويأتونك بخبز الموت
لا تاكل ، واذا اتوك بماء الموت
لا تشرب ، واذا اتوك ثوباً ،
البسه ، واذا اتوك بزيت ، ادلك به ذاتك .
لا تهمل التوصيات التي اعطيك اياها ،
واحفظ جيداً الكلمات التي اقولها لك . »
جاء رسول انو ، (الذي كان قد قيل له)
« ان ادابا قد حطم جناح ريح - الجنوب ،
فاتِ به أمامي . »
جعله يتخذ طريق السموات ، وصعد اليها ،
وحينما صعد الى السموات ،
ودنا من باب انو ،
كان دوموزي وكيزيدا يقفان على باب انو .
حينما رأياه ، صرخا : « واعجباه !

www.iraqinhistory.com

يا رجل ، لمن ارتديت بهذا الشكل ، يا ادابا ؟
لمن ارتديت بثوب الحداد هذا ؟
ـ لأن إلٰهين قد اختفيا في بلادنا
ولأجلهما ارتديت هذا
ـ من هما هذان الالهان اللذان اختفيا في البلاد ؟
دوموزي وكيزيدا » .. وإذ نظر أحدهما الآخر ،
اصبحا كلهما ابتسامات . وحينما مثل ادابا امام الملك انو ،
إذ رآه هذا صرخ :
« تعال هنا ، يا ادابا ! لماذا حطمت جناح
ريح ـ الجنوب ؟ » اجاب ادابا انو : « يا سيدي ،
اني كنت اصطاد سمكاً لمعبد سيدي في وسط البحر ،
وبينما كانت السماء مثل مرآة ،
اذا بريح ـ الجنوب شرعت تهب ، فجعلتني اغرق
واغطس في مسكن الاسماك ، وفي غضب قلبي ،
لعنت (ريح ـ الجنوب) . » اذ ذاك دافع عنه
(دوموزي) و (كيزيدا) اقوالا لصالحه
قالا لانو ، الذي هدأ قلبه لصالحه
قالا لانو ، الذي هدأ قلبه وتاثر :
« لماذا كشف ايا لبشر غير مستحق ،
امور السماء والارض ؟
انه جهّزه بقلب متين ، وجعل له اسماً
فنحن ، ماذا سنعمل له ؟.. خبز الحياة
ليؤت له ولياكل ! »
فاتوه بخبز الحياة ، ولكنه لم ياكل .
وأتوه بماء الحياة ، ولكنه لم يشرب .
وأتوه بثوب ، فلبسه .
وأتوه بزيت ، فدلك به ذاته ،
وإذ نظر اليه انو ، شرع يضحك :
« تعال هنا ، يا ادابا لماذا لم تاكل ولم تشرب ؟

www.iraqinhistory.com

ولم تكن العروش قد خلقت في أي مكان
الآلهة ـ السبعة كانوا يغلقون الابواب على البشر ،
على الاماكن المأهولة كانوا يغلقون (الابواب) ،
كان ايكيكي يحيطون بالمدينة ،
لكن عشتار (كانت تتوق) الى راع (للبشر) ،
كانت تبحث عن ملك (للبلاد) ،
انّينا (كانت تتوق) الى راع (للبشر)
وكانت تبحث عن ملك (للبلاد) .
ففتش انليل العروش في السموات (   ) ،
بحث في كل مكان (عن عرش الملك) ،
(إذ لم يكن) في البلاد ملك .
إذ ذاك نزلت الملوكية من السموات .
(انليل) قرر (أن يخلق ملكاً في البلاد .
آلهة البلاد (   ) .

تنقطع المقدمة فجاة بسبب كسر في اللوح ، لا بد انه كان مهماً ، وحينما يستأنف النص بنتفة (ب) ، تتخذ الرواية نبرة حكاية يمكن أن يعطى لها عنوان « النسر والحية » .

(فتح النسر فاه وقال للحية) ،
« هلمي (نقم) عهداً فيما بيننا
ولنصبح شريكين ، أنا وأنت !
فتحت (الحية) فاها و (قالت للنسر)
« تعال اذن نؤدِّ قَسَمَ العهد (أمام شمش) ،
وليكن (عقاب جسيم ضماناً له) ،
(ليكن لنا) محرماً للآلهة !
فاديا هذا القَسَم أمام شمش البطل :
« أي منا يكون تجاوز حدود شمش ،

www.iraqinhistory.com

كان النسر ياكل منها ، وفراخه تاكل بدورها
وهكذا تلقى النسر حصته من الطعام
ونمت فراخه وأصبحت بالغة .
وبعد أن نمت صغار النسر وأصبحت بالغة وصارت لها أجنحة أخيراً ،
اضمر النسر في قلبه أفكاراً شريرة ،
وإذ أضمر في قلبه هذه الأفكار الشريرة ،
قرر أن ياكل صغار حليفه .
وفتح النسر فاه وقال (لصغاره)
« اني سآكل صغار الحية ،
(ولكي أنجو من غضب) الحية ،
سأصعد الى السموات وأمكث فيها
ولن أنزل سوى على قمة الاشجار لآكل ثماراً . »
ولكن احدث الصغار واذكاهم
قال هذه الكلمات للنسر ابيه :
« يا أبي ، لا تاكلها ، فان شبكة شمش من شانها أن تأسرك ،
ومغاوي حرم شمش ستصوغك وتجعلك أسيراً ،
لأن من يتجاوز حدود شمش ،
يسلمه شمش بقساوة الى يد (الجلاد) . »
لم يصغ النسر الى هذه الكلمات ولم يستمع الى ما قاله ابنه
بل نزل وأكل صغار (الحية) .
في المساء ، عند مغيب النهار ، عادت الحية ،
وكانت تجلب غنيمتها من اللحم
الذي وضعَته عند مدخل عشها
نظرت ، واذا بعَشها غير موجود ،
انحنت : لم تعد (ترى صغارها) !
إذ ذاك حفرت الأرض بمخالبها
وزوابع الغبار المنبعثة من العش (غطت وجه) السماء .
إذ ذاك انطرحت الحية على الأرض وبكت

www.iraqinhistory.com

وجرت دموعها أمام شمش :
« صارت لي ثقة بك ، يا شمش البطل !
أنا أعطيت النسر هدايا الصداقة ،
خفت من قَسَمك وأكرمته ،
ولم أضمر شراً لرفيقي .
ان كان أكيداً ، يا شمش ، ان شبكتك هي الأرض الواسعة ،
ومغاويك السموات الفسيحة ،
فلا ينجونّ النسر اذن من شبكتك ،
هو صانع الشر والخطيئة ،
والذي اضمر الشر لصديقه ! »
(حينما سمع) شمش تشكيات الحية ،
فتح فاه (وقال) لها
« اتبعي الطريق ، اجتازي (الجبل)
فاني قد ربطت لك ثوراً وحشياً ، فافتحي بطنه ، واثقبي (كرشه)
وامكثي في (بطنه)
(كل ما) في السماء من طيور ، (ستنزل لتاكل لحمه) ،
والنسر معها (سياتي لياكل اللحم) ،
دون أن يدري بالمصيبة التي تنتظر ،
وسيفتش في كل مكان عن ألين لحم ،
سيدنو من الدسم الذي يغطي الامعاء :
وحينما يدخل اليها ، امسكيه أنت بجناحيه ،
اقطعي ريشه وقوادمه ومناكبه ،
انتزعي جناحيه والقيه في ثقب
لكي يموت فيه من الجوع والعطش ! »
وكما كان شمش البطل قد قال لها ،
ذهبت الحية واجتازت الجبل ،
وحينما وصلت عند الثور الوحشي ،
فتحت بطنه وثقبت كرشه

www.iraqinhistory.com

ومكثت في بطنه .
كل ما كان في السماء من طيور ،
نزلت لتآكل لحمه .
ولو عرف النسر بالمصيبة التي كانت تتهدده ،
لما أكل اللحم مع جماعات الطيور !
لكن النسر فتح فاه وقال لاولاده
« هلموا ننزل فناكل نحن أيضاً من لحم هذا الثور الوحشي ! »
لكن احدث صغاره واذكاهم
قال هذه الكلمات للنسر ابيه
« لا تنزل ، يا ابي ، لعل الحية كامنة في هذا الثور الوحشي ! »
إلا ان النسر ، دون أن يفكر ملياً ، قال هذه الكلمات :
« سأنزل وآكل لحم هذا الثور الوحشي ،
وكيف ستاكلني الحية ؟ »
فلم يصغ اذن ، ولم يستمع الى ما قاله ابنه ،
بل نزل واستقر فوق الثور الوحشي .
أول مرة ، تفحص النسر اللحم ،
وبحث ليرى في كل موضع ما كان أمامه ووراءه ،
وتقدّم بحذر ، خطوة فخطوة ،
ودنا من الدسم الذي يغطي الامعاء .
وحينما دخل ، أمسكته الحية بجناحيه ...
فتح النسر فمه وقال للحية
« اشفقي عليَّ ! اني مثل خطيب سأعطيك هدية ! »
إلا ان الحية فتحت فاها وقالت :
« لو اطلقتك ، فماذا من شاني أن أجيب شمش في العلى ؟
ولانقلب عقابك ضدي ،
هذا العقاب الذي عليَّ أنا بالذات أن انزله بك ! »
فقطعت اذن ريشه وقوادمه ومناكبه ،

www.iraqinhistory.com

وانتزعت اذن ريشه وقوادمه ومناكبه ،
وانتزعت جناحيه وألقته في ثقب ،
حيث عليه أن يموت من الجوع والعطش .
(في الثقب) لم يكن النسر ليكفّ كل يوم عن الاستغاثة بشمش :
أسأموت اذن في هذا الثقب ؟
ومن بوسعه أن يعلم اني فيه انال عقابك ؟
أنا ، النسر ، دعني أعيش ،
وسأعرف اسمك الى الابد ! »
فتح شمش فاه وقال للنسر :
« لقد كنت شريراً وجرحت بذلك قلبي
لقد انتهكت حرم الآلهة ومنعهم !
فلو بلغت حد الموت لما اقتربت منك !
ولكن ، مع ذلك ، اني أرضى بأن يأتيك بعون
انسان سأرسله اليك . »
كان ايتانا ، كل يوم ، يلح في الطلب على شمش :
« يا شمش ، انك أكلت أسمن خرافي ،
وقد ارتوت الأرض لك من دم كباشي ،
اني كرّمت الآلهة ، واحترمت أرواح الأموات ،
العرافات غمرتهم بالقرابين ،
وغمرت الآلهة أيضاً بنحر كباشي .
يا سيد ، ليصدر عن فمك أمر لي ،
اعطني « النبتة » التي تجعل (المرأة) تلد ،
اكشف لي « النبتة » التي تجعل (المرأة) تلد !
ارفع حملي (واجعل لي) اسماً » .
ففتح شمش فاه وقال لايتانا
« اسلك الطريق ، واجتز الجبل :
ترَ ثقباً ، انظر الى داخله ،
ففي داخله نسر ،

www.iraqinhistory.com

وهو سيكشف لك عن الدبنة التي تولّد »
كما قال شمش البطل ،
سلك ايتانا الطريق ، (واجتاز الجبل) ،
فرأى الثقب ، ونظر الى داخله ،
وكان نسر قد طُرِحَ في داخله
وهذا ما (كان شمش) أخيراً قد رتّبه (لأجله)

www.iraqinhistory.com

اللـــوح الثـــالث

(فتح) النسر فاه (وقال هذه الكلمات لشمش سيده)
« (اذا) اخرجني (من هذا الثقب) ،
(واذا كنت اتلقى منه) عصيفيرات ، (واذا استعدت قواي) ،
(فاني سأعطيه ما) يتوق اليه ،
(سأعمل) كل ما سيقوله هو ،
(على أن يفعل) كل ما سأقوله ! »
بامر شمش البطل ، وأخرجه ايتانا من الثقب
(تلقى) عصيفيرات ، (واستعاد قواه) ،
حينئذٍ فتح النسر فاه وقال لايتانا
(قل) لي الآن لماذا جئت ؟ »
فتح ايتانا فاه وقال للنسر :
« أيها الصديق ، اعطني « النبتة » التي تولد ،
اكشف لي « النبتة » التي تولّد ،
(ارفع حملي) واجعل لي اسماً ! »

ههنا فجوة طويلة قضت على نهاية اللوح كلها . ولكُنا نعلم ، في هذا الجزء من الرواية ، أكانت رغبة ايتانا في الحصول على « نبتة الولادة » مقرونة بصعوده الى السموات أم لا . مهما يكن من أمر ، فان بداية اللوح التالي تظهره لنا وهو يجابه مع النسر هذا التحليق المغامر . إلا ان الأسطر الاولى مشوّهة : وكان النسر فيها يذكر « باب (سموات) انو وانليل وايا ، ثم باب سين وشمش وادد » . ويبدو انه كان يذكر فيها أيضاً الآلهة عشتار ذاتها ، جالسة لا شك على العرش في أعلى السموات ، متوشحة بالبهاء الإلٰهي :

www.iraqinhistory.com

اللــوح الــرابع

(قال) النسر لايتانا
يا صديقي ، رائعة هي (المناطق السماوية) ،
هيا ، سأحملك نحو سموات (انو) .
ضع (صدرك) على صدري ،
ضد (يدك على اقصى الحد الأسفل من جناحي ،
ضع (ذراعك) على أعلى جناحي . »
وضع ايتانا صدره على صدر (النسر) ،
ووضع يده على أقصى الحد الأسفل من جناحه ،
ووضع ذراعه على أعلى جناحه
وبثبات أسند ثقله عليه
لما أصعده الى ارتفاع فرسخ مضاعف ،
قال النسر لايتانا
« انظر ، يا صديقي ، كيف هي البلاد ؟
ضُمّ البحرَ بعينيك وابحث بنظرتك عن شواطئه !
ـ ليست البلاد من بعد سوى جبل ،
البحر أصبح مياه (نهر) ! »

هنا تبدأفجوة جديدة وطويلة ، ويبدو ان ايتانا ، حين شروعه بالرحلة الثانية من صعوده ، يتردد وهو على وشك التخلّي .

« ان الحمل (أثقل من طاقتك)
اترك ، (   )

أجاب النسر ايتانا هكذا :

www.iraqinhistory.com

سأحملك (الى موضع أعلى في السماء)
لنذهب ، و (   ) :
ليس للنسر طائر آخر (يضاهيه)
وليس من (بوسعه أن يحملك إلا هو) .
تعال ، يا صديقي ، (سأحملك الى سماء عشتار) ،
فان نبتة الولادة هي عند عشتار السيدة
بجانب عشتار ، السيدة ، (   ) .
(ضع ذراعك) على الحد الأعلى من جناحي ،
(ضع يدك) على الحد الأسفل من جناحي ! »
وضع ايتانا (ذراعه) على الحد الأعلى من جناحه
(ووضع يده) على الحد الأسفل من جناحه ،
وارتقى به النسر الى فرسخ مضاعف
« يا صديقي ، انظر كيف هي البلاد ؟
ـ من البلاد ... (   ) ،
« والبحر الفسيح هو مثل حظيرة ! »
(اصعده) الى فرسخين مضاعفين :
« انظر ، يا صديقي ، كيف (هي) البلاد ؟
ـ « أضحت البلاد بستاناً (   )
والبحر الفسيح هو مثل وعاء خشب صغير ! »
« (اصعده) الى ثلاثة (فراسخ مضاعفة)
« انظر ، يا صديقي ، كيف (هي) البلاد ؟
ـ مهما انظر ، فقد اصبحت البلاد (غير مرئية)
ولا يسع عيناي بعد أن تشبعا من البحر الفسيح !
يا صديقي ، لست اريد الصعود بعد الى السموات !
« وجّه المسيرة لكي (اعود الى الأرض) ! »
وعند اول فرسخ مضاعف ، سقط
فهوى النسر وتلقاه على (ظهره)

www.iraqinhistory.com

عند فرسخين مضاعفين ، سقط ،
وهوى النسر وتلقاه على (ظهره)

التتمة مخرومة من جديد ، بحيث اننا نجهل الاحداث الاخيرة الخاصة بنزول ايتانا على الأرض ، لا شك في أنه نزل سالماً صحيحاً . كما تطلعنا على ذلك النتفة الأخيرة المنشورة حتى اليوم من هذه القصيدة :

قالت لايتانا زوجته
( ) لي البيت ( ) ،
« مثل ايتانا ، زوجي . ( ) ،
مثلك ( ) ،
ايتانا ، الملك ، ( )
شبحه ( )
ولينقذ في البيت ( ) .

www.iraqinhistory.com

المصادر والمراجع

* ابن زكريا ، احمد بن فارس :
ـ معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط١ ، (القاهرة ، ١٣٦٨ هـ)
* ابن منظور :
ـ لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٥٥) ، أو دار لسان العرب (بيروت ، ت بلا) .
* ارسطو :
ـ فن الشعر ، ترجمة وتحقيق عبدالرحمن بدوي ، دار الثقافة ، (بيروت ، ١٩٧٣) .
* ابو زيد ، محمود :
ـ مشكلات المنهج في التحليل الاجتماعي للاساطير ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السادس عشر ، العدد الثالث (الكويت ، ١٩٨٥) .
ـ الملاحم كتاريخ وثقافة ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السادس عشر ، العدد الأول ، (الكويت ، ١٩٨٥)
ـ الواقع والاسطورة في النص الشعري ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السابع عشر ، العدد الأول ، (الكويت ، ١٩٨٦) .
* الازهري ، ابو منصور محمد بن احمد
ـ تهذيب اللغة ، تحقيق أحمد عبدالعليم البردوني ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (القاهرة ، ت بلا)
* أمين ، محمد شوقي
ـ بين اللغة والادب ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السادس عشر ، المجلد الأول ، ابريل ، مايو ، ويونيه ، (الكويت ، ١٩٨٥)
* اوبنهايم ليو :
ـ بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعدي فيضي عبدالرزاق ، دار الشؤون الثقافية ، ط ٢ (بغداد ، ١٩٨٦) .
* بارت ، رولان
ـ الاسطورة اليوم ، ترجمة حسن الغرفي ، سلسلة الموسوعة الصغيرة ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد ، ١٩٩٠)

www.iraqinhistory.com

* باقر ، طه
ـ ملحمة جلجامش ، ط ٥ ، (بغداد ، ١٩٨٦) .
* بدوي ، عبدالرحمن :
ـ الديوان الشرقي للمؤلف الغربي ، مكتبة النهضة المصرية ، سلسلة الروائع المائة ، (القاهرة ، ١٩٤٤) .
ـ فن الشعر ، مكتبة النهضة ، (القاهرة ، ١٩٥٣) .
* برستد ، جيمس هنري :
ـ انتصار الحضارة ، ترجمة احمد فخري ، مكتبة الانكلو المصرية ، (القاهرة ، ت بلا) .
* بروب ، فلاديمير :
ـ مورفيلوجيا الحكاية الخرافية ، ترجمة ابو بكر احمد باقادر وأحمد عبدالرحيم ، النادي الدولي الثقافي في جدة ، ط ١ (السعودية ، ١٩٨٩) .
* بلفنتش ، توماس :
ـ عصر الاساطير ، ترجمة رشدي السيسي ، (القاهرة ، ١٩٦٦) .
* بوتيرو ، جان :
ـ بلاد الرافدين ، ترجمة الأب البير أبونا ، مراجعة وليد الجادر ، سلسلة المائة كتاب ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد ، ١٩٩٠) .
* تومسن ، جورج :
ـ اسيكلوس اثينا ، دراسة في الاصول الاجتماعية للدراما ، ترجمة صالح جواد الكاظم ، (بغداد ، ١٩٧٥) .
* جبرا ابراهيم جبرا
ـ الحرية والطوفان ، ط ٣ ، (بيروت ، ١٩٨٢) .
* حبي ، يوسف :
ـ الانسان في وادي الرافدين ، الموسوعة الصغيرة ، منشورات دار الجاحظ ، (بغداد ، ١٩٨٨)
* حنون ، نائل :
ـ مجلة سومر جـ ١ ـ ٢ المجلد ٣٤ ، (بغداد ، ١٩٧٨) .
ـ عقائد ما بعد الموت ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد ، ١٩٧٨)

www.iraqinhistory.com

* الحوراني ، يوسف
ـ البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الاسيوي القديم ، دار النهار للنشر (بيروت ، ١٩٧٨) .
* الخوري ، لطفي :
ـ معجم الاساطير ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد ، ١٩٩٠)
* دياكانوف ، إ . م وترافيموف
ـ جماليات ملحمة جلجامش ، ترجمة عزيز حداد ، منشورات مكتبة الصياد ، (بغداد ، ١٩٧٣) .
* ديرلاين ، فروديش فون :
ـ الحكاية الخرافية ، ترجمة نبيلة ابراهيم ، دار القلم ، (بيروت ، ١٩٧٣) .
* دي سوسيور ، فرديناند :
ـ علم اللغة العام ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز ، دائرة الشؤون الثقافية ، افاق عربية ، (بغداد ، ١٩٨٥)
* ديورانت ، وول :
ـ قصة الحضارة ، ترجمة أحمد بدران ، (القاهرة ، ١٩٦٣) .
* ذريل ، عدنان :
ـ برهات تاريخية ، (دمشق ، ١٩٧٣) .
* رايتر ، وليم :
ـ الاسطورة والادب ، ترجمة صبار سعدون السعدون ، (بغداد . ١٩٩٢) .
* رايفين ، ك . ك :
ـ الاسطورة ، ترجمة جعفر الخليلي ، عويدات ، باريس ، (بيروت ، ١٩٨١) .
* رايلي ، كافين :
ـ الغرب والعالم ، ترجمة عبدالوهاب المسيري ، سلسلة عالم المعرفة (الكويت ، ١٩٨٨) .
* رو ، جورج :
ـ العراق القديم ، ترجمة حسين علوان حسين ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، (بغداد ، ١٩٨٤) .
* روثن ، مرغريت

www.iraqinhistory.com

ـ علوم البابليين ، ترجمة يوسف حبي ، دار الرشيد ، (بغداد ، ١٩٨٠)
* الزبيدي ، السيد مرتضى
ـ تاج العروس ، نشر دار ليبيا ، بنغازي ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٧٦)
* زكريا ، فؤاد :
ـ التفكير العلمي ، ط ٣ ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت ، ١٩٧٨) .
* زكي ، احمد كمال :
ـ الاساطير ، مكتبة الشباب ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٧٥) .
* الزمخشري :
ـ اساس البلاغة ، دار مطابع الشعب ، (القاهرة ، ت بلا) .
* زيعور ، علي :
ـ التحليل النفسي للذات العربية ، دار الطليعة ، (بيروت ، ١٩٧٧) .
* ساندرز ، ن . ك :
ـ ملحمة جلجامش ، ترجمة محمد نبيل نوفل وفاروق حافظ القاضي ، دار المعارف بمصر ، (القاهرة ، ت بلا) .
* سركيس ، احسان :
ـ الاداب القديمة وعلاقتها بمنظور المجتمعات ، دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت ، ت بلا)
* سليمان مظهر :
ـ قصة الديانات ، دار الوطن العربي ، (القاهرة ، ١٩٨٤) .
* السواح ، فراس :
ـ لغز عشتار ، دار غربال ، ط ٢ (دمشق ، ١٩٨٦) .
ـ مغامرة العقل الاولى ، ط ٢ ، (بيروت ، ١٩٨٧) .
ـ ملحمة جلجامش ، دار الكتاب والنشر ، (بيروت ، ١٩٨٣) .
* سوسة ، أحمد :
ـ العرب واليهود في التاريخ ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٧٢)
* الشامي ، صلاح الدين :
ـ الرحلة العربية في المحيط الهندي ، منجلة عالم الفكر ، مجلد ١٣ ، العدد الرابع ، (الكويت ، ١٩٨٣) .

www.iraqinhistory.com

* شتراوس ، كلود ليفي
ـ الاسطورة والمعنى ، ترجمة شاكر عبدالحميد ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد ، ١٩٩٠)
ـ الانثروبولوجيا البنيوية ، ترجمة مصطفى صالح ، (دمشق ، ١٩٧٧)
* شعراوي ، عبدالمعطي
ـ مقدمة الالياذة ، مرجيلوس ، ترجمة كمال ممدوح ، الهيئة العامة للكتاب والنشر ، (القاهرة ، ١٩٧١)
* الشوك ، علي
ـ الاساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ، دار العلوم ، (لندن ، ١٩٨٧) .
ـ شاخت ريشتراد الاغتراب ، ترجمة كامل يوسف حسن ، المؤسسة العامة ، (بيروت ، ١٩٨٠)
ـ من روائع الشعر السومري ، منشورات دار الجيل ، (بيروت ، ١٩٩٢)
* الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير :
ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ (القاهرة ، ت بلا)
* عبدالله ، نادية محمود :
ـ الرحلة بين الواقع والخيال ، مجلة عالم الفكر ، مجلد ١٣ العدد الرابع ، (الكويت ، ١٩٨٣)
* عبدالحميد ، محمد محيي الدين :
ـ محمد عبداللطيف السبكي ، المختار في صحاح اللغة ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة ، ت بلا) .
* عبدالقادر ، عبدالناصر محمد نوري :
ـ الاسطورة وعلم الاساطير ، عن الموسوعة البريطانية ، (بغداد ، ١٩٨٦) .
* عبدالواحد ، فاضل :
ـ الادب ، ضمن حضارة العراق ، (بغداد ، ١٩٨٥) .
ـ عشتار ومأساة تموز ، منشورات وزارة الاعلام ، دار الحرية ، (بغداد ، ١٩٧٣) .
ـ من الواح سومر الى التوراة ، (بغداد ، ١٩٨٦) .
ـ الطوفان (بغداد ، ١٩٧٥)

www.iraqinhistory.com

* عبدالواحد ، فاضل ، وعامر سليمان :
ــ عادات وتقاليد الشعوب القديمة ، (بغداد ، ١٩٧٩) .
* عثمان ، احمد :
ــ الشعر الاغريقي ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت ، ١٩٨٤) .
* عثمان ، حسن :
ــ الكوميديا الإلهية (الجحيم) ، ط ٢ دار المعارف ، (مصر ، ت بلا) .
* عكاشة ، ثروت
ــ الاغريق بين الاسطورة والابداع ، (القاهرة ، ت بلا) .
* علي ، جواد :
ــ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٩٧٦)
* فرانكفورت هنري ، وآخرون :
ــ ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بغداد ، ١٩٦٠) .
* فراي ، نورثورب :
ــ تشريح النقد ، ترجمة محمد عصفور ، منشورات الجامعة الاردنية ، (عمان ، ١٩٩١) .
* فروم ، اريك :
ــ الدين والتحليل النفسي ، ترجمة كامل ، (القاهرة ، ١٩٧٧)
* فرويد ، سيجموند :
ــ تفسير الاحلام ، ترجمة مصطفى صفوان ، (القاهرة ، ت بلا) .
* فريزر :
ــ ادونيس ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، دار الصراع الفكري ، (بيروت ، ١٩٥٧) .
ــ الغصن الذهبي ، ترجمة أحمد ابو زيد ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، (القاهرة ، ١٩٧١) .
* فهيم ، حسين محمد
ــ ادب الرحلات ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت ، ١٩٨٦) .
* الفيروز ابادي :
ــ القاموس المحيط .

www.iraqinhistory.com

* كاسيرر :
ـ الدولة والاسطورة ، ترجمة أحمد حمدي محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة ، ١٩٧٥) .
ـ مدخل الى فلسفة الحضارة الانسانية ، مقال في الانسان ، ترجمه احسان عباس ، دار الاندلس ، (بيروت ، ١٩٦١) .
* كريمر ، صموئيل نوح :
ـ اساطير العالم القديم ، ترجمة احمد عبدالحميد يوسف ، مراجعة عبدالمنعم ابو بكر ، الهيئة المصرية العامة ، (القاهرة ، ١٩٧٩) .
ـ السومريون ، ترجمة فيصل الوائلي ، دار غريب للطباعة ، وكالة المطبوعات ، (الكويت ، ت بلا) .
ـ طقوس الجنس المقدس عند السومريين ، ترجمة نهاد خياطة ، ط ٢ ، (سوريا ، ١٩٨٧) .
ـ من ألواح سومر ، ترجمة طه باقر ، مكتبة المثنى ، (بغداد ، ت بلا) .
* كلارك ، رندل :
ـ الرمز والاسطورة في مصر القديمة ، ترجمة أحمد صليحة ، (القاهرة ، ١٩٨٨) .
* كونتينو ، جورج :
ـ الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ، ترجمة سليم طه التكريتي ، دار الشؤون الثقافية ، ط ٢ (بغداد ، ١٩٨٦)
* كييرا ، ادوارد :
ـ كتبوا على الطين ، ترجمة محمود حسين الأمين ، مكتبة دار المثنى ، بغداد ، ١٩٦٤
* لابات ، رينيه
ـ المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ترجمة البير أبونا ، وليد الجادر ، (بغداد ، ١٩٨٨)
* لونغ ، تشايلز :
ـ الميثولوجيا ، من دائرة المعارف الامريكية ، ترجمة حميد الماشطة ، مجلة آفاق عربية ، العدد الأول ، ك ٢ (بغداد ، ١٩٨٧) .
* مانويل :

www.iraqinhistory.com

ـ لوركا ، ترجمة عناد غزوان ، جعفر صادق الخليلي ، (بغداد ، ١٩٨٠) .
* المقداد ، قاسم :
ـ هندسة المعنى في السرد الاسطوري الملحمي ، دار السؤال للطباعة والنشر ، (دمشق ، ١٩٨٤) .
* محجوب ، فاطمة محمد :
ـ دائرة المعارف للناشئين ، دار الهلال ، (القاهرة ، ت بلا) .
* مرحبا ، محمد عبدالرحمن :
ـ قبل أن يتفلسف الانسان ، دار النشر للجامعيين ، (لبنان ، ت بلا)
* مرعشلي ، نديم واسامة ،
ـ الصحاح في اللغة والعلوم ، دار الحضارة العربية ، (بيروت ، ت بلا)
ـ معجم اللاهوت الكتابي ، أشرف على الترجمة المطران انطونيوس نجيب ، دار المشرق ، (بيروت ، ١٩٨٨) .
* ملرش ، إي . إج :
ـ قصة الحضارة في سومر وبابل ، ترجمة عطا بكري ، مطبعة الارشاد ، (بغداد ، ١٩٧٧) .
* موسى ، منيف :
ـ الميثولوجيا في الشعر اللبناني ، مجلة آفاق عربية ، العدد الثامن ، آب ، (بغداد ، ١٩٨٧) .
* موسكاتي ، سسينو :
ـ الحضارات السامية القديمة ، ترجمة يعقوب بكر ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، (القاهرة ، ت بلا) .
* نبيلة ابراهيم
ـ الاسطورة ، الموسوعة الصغيرة ، (بغداد ، ١٩٧٩)
* النوري ، قيس :
ـ الاساطير وعلم الاجناس ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، (جامعة الموصل ، ١٩٨١)
* هاووك ، جورج :
ـ معجم الاعلام في الاساطير اليونانية الرومانية ، ترجمة أمين ، ط ١ ، (مصر ،

www.iraqinhistory.com

١٩٥٥) .
* هوك ، صموئيل هنري
ـ الاساطير في بلاد ما بين النهرين ، ترجمة يوسف داود عبدالقادر ، (بغداد ، ١٩٦٨) .
* هيثمان ، فردريك :
ـ الحكاية الخرافية الشعبية ، مجلة فكر وفن ، العدد ١٠٤١
* وجدي ، محمد فريد
ـ دائرة معارف القرن العشرين ، (بيروت ، ١٩٧١)
* يونغ ، كارل غوستاف ، وجماعة من العلماء :
ـ الانسان ورموزه ، ترجمة سمير علي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، سلسلة الكتب المترجمة ، (بغداد ، ١٩٨٤)

المصادر الاجنبية

1 - Epic , In Cassel's Encyclopaedia of Literature Vol. I Cassel and Co, London , 1953 , P. 193 .

2 Epic , In Chambars's Encyclopaedia , Vol. 5 P. 367

3 - Paul Merchant , The Epicmetheun , London , 1997 PP. 71-72

4 - The Oxford English Dictionary Vo. VI , Oxford , 1973 , P. 611 .

www.iraqinhistory.com

الفهرست

www.iraqinhistory.com





الرحلة الى الفردوس و الجحيم

الكتاب يجمع بين الأسطورة والتاريخ كما يجمع بين الحلم والحقيقة وفيه تفصيل دقيق ومنتخب لأربعة رحلات أسطورية فيها الشيء الكثير من الأدب الرمزي الملحمي والفكر الفلسفي للعراق القديم . عالجت الرحلات الأربعة عدداً من المسائل الرئيسية في حياة الإنسان كالموت والبعث والخلود واستمرار الذرية . لقد نجحت المؤلفة في الخروج بتفسير شامل يجمع بين الهدف من هذه الرحلات الكونية الأربعة ومدلولاتها العقائدية الفكرية الخاصة بمصير الإنسان في هذا العالَم والعالَم الآخر ، عالَمِ ما بعد الموت ، وهذا تفسير صالح لكل الأزمان .

المؤلفة السيدة وداد الجوراني أديبة وشاعرة عشقت أدب وأساطير العراق القديم وكثيراً ما ضمنت أعمالها الأدبية صوراً من تلك الأساطير . وهي في عملها الواسع الحالي تغوص في أعماق هذا الأدب لتلتقط أعقد صوره وتعالجها معالجة الأديب المفكر والباحث التاريخي المدقق وقد خرجت من هذا كله باستنتاجات وآراء مبتكَرَة وجريئة .

الدكتور بهنام أبو الصوف

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
- بغداد - ١٩٩٨

الغلاف : نهلة محمد عبد الوهاب

السعر : ٧٥٠ دينار

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة